إتحاف الكرام

بشرح كتاب الجامع في الأخلاق والآداب

«من بلوغ المرام»

ح عبدالجبار عبدالعظيم الماجد، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح فوزان بن عبدالله

إتحاف الكرام بشرح كتاب الجامع في الأخلاق والآداب من بلوغ المرام. / صالح فوزان بن عبدالله الفوزان؛ عبدالجبار عبدالعظيم محمد الماجد - الرياض، ١٤٣٣هـ

٣٣٤ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٠-٩١٨٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الحديث - أحكام ٢- الأخلاق الإسلامية

أ- الماجد، عبدالجبار عبدالعظيم محمد(محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٣٧،٣ ١٤٣٣/١١٧٦

رقم الإيداع: ١٤٣٣/١١٧٦

ردمك: ٠-٩١٨٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قامت بطباعته وإخراجه دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤-٥٠١٣ - فاكس: ٠٠٩٦١/١٥٩٠٧٣

dar_kortoba@hotmail.com

إتحاف الكرام

بشرح كتاب الجامع في الأخلاق والآداب

« من بلوغ المرام »

الشرح

لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

جمع وإعداد

عبد الجبار بن عبد العظيم بن محمد آل ماجد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد: فقد أذنت للشيخ: عبد الجبار عبد العظيم محمد
بطباعة شرح الأحاديث المتعلقة بالأضاحي
من شرحي لكتاب بلوغ المرام

وفقه الله

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار... وبعد:

[فإن المتأمل في كتاب الله ﷻ، المتدبِّرَ لآياته، لتستوقفه تلكم التوجيهات السامية، والوصايا الجليلة التي تخاطب النفس، وتحثُّها على التحلِّي بالأخلاق الفاضلة، لكي ترفع من قدرها، حتى تطهر وتزكُو، كيف لا؟ وأصل الرسالة يوجزها الرسول ﷺ بقوله: «إنما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق»[(١)].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣)، والحاكم (٢/ ٦١٣).

ويقول تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: (أي يطهِّر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكِبر إلى التواضع، ومن سوء الخُلق إلى حُسن الخُلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية..)[1].

ولذا جاء القرآن بالحثِّ على اكتساب ما يزين النفس من الأخلاق، معبراً عن ذلك بأساليب شتى، وبمواضع عديدة، لكي تشرئب النفوس وتسعى لتحصيلها.

والأخلاق: جمع خُلُق، وهو هيئةٌ للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُمِّيت الهيئة: خُلقاً حَسَناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمِّيت الهيئة التي هي المصدر: خُلقاً سيئاً، وقد يطلق الخُلُق ويراد به الدين.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أدب القرآن، قاله عطية، الثاني: دين الإسلام، قاله ابن عباس، الثالث: طبع كريم، وهو الظاهر[2].

= * **وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه تحفة أهل العلم والإيمان ص (٥٣): روى الإمام أحمد في المسند بإسناد حسن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». اهـ. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (٤٥).

(١) انظر: تفسير العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٤٧) طبعة دار السلام بالرياض.

(٢) انظر: تفسير الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «النكت والعيون» (٦/ ٦١).

وإليك بعض أساليب القرآن في التعبير عن الأخلاق:

١ ـ **الأمر الصريح بالتحلِّي بالأخلاق الحسنة**: كالعفو، والأمر بالمعروف، والقول الحسن، والصبر، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٢ ـ **الندب والحض على التحلِّي بالأخلاق الحميدة**: كالنهي عن الامتناع عن الصدقة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ [النور: ٢٢]، **والصفح**، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، **والمسارعة إلى فعل الخير**، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

٣ ـ **ترتيب الثواب الجزيل لمن اتصف بها**، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

٤ ـ **ذِكرها في معرض بيان أحوال الكُمَّل من خلقه**، وهم الرسل ﷺ، الذين هم موضع القدوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

٥ - **جعلها من صفات المؤمنين**، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٦ - **جعلها من السلوك الحسن**، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٧ - **النهي عن الأخلاق الذميمة**، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

٨ - **الوعيد لمن اتصف ببعض الأخلاق الذميمة**: كالافتراء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، **وإشاعة الأخبار الكاذبة**، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠].

٩ - **التنفير من الأخلاق الذميمة لكونها من صفات الكفار والمنافقين**: كالافتراء والخداع والبهتان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

١٠ - **سَوقها على أنها ثمرة من ثمار الطاعات**، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

تلك بعض الطرق التي تناولها القرآن الكريم للتأكيد على جانب الأخلاق، فحري بالمسلم أن يجتهد في بلوغ الغاية منها، فهي جماع خيرَي الدنيا والآخرة: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»(١)](٢).

والرسول ﷺ هو أول من تخلَّق بأخلاق القرآن الكريم وألزم نفسه بآداب القرآن، وفي الصحيح عن عائشة ﵂ أنها قالت: كانَ خُلُقُ الرسول ﷺ القرآن.

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى هذا أنَّهُ قد أَلْزَمَ نفسَهُ ألا يفعلَ إلا ما أَمَرَهُ بهِ القُرآنُ، ولا يترُكَ إلا ما نهاهُ عنهُ القرآنُ، فصارَ امتثالُ أمرِ ربهِ خُلُقاً له وسجيَّةً، صلوات اللهِ وسلامهُ عليه إلى يومِ الدين»(٣).

ولذا حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - واهتمُّوا وتابعوهم اهتماماً كبيراً وتخلَّقوا بالأخلاق الحسنة، مستندين في ذلك إلى ما جاء في كتاب الله ﷻ وسُنَّة نبيِّه ﷺ، فهم قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق.

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم (٣٥٥٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه، برقم (٢٣٢١).

* وقال الإمام النووي ﵀ في شرح صحيح مسلم (٨/ ٨٠): «فيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه».

(٢) من كلمة لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في مجلة أهل القرآن عن «الأخلاق في القرآن الكريم» عدد ربيع الثاني ١٤٢٨هـ.

(٣) في تفسيره (١٤/ ٨٧).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أولئك أصحاب محمد ﷺ؛ كانوا أفضل الأمة: أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلُّفاً، اختارهم الله لصحبة نبيِّه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(١).

لذلك عظَّم الله جلَّ ثناؤه شأن الأخلاق من وجوهٍ كثيرةٍ، **منها**:

[* الخُلق الحسن من أعظم روابط الإيمان وأعلى درجاته؛ لقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»(٢).

* الخُلق الحسن من تخلَّق به كان من أحبِّ الناس إلى النبي ﷺ وأقربهم منهم مجلساً يوم القيامة: «إن من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»(٣).

* الخُلق الحسن يجعل المسلم من خيار الناس مطلقاً، ولا يكون كذلك إلا بالتخلُّق بهذا الخلق العظيم، قال النبي ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»(٤).

وقد أحسن الشاعر إذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

* الخُلق الحسن من أعظم القربات وأجلِّ العطايا والهبات، ولهذا قال النبي ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق

---

(١) أخرجه أبو عمر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع، باب حق المرأة على زوجها، برقم (١١٦٢)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم (٤٦٨٢)، وحسّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب معالي الأخلاق، برقم (٢٠١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم (٣٥٥٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، برقم (٢٣٢١).

حسن، فإن الله لَيُبْغِضُ الفاحِشَ البذِيء»[1].

* الخُلق الحسن يدرك المسلم به درجة الصائم القائم، قال النبي ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحُسن خلقه درجة الصائم القائم»[2].

* الخُلق الحسن خير من الدنيا وما فيها؛ ولهذا قال النبي لعبد الله بن عمرو: «أربع إذا كنَّ فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدق حديث، وحُسن خليقة، وعفة في طعمة»[3].

* يحصل بالخُلق الحسن: جوامع الخيرات والبركات؛ قال النبي ﷺ: «البر حسن الخلق»[4].

* الخُلق الحسن هو وصية رسول الله ﷺ إلى جميع المسلمين، فقد أوصى به ﷺ معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن والياً، وقاضياً، وداعياً إلى الله فقال له: «.. وخالق الناس بخُلق حسن»[5].

* الخُلق الحسن ذو أهمية بالغة؛ لأن الله ﷻ أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه به، وعظَّم شأنه الرسول الأمين ﷺ. قال الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وقال النبي ﷺ: «إنما بُعثت لأتمِّم

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حُسن الخُلق، برقم (٤٧٩٩)، والترمذي بلفظه في كتاب البر والصلة، باب بيان ما جاء في حُسن الخُلق، برقم (٢٥٨٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩١١).

(٢) أبو داود في كتاب الأدب، باب في حُسن الخُلق، برقم (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩١١).

(٣) رواه أحمد في المسند بإسناد جيد (٢/ ١٧٧)، وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٣٠١)، برقم (٨٨٦).

(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، برقم (٢٥٥٣).

(٥) الترمذي في كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧)، وحسّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٩١).

مكارم الأخلاق»[١].

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِهِ ﷺ فقالت: «.. فإن خُلق نبيكم ﷺ كان القرآن»[٢].

* الخُلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب الناس إلى الإسلام، والهداية، والاستقامة؛ لهذا من تتبَّع سيرة المصطفى ﷺ وجد أنه كان يلازم الخُلق الحسن في سائر أحواله وخاصة في دعوته إلى الله تعالى، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى، ثم بفضل حُسن خُلُقه ﷺ، فكم دخل في الإسلام بسبب خُلُقه العظيم.

فهذا يُسلم ويقول: «والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه كلها إليَّ»[٣].

وذاك يقول: «اللَّهُمَّ ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً»[٤]؛ تأثر بعفو النبي ﷺ. ولم يتركه ﷺ على تحجيره رحمة الله التي وسعت كل شيء، بل قال له: «**لقد تحجَّرت واسعاً**».

والآخر يقول: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه»[٥].

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى بلفظه (١٠/ ١٩٢)، وأحمد (٢/ ٣٨١)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٦١٣)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/ ٧٥)، برقم (٤٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم (٧٤٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، برقم (٤٣٧٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنِّ عليه، برقم (١٧٦٤).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١٠).

(٥) رواه مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، برقم (٥٣٧).

والرابع يقول: «يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»[١].

والخامس يقول: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ»[٢].

والسادس يقول بعد عفو النبي ﷺ عنه: «جئتكم من عند خير الناس»، ثم يدعو قومه للإسلام فأسلم منهم خلق كثير[٣]، وهناك أمثلة كثيرة جداً.

* الخُلق الحسن هو أمنية كل مسلم وكل داعية مخلص خاصة؛ لأنه بذلك ينجو ويفوز وينجح في جميع أموره الخاصة والعامة؛ ولهذه الأهمية كان ﷺ يدعو ربه أن يهديه للخلق الحسن، فكان ﷺ يقول في استفتاحه لصلاة الليل: **«واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت..»**[٤]، وكان يقول: **«اللَّهُمَّ كما أحسنت خلْقي فحسِّن خُلُقي»**[٥].

* الخُلق الحسن يحبِّب المسلم إلى الناس جميعاً حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، وكل من جالسه

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، برقم (٢٣١٢).
(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، برقم (٢٣١٣).
(٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٤٢٨).
(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧١).
(٥) رواه البيهقي في الشعب (٦/ ٣٦٤)، وأحمد (٦/ ٦٨)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ١١٣)، برقم (٧٤).

أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك مطالبه السامية بإذن الله تعالى؛ لأن الدعاة إلى الله ﷻ لا يَسَعون الناس بأموالهم ولكن ببسط الوجه وحُسن الخُلق[١].

* من لم يتخلَّق بالخُلق الحسن من المسلمين ينفِّر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من علمه وخبرته؛ لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم، أو يبدو منه احتقارهم واستصغارهم، ولو كان ما يقوله حقاً. قال ﷻ للنبي الكريم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ﷻ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال ﷻ ممتناً على عباده: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) روى ابن أبي شيبة (٥/ ٢١٢): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط وجه وحُسن خُلق»، والبزار (٢/ ٤٤٢)، وحسّنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٩).

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧﴾ [الأحزاب].

ولا شك أنه يتعين على كل داعية أن يتخذه ﷺ قدوة وإماماً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب].

* إن صلاح الأمة وهدايتها والنهوض بها لا يكون سليماً نقياً إلا بالأخذ من المنبع الصافي، والبعد عن الأفكار الهدامة المنحرفة، والتزام المسلمين بالخُلق الحسن ودعوة الناس إليه هو من هذا المنبع، وتطبيق ذلك على أنفسهم قبل الدعوة إليه.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف]؛ ولهذا أمر الله بالعلم قبل العمل، وبالعمل قبل الدعوة إليه، فقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، فقدَّم العمل قبل الدعوة إلى الحق.

* الخُلق الحسن يجعل المسلم مستنير القلب، ويفتح مداركه، فيتبصَّر به مواطن الحق، ويهتدي به إلى الوسائل والأساليب الصحيحة في دعوة الناس الملائمة للظروف والأحوال، والأشخاص ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ الآية [الأنفال: ٢٩].

* الخُلق الحسن من أعظم الأسباب التي تُنجي من النار وتُورث الفوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم، وهذا هو غاية كل مسلم بعد رضا الله ﷻ؛ ولهذا عندما سأل النبي ﷺ رجلاً فقال له: «ما تقول في الصلاة؟» قال: أتشهَّد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار. أما والله!

ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «حَوْلها نُدَنْدِنُ»[١]، وهذا يدلُّ على أن جميع الأقوال والدعوات والأعمال؛ إنما هي من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار بعد رضا الله ﷻ.

* تَكَفَّل النبي ﷺ ببيت في أعْلى الجنة لمن حسَّن خُلقه، فقال: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحقّاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسَّن خُلقه**»[٢].

* الخُلق الحسن أكثر ما يدخل به الناس الجنة: فقد سُئل النبي ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحُسن الخُلق**»[٣].

* الخُلق الحسن من أسباب النجاة من النار: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار، ـ أو بمن تحرم عليه النار؟ ـ على كُلِّ قريب هيِّن سهل**»[٤].

* صاحب الخُلُق الحسن خير أمة محمد ﷺ؛ لقول النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[٥].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، برقم (٧٩٢)، وأحمد (٣/ ٤٧٤)، وانظر: صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٢٨).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حُسن الخُلق، برقم (٤٨٠٢)، وحسّنه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩١١)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٧٣).

(٣) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب حُسن الخُلق، برقم (٢٠٠٥)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٦٩٤)، وحسّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ١٩٤).

(٤) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب حدثنا هناد، برقم (٢٤٨٨)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٦٩٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦١١)، برقم (٩٣٨).

(٥) رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل =

* الخُلق الحسن موضوع واسع جداً يشمل: الحِلم والأناة، والجود والكرم، والعفو والصفح، والرفق واللين، والصبر والعزيمة، والثبات، والعدل والإنصاف، والصدق، والبرّ، والوفاء بالعهد، والإيثار، والرحمة، والعفَّة، والتواضع، والزهد، والكيّس والنشاط، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، والإخلاص... وهذا هو الخُلق الحسن في الدعوة إلى الله تعالى وما يتفرَّع منه.

* أما الخُلق العظيم الذي مدح الله به النبي ﷺ فهو الدين كله، والخُلق الحسن جزء منه كما ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الفتاوى»[1]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين»: «حُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصوَّر قيام ساقِه إلا عليها: الصبر، والعفَّة، والشجاعة، والعدل، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة»[2][3].

ولما كان لمكارم الأخلاق منزلة عظيمة، ودرجة سامية جليلة، ومقصداً أساسياً من مقاصد بعثة النبي الكريم ﷺ، لذا اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بهذا الجانب دراسة وبحثاً ودعوة وتأليفاً.

= أزواج النبي ﷺ، برقم (٣٨٩٥)، وابن ماجه عن ابن عباس ﷺ في كتاب النكاح، باب حُسن معاشرة النساء، برقم (١٩٧٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٥١٣)، ورواه البيهقي عن أبي هريرة ﷺ في شعب الإيمان (٦/ ٤١٥)، بلفظ: «**خيركم خيركم لنسائه وبناته**»، والحاكم عن ابن عباس ﷺ (٤/ ١٧٣)، بلفظ: «**خيركم خيركم للنساء**»، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن عساكر عن علي ﷺ (١٣/ ٣١٢)، بلفظ: «**خيركم خيركم لأهله، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم**»، وضعف الألباني هذه الزيادة في ضعيف الجامع (ص٢٤٣)، برقم (٢٩١٧).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٦٥٨). (٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٨).

(٣) استفدته من كتاب «الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعيد بن وهف القحطاني حفظه الله.

ومن هؤلاء الفضلاء والأئمة النبلاء الذين حفظ الله بهم الشريعة صاحب المعالي فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عضو هيئة العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء ـ يحفظه الله ـ الذي ألف كتاباً كبيراً سمَّاه: «**تسهيل الإلمام بفقه الأحاديث من بلوغ المرام**»، وهو كتاب نفيس لا يستغني عنه طلاب العلم ولا يشبع منه العلماء، وقد طُبع مراراً بإخراج وإشراف فضيلة الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان وفَّقه الله وبارك جهوده.

فاطلعت على درر نفيسة، وتوجيهات رصينة، وفوائد جمة في هذا الكتاب، فألفيته شرحاً قيِّماً نافعاً مفيداً لإخواني من طلاب العلم لما حواه من تأصيل بديع، فاستعنتُ بالله سبحانه ورأيتُ أن أُفرد شرح فضيلته ـ حفظه الله ـ للأحاديث التي تتعلق بالأخلاق والآداب وسمَّيته: «**إتحاف الكرام بشرح أحاديث الجامع في الأخلاق والآداب من بلوغ المرام**» ليعم النفع به بإذن الله ﷻ.

وأسأله سبحانه أن يَجْزي معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان خير الجزاء، وأن يمتعه بالصحة والعافية ويبارك له في عُمره وعلمه وعمله.

كما أسأله جل ثناؤه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم مقرباً إليه مباركاً نافعاً لعباده، إنَّ ربي سميع مجيب، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
الفقير إلى عفو ربه ورحمته
عبد الجبار بن عبد العظيم بن محمد آل ماجد
غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين
Email: a.j.majid@hotmail.com

ترجمة المصنف
معالي الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان[(١)]

اسمه، ونسبه، ونسبته:

صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان. من أهل الشماسية، من قبيلة الدواسر.

مولده ونشأته زماناً ومكاناً:

ولد الشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ عام (١٣٥٤هـ) في مدينة الشماسية في منطقة القصيم، في المملكة العربية السعودية. وتوفي والده وهو صغير، فتربى في أسرته.

وتعلَّم القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة على يد الشيخ حمود بن سليمان التلال ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو إمام مسجد البلدة، وكان قارئاً متقناً، وتولى القضاء في بلدة ضرية في منطقة القصيم.

وقد درس الشيخ الدراسة الأولية (الابتدائية) في بلده بمدرسة الحكومة حين افتتاحها في الشماسية، عام (١٣٦٩هـ). ثم أكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام (١٣٧١هـ).

ثم التحق الشيخ بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحها، عام (١٣٧٣هـ)، وتخرّج منه عام (١٣٧٧هـ).

---

(١) انظر مقدمة كتاب معاليه حفظه الله: «شرح المنظومة الحائية في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة»، اعتنى به الأخ عادل الرفاعي وفقه الله ص (٩).

ثم التحق بكلية الشريعة في الرياض، وتخرّج منها عام (١٣٨١هـ).

ثم نال شهادة الماجستير في الفقه، عام (١٣٩٧هـ) بأطروحته التي كانت بعنوان: «أهم المسائل الخلافية في المباحث الفرضية»، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، وقد طُبع الكتاب باسم: «التَّحقيقاتُ المرضيَّة في المباحثِ الفرضيَّة». وكان المشرفُ عليه شيخَه الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله تعالى ـ.

ثم حصل على درجة الدكتوراه عام (١٣٩٩هـ) من نفس الكلية، في موضوع: «أحكام الأطعمة: حِلّاً وحرمةً، واستدلالاً وترجيحاً»، وقد طُبع باسم: «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية».

مشايخه:

تلقى العلم على يد جماعة من أنبل علماء العصر، ومنهم:

١ ـ الشيخ عبد الله بن صالح بن عبد الرحمٰن الخليفي (ت١٣٨١هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

٢ ـ الشيخ العلَّامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، صاحب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (ت١٣٩٣هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

٣ ـ الشيخ العلَّامة المفتي والقاضي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن حميد (ت١٤٠٢هـ)، وكان يحضر دروسه في جامع بريدة.

٤ ـ الشيخ صالح بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم السكيتي (ت١٤٠٤هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

٥ ـ الشيخ صالح بن علي بن سليمان الناصر (ت١٤٠٦هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

٦ ـ الشيخ صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي (ت١٤١٠هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

٧ ـ الشيخ العلَّامة عبد الرزاق عفيفي (ت١٤١٥هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

٨ ـ الشيخ العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن باز، مفتي الديار السعودية في وقته (ت١٤٢٠هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

٩ ـ الشيخ حمود العقلا (ت١٤٢٢هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

١٠ ـ الشيخ إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن (ت١٤٢٦هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

كما تتلمذ الشيخ وأخذ العلم على عدد من شيوخ الأزهر الوافدين للتدريس في كلية الشريعة في جامعة الإمام.

تلامذته:

تلقى عنه العلم جماعةٌ من أنبل وأشهر العلماء وطلاب العلم في العصر الحاضر، منهم أساتذة في الجامعات وقضاة وأئمة مساجد منتشرون هنا وهناك لنشر العلم والدعوة إلى الله تعالى.

مكانته العلمية والاجتماعية:

ـ عمل مدرِّساً في مدرسة بلدته الشماسية.

ـ ثم مدرِّساً في المعهد العلمي ببريدة.

ـ ثم مدرِّساً في كلية الشريعة بالرياض.

ـ ثم مدرِّساً في كلية أصول الدين.

ـ ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء وأستاذاً فيه.

ـ ثم عضواً في اللجنة الدائمة العلمية والإفتاء. وعضواً في هيئة كبار العلماء، وما يزال في المنصبين.

وشارك في العديد من مؤتمرات: رابطة الشباب المسلم العربي، والشباب الإسلامي في غرب إفريقيا، والدعوة الإسلامية، ورسالة

المسجد، وعُيِّن عضواً في لجنة الإشراف على توجيه الدعاة في الحج، ولجنة مراجعة مؤلفات مقرر العقيدة للثانوي المطور، إضافة إلى مشاركاته المتعددة في الصحف والإذاعة والمحاضرات العامة.

مؤلّفاته وآثاره العلمية:

ـ كتاب «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد»، مجلد.

ـ كتاب «الملخَّص الفقهيّ»، مجلدان.

ـ كتاب «الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام».

ـ كتاب «أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية»، مجلد، (وهو رسالة الدكتوراه).

ـ كتاب «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية»، مجلد، (وهو رسالة الماجستير).

ـ كتاب «الإرشاد إلى توضيح مسائل الزاد»، حاشية على زاد المستقنع.

ـ كتاب «إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان».

ـ كتاب «الاجتهاد».

ـ كتاب «بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل».

ـ كتاب «بيان ما يفعله الحاج والمعتمر وتنبيهات على أخطاء يرتكبها بعض الحجاج».

ـ كتاب «البيان فيما أخطأ فيه بعضُ الكُتَّاب».

ـ كتاب «تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهباً».

ـ كتاب «التعقيب على ما ذكره الخطيب» في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ـ كتاب «التعليق المختصر المفيد على كتاب التوحيد».

ـ كتاب «تنبيهات على أحكام تخص المؤمنات».

ـ كتاب «التوحيد»، ويقع في جزئين، وهو مقرر في مرحلة الثانوية بوزارة التربية والتعليم في المملكة.

ـ كتاب «رد أوهام أبو زهرة في حق شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب».

ـ كتاب «رسائل في مواضيع مختلفة».

ـ كتاب «الرد على الشيخ السيابي في تعقيبه على فتوى شيخنا عبد العزيز بن باز».

ـ كتاب «الذكاة الشرعية وأحكامها وحكم تناول الميتة».

ـ كتاب «الذكاة الشرعية وحكم اللحوم المستوردة».

ـ كتاب «الشباب دوره ومشكلاته».

ـ كتاب «شرح العقيدة الواسطية».

ـ كتاب «إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلدان.

ـ كتاب «الضياء اللامع من الأحاديث القدسية الجوامع».

ـ كتاب «فتاوى ومقالات»، نشرت في مجلة الدعوة.

ـ كتاب «الفرق بين البيع والربا في الشريعة الإسلامية».

ـ كتاب «الفقه الأكبر».

ـ كتاب «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية»، في ثمانية مجلدات.

ـ كتاب «كيفية تغسيل الميت وتكفينه».

ـ كتاب «لمحة عن الفِرَق الضالة».

ـ كتاب «مجموع فتاوى في العقيدة والفقه»، مفرَّغة من البرنامج الإذاعي في إذاعة القرآن الكريم «نور على الدرب»، وقد أُنجز منه أربعة أجزاء.

ـ كتاب «مجموعة رسائل وفتاوى»، (مشترك).

ـ كتاب «مختصر أحكام الجنائز».

ـ كتاب «محاضرات في العقيدة والدعوة»، (صدر منه ٥ مجلدات).

ـ كتاب «معنى (لا إلٰه إلا الله) ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع».

ـ كتاب «من مشاهير المجدِّدين في الإسلام».

ـ كتاب «المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان».

ـ كتاب «الولاء والبراء في الإسلام».

وللشيخ ـ حفظه الله ـ العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية.

باب الأدب

المرادُ به: الأدب الشرعيُّ، وهو ما يتعلق بمكارمِ الأخلاق[١]، ومحاسِنِ الأعمال، وهو ما ينبغي للإنسان أن يفعله، وما ينبغي له أن يتركه.

وقد أَلَّفَ العلماءُ في الآداب الشرعية كتباً، منها **(الآداب الشرعية)** لابن مفلح، عدة مجلدات، ومنها **(منظومة الآداب)**، و**(شرح المنظومة)** وهو كتاب مشهور، وكان طلبة العلم يحفظون هذا النظم، ويقرأون شَرْحَه في المساجد على المشايخ؛ لأن هذه الآداب مهمةٌ جداً، وعلى الإنسان أن يلمَّ بها ويعرفها حتى يتخلَّق بها[٢].

وألَّف الإمام البخاري كتاب **(الأدب المفرد)**، وهو كتاب مستقل، ويذكرون كتاب الأدب ضمن مؤلفاتهم، مثل ما ذَكَرَ المصنف هنا، فهم يهتمون بالآداب الشرعية.

---

(١) قال الإمام النووي ﷺ في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ٨٠): «قال الحسن البصري: حقيقة حُسن الخلق: بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه». وقال القاضي عياض ﷺ: «وهو مخالطة الناس بالجميل والبِشر والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة والغضب والمؤاخذة».

(٢) قال الإمام ابن القيم ﷺ: «وأدبُ المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حِرمانهما بمثل قلة الأدب». مدارج السالكين، طبعة دار الكتب العلمية (٢/ ٤٠٧).

بيان حقِّ المسلم على المسلم

١ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسول الله ﷺ: «حقُّ المسلم على المسلم سِتٌّ: إذا لقيتَهُ فسلِّمْ عليه، وإذا دَعَاكَ فأَجِبْهُ، وإذا استَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فشَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ»[(١)]. رواه مسلم.

الشَّرْح

هذا حديثٌ عظيم، فيه بيان حقِّ المسلم على المسلم، المسلمون لهم حقٌّ على بعضهم بحكم الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، أُخوَّةٌ في الدين، تقتضي أن يكون المسلمُ مع أخيه المسلم كأخٍ له في النسب بل أعظم، أخوَّةُ الإسلامِ أعظمُ من أخوةِ النسب، فالمسلمِ له على أخيه المسلمِ حقوقٌ ذَكَرَ النبيُّ ﷺ منها ستّاً في هذا الحديث الصحيح:

الأول: (إذا لقيتهُ فسلِّمْ عليه) أي: يقول السلام عليكم، وإن زاد وقال: السلام عليكم ورحمة الله فأحسن، وإن زادَ فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فأحسن وأحسن، ويردُّ عليه أخوه بالمثل أو يزيد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]،

---

(١) رواه مسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، برقم (٢١٦٢).

والبداءة بالسلام سُنَّةٌ مؤكدة، وردُّ السلام واجب، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ هذا واجب.

والتسليم من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، حتى ولو كان بينهم شيءٌ من الشَّحناء، أو غير ذلك مما ينزغ الشيطانُ بينهم، فعلى المسلم أن يسلِّم على أخيه المسلم وإن كان بينه وبينه قطيعةٌ، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «... **يلتقيان فيُعرضُ هذا ويُعرضُ هذا، وخيرهُما الذي يبدأ بالسلام**»[1]، فَسَلِّم عليه ولو كان بينك وبينه سوءُ تفاهم، فهذا يُذهب الحقدَ، ويزرع المودةَ في القلب، أما الإعراض وعدمُ السلام فهذا يزيد التهاجر والتباغض، فالسلام فيه مصالح عظيمةٌ، ومعناه: الدعاء.

السلامُ من أسماء الله ﷻ، فإذا قلت: السلامُ عليكم، أي: اسم الله عليك، وبركتُه عليك، وأن يسلِّمك الله من الآفات، فالله هو السالمُ والمسلِّم ﷻ، وقيل: السلام المراد به هنا: الدعاءُ له بالسلامة، يدعو له بالسلامة من الآفات، فله معنيان: أنه من أسماء الله، أو أنه دعاءٌ بالسلامة.

وعلى كل حال هو لفظٌ عظيم، ولا يقول مثل ما يقول الناسُ في هذه الأيام: بالخير أو كيف أصبحتَ، أو ما أشبه ذلك.

قال ﷺ: «**أفشُوا السلامَ بينكم**»[2]، يقول: السلام عليكم، وإذا زاد على ذلك، وقال: كيف حالك، كيف أصبحت؟ فهذه زيادةُ خير، أما أنه يستغني بذلك عن السلام، فهذا نقصٌ فيما شرع الله ﷻ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الهجرة، برقم (٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم (٢٥٦٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون...، برقم (٥٤) من حديث أبي هريرة.

(**إذا لقيتَه فسلِّم عليه**) وكان الصحابة ﷺ إذا لقي أحدُهم الآخرَ سَلَّم عليه، فإذا افترقا أو حالت بينهما شجرة، أو جبلٌ أو شيء، ثم تلاقيا، سلَّم بعضهم على بعض، من حرصهم على إفشاء السلام[١].

الثاني: (**إذا دعاكَ فأجِبْهُ**) إذا دعاك أخوك المسلم إلى وليمةٍ، فأجبه، أو دعاك إلى أي شيء ليس فيه محظور، فأجبه، لما في ذلك من تطييب خاطره، إلا أن إجابةَ الدعوة لوليمة العرسِ واجبةٌ، وأما إجابة الدعوة لغيرها فمستحبةٌ.

الثالث: (**وإذا استنصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**) إذا استشارك في أي أمر من الأمور، زواجٍ، أو سفرٍ، أو شراء شيء، فإنك تذكرُ ما تعلم من النَّصيحة، ولا تكتم النصيحةَ عنه، ولا تُجامل أو تغش، وتشيرُ عليه بالضرر، هذه خيانة لأخيك[٢]، قال ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمةِ المسلمينَ وعامَّتِهِم**»[٣]، فإذا طلب منك النصيحةَ، يعني استشارك في شيء مشكل عليه فبيِّن له

---

(١) **يشير الشيخ حفظه الله إلى** ما أخرجه الإمام أبو داود في سننه، برقم (٥٢٠٠) في كتاب الأدب، باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلِّم عليه؟ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا لقي أحدكم أخاه فليسلِّم عليه**»، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله الحديث، رقم (١٨٦)، وحديث أنس رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون، فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة، فتفرقوا يميناً وشمالاً ثم التقوا من ورائها سلَّم بعضهم على بعض». أخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٧٩٨٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم (٢٤٦)، وصحح العلامة الألباني إسناده في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٦٣).

(٢) كما روى أبو داود في سننه في كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا، برقم (٣٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... **ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه**».

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥).

الصوابَ، في حدود ما تعرف ولا تكتمه شيئاً، وليس هذا من باب الغيبة، إذا استشارك في شخص يريد أن يشاركه، أو أن يزوِّجه، أو أن يسافرَ معه، فبين ما في هذا الشخص من خير وشر[١].

الرابع: (وإذا عَطَسَ فحَمِدَ الله فشمِّتْهُ) العُطاس نعمةٌ من الله ﷻ[٢]؛ لأنه عبارة عن رد فعل ينشأ عن إثارة نهايات الأعصاب في الأغشية المخاطية في الأنف بسبب مواد عديدة، مثل الغبار والغازات والبكتريا وما شابه ذلك، فيندفع الهواء من الأنف، ويسمع له صوت، ونتيجة لذلك يتخلَّص من العارض الذي سبَّب العطاس، فإذا تخلص من هذا العارض خَفَّ مرضاً.

فالزكام نوع من المرض، والمصاب بالزكام لا يُشمَّتُ بل يُدعَى له بالعافية، إذا عطسَ ثلاثَ مرات تشمِّته في الأولى والثانية والثالثة، وفي الرابعة تدعو له بالشفاء؛ لأنه مزكومٌ[٣]، هذا هو التشميت، أو التسميت بالسين، ويقولون: أصله بالسين من الدعاء له بحُسنِ السَّمْت، وانقلبت السينُ إلى شين، وقالوا: تشميت، ومعناه أن تقول له: يرحمُكَ الله، ولكن بشرط أن يحمدَ الله، فإذا حمدَ العاطسُ الله،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (٦/ ١٣٤).

(٢) الله جل ثناؤه يحب العطاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن الله يحبُّ العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمِّته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فيرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان**» رواه البخاري برقم (٦٢٢٣).

(٣) كما جاء في عمل اليوم والليلة للإمام ابن السني رحمه الله (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا يُشمت بعد ذلك**»، حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٣٣٠).

وقال: الحمد لله فإنك تشمِّته، وإن لم يحمد الله فلا تشمِّته[١].

وما مناسبةُ حمد الله بعد العطاس؟ ذكرنا أن العطاسَ نعمة من الله ﷻ لخروج العارض الغريب الذي سبَّبَ العطاس، فهذه نعمةٌ من الله يُحمد الله عليها، فيقول: الحمدُ لله، فإذا قال: الحمد لله تشمته بقولك: يرحمكَ الله، ثم هو يردُّ ويقول: يهديكم الله ويصلحُ بالكُمْ. ما أطيب هذه الكلمات، وما أحسنها **(وإذا عطس فشمِّته)**.

الخامس: (وإذا مرضَ فعُدْهُ) إذا أصابه مرضٌ فعليك أن تعوده لأجل التوسعة عليه، وتطييب خاطره، والدعاء له بالشفاء؛ لأن زيارة المريض لها تأثيرٌ عليه، لطيب النفس، وانشراح الصدر؛ ولأنه في مرضٍ وفي ضيق، فإذا جاء أخوه نفَّس عنه بلا شك، وخفّف عنه المرض، ولا تقل له: أنت مريضٌ، أو المرض زائد عليك اليوم، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، بل تقول: ما شاء الله، اليوم أنت أحسن، ونحو ذلك، إلا إذا رأيت علامات الموت عليه فإنك تذكره بالوصيةِ، وبالشهادة، أما ما دام لم تظهر عليه علاماتُ الموت فأنت توسعُ له وتفسح له في الأجل؛ لأن هذا يطيِّب خاطره، ويستأنس به، فزيارة المريض لها أثر كبير.

(وإذا مرض فعُدْه) حتى الكافر لا مانع من زيارته رجاءَ إسلامه فإنه يُزار، ويُدعَى إلى الله؛ لأنه الآن على فراش المرض، فهو بحاجة إلى التذكير، فإذا كان يُرجى إسلامه فإنه تُستَحب زيارتُه؛ لأن النبي ﷺ زارَ

---

(١) كما جاء في صحيح مسلم، باب تشميت العاطس وكراهية التثاؤب، برقم (٢٩٩٢)، وفي مسند أحمد (٤/ ٤١٢) من حديث أبي موسى الأشعري قال: (... سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمِّتوه**»). انظر: كتاب حديث المساء لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ﷺ صن (٣٤٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني ﷺ، الحديث رقم (٣٠٩٤).

غلاماً يهودياً كان يخدمُه عليه الصلاة والسلام، زاره وهو يهودي، وعَرَضَ عليه الإسلام، قال له: «**أسلِمْ**» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطِعْ أبا القاسم ﷺ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذَه من النار**»(١)، وزار عمَّه أبا طالب، وعرض عليه أن يشهدَ أن لا إله إلا الله، وقال: «**يا عمُّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله**»(٢)، لكن كان عنده من الجلساء السيئين الذين قالوا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب، كرر عليه الرسول ﷺ، أن يشهد أن لا إله إلا الله، فكرَّروا عليه أن يبقى على ملة عبد المطلب، فأطاعهم، وقال: هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك. الشاهد من هذا أنه تُستَحب زيارةُ المريض حتى ولو كان كافراً رجاءَ إسلامِه، لأنه في هذه الحالة أقربُ إلى الإجابة، لما أصابه من المرض وقُربِ الموت.

السادس: (وإذا مات فاتَّبِعْ جنازَتَهُ) اتباع جنازة الميت المسلم وتشييعُهُ والصلاة عليه، وحضورُ دفنِه، هذا من حقِّ المسلم على المسلم؛ لأنك إذا صلَّيت عليه ودعوتَ له، ومشيت مع جنازته، وحضرت دفنَه، ودعوتَ له بعد الدفن، واستغفرتَ له بعد الدفن، وقمتَ على قبره، كل هذا ينفع أخاكَ المسلم، **(ومن صلَّى على الجنازةِ فله قيراطٌ من الأجر،**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، بابٌ إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه وهل يُعرض على الصبي الإسلام؟ برقم (١٣٥٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٧٥) بلفظ: «أن غلاماً يهودياً كان يضعُ للنبي ﷺ وضوءَه ويُناوله نعليه، فمرض فأتاه النبي ﷺ فَدخَلَ عليه وأبوه قاعدٌ عند رأسه فقال له النبي ﷺ: «**يا فُلان! قُل لا إله إلا الله**» فنظر إلى أبيه فسكت أبوه، فأعاد عليه النبي ﷺ، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»».

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، برقم (٣٨٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أول الإيمان: قول لا إله إلا الله، برقم (٢٤).

ومن صلى عليها وتبعها حتى تُدفَنَ فله قيراطان، والقيراط مثل جبلٍ عظيمٍ من الأجر)[١].

فهذه أمور ينبغي للمسلم أن يلتزم بها، وأن يداومَ عليها مع إخوانه المسلمين أحياءً وأمواتاً، حتى الميت له عليكَ حقٌّ بالصلاة عليه، والمشي مع جنازته، وحضورِ دفنه.

وتشييعُ الجنازة فيه أيضاً إحسان إلى أهل الجنازة، لأنهم يواسونهم، ويشاركونهم في أحزانهم، ويحثونهم على الصبر على مُصابهم، فتشييع الجنازة وحضور الدفن فيه إحسانٌ إلى أهل الميت، وإحسانٌ إلى الميت، ولكن الإحسان إلى الميت أكثر، فهذه حقوق بين المسلمين، هذه الستة تجب المحافظة عليها.

ودلَّ هذا الحديثُ على أن المؤمنين إخوةٌ، وموجب هذه الأُخوَّة

---

(١) **يشير فضيلة الشيخ حفظه الله** إلى الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، برقم (١٣٢٥)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، برقم (٩٤٥).

* **وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا يبين لنا عظم شأن اتباع الجنائز، وكثير منا يفرط في ذلك ولا يبالي، وهذه من المصائب ومن ضعف الرغبة فيما عند الله ﷻ، فالكثير من الجنائز لا يتبعها إلا اليسير النادر إلا إذا كان من أصحاب الإنسان أو من أقاربه فينشط، والسنة تدعو إلى اتباع الجنائز مطلقاً وإن كنت لا تعرفها، وإن كانت ليست من أقاربك، من باب جبر المصاب، ومن باب التأثر بالموت وحضور الدفن لعل القلب يتحرك ولعله ينتبه.

فاتباع الجنائز فيه فوائد كثيرة، **منها**: إظهار هذه الشعيرة، **ومنها**: جبر المصابين ومواساتهم وتعزيتهم، وحضور هذا المشهد العظيم الذي يحرك القلوب ويدعوها إلى الاستعداد، ثم مع هذا يحصل له الفضل العظيم بأن يرجع بقيراطين والقيراط مثل جبل أحد وهذا شيءٌ عظيم». انظر: «الفوائد العلمية من الدروس البازية» جمع الشيخ الدكتور عبد السلام السليمان حفظه الله (٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤١).

هذه الأعمال الطيبة فيما بينهم، وهذا مما يزيل هذه الحزازاتِ، وهذه البغضاءَ والشحناءَ بين المسلمين[(١)].

***

(١) **فائدة**: قال الإمام موسى بن أحمد الحجاوي الحنبلي في شرح منظومة الآداب الشرعية ـ طبعة دار النوادر ـ عند شرحه لهذا الحديث ص (١٧٧):
فصلٌ: (مما للمسلم على المسلم أن يستر عورته، ويغفر زلَّته، ويرحم غُربته، ويقيل عثرتهُ، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خِلَّته، ويرعى ذمته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمِّت عطسته، ويرد ضالته، ويواليه ولا يعاديه، وينصره على ظالمه، ويكفه عن ظلم غيره، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له ما يحب لنفسه) ا.هـ.
* **وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** ﷺ في كتابه: «حديث المساء» ص (٣٣٩): «هذا حديث جامع يدل على أنه لا يكمل الإيمان ولا يتم الإيمان حتى تحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك من خير وصلاح، واستقامة، وغنى وعافية وغير هذا من وجوه الخير، ومتى وُجد في قلبك عليه حقد وما إلى ذلك من غيبة ونميمة وخيانة وغير ذلك صار ضعفاً في إيمانك ونقصاً في إيمانك».

انظروا إلى من هو أسفل منكم

٢ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «انْظُرُوا إلى من هو أَسْفَلَ مِنْكُمْ ولا تَنْظُرُوا إلى من هو فَوْقَكُمْ، فهو أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نعمة اللهِ عَلَيْكُمْ»[1]. متفق عليه.

الشَّرْح

في هذا الحديث أدب آخر إضافةً للآداب التي ذُكرت في الحديث السابق، وهو أن الإنسان لا يرغب في هذه الدنيا، ولا يجزع بما أصابَه، بل يصبرُ ويحتسبُ سواءً كان فقيراً أو مريضاً أو غير ذلك، فالدنيا دارُ ابتلاء، فلا يجزع من المصائب ومن الابتلاء، والذي يسهِّلُ عليه ذلك ما أرشَدَ إليه النبي ﷺ في هذا الحديث: (**انظروا إلى من هو دونكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمةَ الله عليكم**).

فالفقير ينظر إلى من هو أفقر منه، ولا ينظر إلى الغني، ولو شاء الله لجعلك مثلَ هذا الفقير الذي ليس عنده شيء، أنت عندك بعضُ الشيء، وعندك قوت يومك، وهذا الفقير ما عنده شيء، ليس عنده حتى قوت يومه، أنت أحسنُ منه حالاً، احْمَدِ الله على هذا، ولا تنظرْ إلى الأغنياء؛ لأن هذا يحملك على السخط على الله وعدم الرضا بقضاء الله، تقول: لماذا صرتُ مثلَ فلان، ولم أكن مثلَ الأثرياء، هذا معناه أن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه، برقم (٦٤٩٠)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٣) واللفظ له.

تزدريَ ما عندك من النعمة، أما إذا نظرتَ إلى من تحتك، فهذا يبعثك على الشكر لأن حالك أحسن من حال كثير من الناس، الصحيحُ ينظر إلى المريض فيحمدُ الله على الصحةِ، والمريضُ ينظر إلى من هو أشدُّ منه مرضاً، فيحمدُ الله على خفَّةِ المرض.

فهذه قاعدة عظيمة: **(انظروا إلى من هو دونكم)** في المال، في الصحة، وفي غير ذلك من الأمور، إلا في أمور العبادة، ففي أمور العبادة لا تنظرْ إلى من هو دونك، لا تنظر إلى الكسالى والمضيِّعين، بل انظرْ إلى الأبرار وإلى الأتقياء؛ لكي تشاركهم أو تتشبَّه بهم، ففي أمور الدين لا تنظر إلى من هو دونك، بل انظر إلى من هو فوقَكَ في الدين، لماذا لا تكونُ مثله؟ لماذا لا تقتدي بالصالحين؟ لماذا لا تقتدي بالعلماءِ وتطلب العلمَ؟

إذا كنت طالبَ علم فلا تقنع بما حصلت عليه من العلوم، بل اطلب المزيد منها ما دمت حياً، وهذا خلاف أمور الدنيا[1].

---

(١) قال الإمام محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله في كتابه الأخلاق والسير، ص (٨٩): «انظر في المال والحال والصحة إلى من دونك، وانظر في الدين والعلم والفضائل إلى من فوقك».

ما جاء في تفسير البر والإثم

٣ ـ وعن النَّوَّاس بن سمعان ﷺ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فقال: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: ما حَاكَ في صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه الناس»[1]. رواه مسلم.

الشَّرْح

(النواس بن سَمعان) بكسر السين، ويجوز فتحها.

(البرُّ): كلمة جامعة تجمع خصالَ الخير كلَّها، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فالبر كلمة جامعة تجمعُ خصالَ الخير، ويقابلها الإثمُ، والإثم يجمع كلَّ شر، وكلُّ معصية فإنها إثم، فهما متقابلان البرُّ والإثم.

وقوله ﷺ: **«البرُّ حسنُ الخُلُق»**، أي: من أعظم خصال البرِّ حسنُ الخُلُق، وليس المعنى أن البر محصورٌ في حسن الخلق، ولكن حسنَ الخلق من أعظم خصالِ البر، كما قال ﷺ: **«الحجُّ عَرَفَةٌ»**[2]، أي: أن

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم، برقم (٢٥٥٣).

(٢) رواه أبو داود في كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة، برقم (١٩٤٩)، =

الوقوف بعرفةَ هو أعظم مناسك الحج، وقال ﷺ: «**الدعاءُ هو العبادةُ**»[١]، فليست العبادةُ محصورةً في الدعاء، بل العبادةُ أنواع كثيرة، ولكن الدعاء أعظمُها، فيجوز أن يعبِّر ببعض الشيء عن كله إذا كان هذا الشيء مهماً، وقوله ﷺ: «**البرُّ حسن الخُلُق**» أي: أن حسن الخلق من أعظم خصال البر، ومن أعظم أنواع البر، والخلق صفةٌ يجعلها الله بالإنسان، قد تكون هذه الصفة حسنة فتسمَّى حسن الخلق، وقد تكون سيئةً فتُسمى سوء الخلق.

(**حسن الخلق**): يراد به البَشاشةُ، وبذلُ المعروف، وكَفُّ الأذى عن الناس، وكلُّ ما فيه إحسان إلى الناس فهو من حسن الخُلُق، وقد أثنى الله على نبيه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فحسن الخلق صفة عظيمة يجعلها الله في بعض عبادِهِ مِنَّةً منه ﷻ، وقد يكون حسن الخلق جِبِلَّةً في الإنسان، جَبَلَهُ الله عليها، وقد يكون مكتسباً بأن يعوِّد نفسه التخلُّق بالأخلاق الحميدة.

فعلى كل حال حسنُ الخلق خصلة طيبة، وعبَّر عنه النبي ﷺ في هذا الحديث بأنه البر؛ لأن من رُزق حسن الخلق وفق للأعمال الصالحة والإحسان، فحسن الخلق خصلةٌ جميلة طيبة تكسِبُ الإنسان فعل الطاعات، بخلاف سوء الخلق ـ والعياذ بالله ـ فإنه يحرم الإنسانَ من كثير من الخير، وينفِّر الناس عنه.

= والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، برقم (٨٨٩)، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة، برقم (٣٠١٦)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر، برقم (٣٠١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٠٩).

(١) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم (١٤٧٩)، والترمذي في كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المؤمن، برقم (٣٢٤٧)، وابن ماجه في كتاب أبواب الدعاء، باب فضل الدعاء، برقم (٣٨٢٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٧).

ثم قال: **(والإثم)** هذا مقابل البر «ما حاك في صدرك»، يعني تردَّد في صدرك، ولم تطمئن إليه في أمر من الأمور، **«وكرهتَ أن يطلع عليه الناس»** هذا هو ضابط الإثم، فإذا رأيت في نفسك تردداً في شيء ولم تقبله نفسُك، ولم ترتح إليه نفسُك فاتركه، هذا يدل على أنه إثم، **فالإثم استدلوا عليه بأمرين:**

الأمر الأول: الأدلة الشرعية، ما دلتِ الأدلةُ على أنه حرام، فإنه إثم، لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فالإثم كله حرام، ويُعرف هذا بالأدلة.

الأمر الثاني: فإذا خفيت الأدلةُ فراجع نفسَك، إذا لم تجد دليلاً على أن هذا الشيء حرامٌ وأنه ممنوع فراجِعْ نفسَكَ، فإن وجدت في نفسك طُمأنينةً في قَبوله فاعلم أنه خير، وإذا وجدت في نفسِك، نفرةً عنه، وعدمَ قبول له وعدم اطمئنان له، فهذا دليلٌ على أنه شر؛ لأنَ نفس المؤمن لا ترتاح إلى الشرِّ، وإنما ترتاح إلى الخير، فهي ميزانٌ لما هو خير وما هو شر، وكون الإنسان يستحي من الناس أن يظهر بهذا الشيء يدل على أن هذا الشيء إثمٌ؛ لأنه لو كان براً لما استحيا من الناس[1].

❊ ❊ ❊

(١) قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم (٨/ ١١٢): «قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى الصدقة وبمعنى اللطف والمبرة، وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق. ومعنى «حاك في صدرك» أي: تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك والخوف كونه ذنباً..».

من آداب المجالس والاجتماعات

٤ ـ وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فلا يَتَنَاجَى اثنانِ دُونَ الْآخَرِ، حتى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِن أَجْلِ أَنَّ ذٰلكَ يُحْزِنَهُ»[1]. متفق عليه، واللفظ لمسلم.

الشرح

هذا الحديث من آدابِ المجالس والاجتماعات، فإذا كانوا ثلاثةَ نَفَرٍ فإنه يُنهى أن يتناجيا اثنان، **والنجوى:** هي حديث السر، لأنهما إذا تناجيا من دونه أحدَثَ عنده الشكوك، يخافُ أنهما يتحدثان فيه، وأيضاً إذا تحدَّثا من دونه فإن ذلك يُشعره بأنهما يحتقرانه، ولا يريانه شيئاً، فيخفيان أمرَهما عنه، ويتسارَّان في حديثهما دونه؛ لأنهما لا يثقانَ به، يقعُ في نفسه ذلك، ولهذا قال ﷺ: **«من أجلِ أن ذلك يحزنه»** يحزنه، أي: يبعثُ في نفسه الحزنَ، فيقول: إما أنهم يتحدثان فيَّ، وإما أنهم يحتقرانني، فيصبحُ حزيناً بينهما.

فمن آداب المجالس أن يكون الحديثُ ظاهراً ولا يكون بين اثنين فقط دون الثالث، أما إذا كان عدد الناس كثيراً في المجلس يزيدون عن ثلاثةٍ، فلا بأس أن يتناجى الاثنان لعدم المحظور؛ لأن الباقين كثيرون،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارَّة والمناجاة، برقم (٦٢٩٠)، ومسلم في كتاب السلام باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، برقم (٢١٨٤) واللفظ له.

فلا يقع في نفوسهم شيء، فهذا من آداب المجالس. فدل الحديث على تحريم النجوى بين الاثنين دون الثالث.

ودل على أنه إذا كانوا أكثرَ من ثلاثة فإنه لا بأسَ أن يتناجى الاثنان لقوله ﷺ: **(حتى تَختلطوا بالناس)** يعني إذا زال المحظور فلا بأس.

ما جاء في النهي عن إقامة الإنسان من مجلسه

٥ ـ وعن ابنِ عمرَ رضي الله تعالى عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ من مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فيه، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا»(١). متفق عليه.

الشَّرْح

وهذا الحديث أيضاً من آداب المجالسِ، فإذا سَبَقَ أحدٌ إلى مجلس فهو أحقُّ به، ولا يجوز لأحدٍ أن يقيمه منه، سواء كان ذلك في المسجد أو كان ذلك في مجالس الناس خارجَ المسجد كالبيوت، أو كان ذلك في الجلوس في الأسواق للبيع والشراءِ، فمَن سَبَقَ إلى مكان وجلس فيه فهو أحقُّ به، ولا يجوز لأحد أن يحوِّله عنه، ولكن إذا قام صاحبُ المجلس وآثر به القادمَ فلا بأس بذلك؛ لأنه تنازل عن حقِّه، وأما أن يُقيمه بغير رضاهُ وبغير إيثارٍ منه فهذا ظلمٌ وخطأ.

فمن سبق إلى مكانٍ مباحٍ فهو أحق به من غيره كائناً من كان، سواءً كان هذا في مسجد، أو في مجلس خاص، أو في الأمكنة التي يبيعُ الناسُ ويشترون فيها، أما إذا كان المكان غيرَ مسموحٍ به من قبل ولاة الأمور، فلا يجوز لأحدٍ أن يخالف وليّ الأمر؛ لأنَّ المصلحة العامة تقتضي أن يكون هذا المكان خالياً لأجل مرور الناس، أو مواقف

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا...﴾، برقم (٦٢٧٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، برقم (٢١٧٧).

سياراتهم، أو دوابهم أو مرافقهم، فإذا منعه وليُّ الأمر فطاعةُ ولي الأمر واجبةٌ، لأنه يمنعه للمصلحة العامة، أما إذا سمح في ساحةٍ أو في مكان للناس، فكل من سبق إلى مكان فيها فهو أحقُّ به، ولا يجوز لأحد أن يقيمه منه إلا إذا سمح هو وآثر غيره بمكانه، فلا بأس أن يجلسَ فيه، **ولكن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ كان لا يجلسُ في مكان رجل حتى ولو قام صاحبه له، كان إذا قام له أحدٌ فإنه لا يجلس في مكانه**[1]، وهذا من باب التورُّع والتواضع منه ﷺ.

من جاءَ إلى مكان فإنه يجلسُ حيث ينتهي به المجلسُ، فإذا جاء إلى المسجد، فإنه يصفُّ في المكان الذي ليس فيه أحدٌ في طرف الصف؛ لأن هذا حظُّه، لماذا لم يتقدم ويكن مع السابقين؟ وكذلك في المجالس يجلسُ في المكان الذي ينتهي به، ولا يقيمُ أحداً من السابقين بغير رضاه، وتنازله من نفسه، هذا معنى قوله في هذا الحديث: **(لا يُقيمُ غيرَه من مكانِه، ويجلسُ فيه)**.

وأيضاً إذا كان المجلس ضيقاً فإن المشروع لهم أن يتفسَّحوا ويهيِّئوا له مكاناً، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجادلة: ١١]، فيُفْسِحون لأخيهم ويجلسونه في مكان كي يشاركهم في مجلس العلم، أو في مجلس الأُنس والملاطفة، فهذه هي آداب المجلس.

---

(١) انظر: صحيح البخاري في كتاب الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ...﴾، برقم (٦٢٧٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها...، برقم (٢١٧٧).

استحباب لعق الأصابع والقصعة

٦ ـ وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أَكَلَ أحدكم طَعَاماً فلا يَمْسَحْ يَدَهُ حتى يَلْعَقَهَا أو يُلْعِقَهَا»[١]. متفق عليه.

الشَّرْح

هذا في آداب الأكلِ والشرابِ، من **آداب الأكل**: أن الإنسان يبدأ ببسم الله، ويأكلُ بيمينه، ويأكل مما يليه، إذا كان الطعامُ نوعاً واحداً، كما قال ﷺ لعمر بن أبي سلمة ﷺ وكان غلاماً صغيراً في حِجر النبي ﷺ، لأنه ﷺ تزوج أمَّه فقال له: **«يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»**[٢].

ومن آداب الأكل ما جاء في هذا الحديث، أنه إذا فرغ من الطعام يحمد الله ﷻ فيقول: الحمد لله، ثم ينظف يده من الطعام ومن آثار الطعام، وذلك بلعقها بلسانه، أو أن يلعقها خادمه أو ولده أو أحداً ممن له عليه دالَّة، ولا يترك بقايا الطعام تذهب في المزابل أو في الغسل، لا يغسلُ يده وفيها بقايا طعام تذهبُ مع الماء أو يمسحها بالمنديل، ويترك بقايا طعام تعلق بالمنديل؛ لأن هذا إهانة للنعمة، فمن آداب الطعام أنه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع ومصِّها قبل أن تُمسح بالمنديل، برقم (٥٤٥٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، برقم (٢٠٣١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، برقم (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٢).

يلعق يده بعد الطعام بحيث لا يبقى فيها شيء من الطعام، ثم يغسلها بعد ذلك. لا يغسلها وفيها طعامٌ، ثم يذهب الطعامُ مع الغُسالة، وربما يذهب إلى البالوعة وإلى القاذورات، وهو طعامٌ نعمةٌ من الله ﷻ، وكذلك **جاء الأمر أيضاً يلعَقُ الصَّحفة**[١]، ولا يُترك فيها شيءٌ من بقايا الطعام لئلا يفسد هذا الطعام، أو يُلقَى في القاذورات، فهذا من احترام النعمة، بل حتى إذا سقطت لقمتُه **فإن النبي ﷺ أمره أن يأخذها وأن يميطَ ما عليها من الأذى وأن يأكلها، ولا يدَعَها للشيطان**[٢]، هذا كله من احترام النعم، ومن شُكر النعم، وعدمِ إهدار النعم.

فهذه الأطعمة التي يُصرفُ في إعدادها من باب المباهاة ومن باب البذخ والسَّرَفِ ثم تهدرُ وتلقى في مجمَّعات القمامة، أو تلقى في التراب هذا من كُفران النعم، وهناك أكبدٌ جائعةٌ بحاجة إلى لقمة العيش، فهذا خطرٌ على الأمة، ويأتي هذا في «كُل واشرب والبس وتصدق من غير سرف ولا مخيلةٍ»، فالأمور لها موازين ولها ضوابط، ونِعَمُ الله ﷻ إذا شُكرت قرَّت وزادت، وإذا كُفرت زالت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالنِّعم لها حق أن يُحتفظ بها، وأن يُنتفع بها ولا تُهدَر، إذا كانت لعاقةُ الأصابع لا يجوز للإنسان أن يتركها، فكيف بالموائد الكبيرة التي

---

(١) **يشير الشيخ حفظه الله** إلى ما أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة...، برقم (٢٠٣٣) من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: «**إنكم لا تدرون في أيهِ البركة**».

(٢) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، برقم (٢٠٣٣) (٢٠٣٤).

تُهدر وتُلقى في مجمعات القمامة، فهذا ينذر بخطر عظيم من تغيُّرِ هذه النعمة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، ولكن الله يمهل ولا يهمل ﷻ، ولو تذكر هذا الإنسان المسرفُ أكبد الجائعين الذين يتضوَّرون من الجوع ولا يجدون ما يأكلون، لو تذكر هذا لكفَّه ذلك عن الإسراف[1] والتبذير وإهدارِ النعم، وخافَ من سوء العاقبة.

فدلَّ هذا الحديث على احترامِ النِّعمِ، وعدم إهدارِها ولو كانت قليلةً، ولو كانت أثر طعام على الأصابع.

ودلَّ الحديث على أن من آداب الأكلِ أيضاً أن الإنسان يتنظفُ من آثار الطعام، بأن يمسح يدَه بالمنديل، أو يغسل يده من ما عَلِقَ بها من آثار الطعام من الأدهان أو غيرها، أما الآثارُ التي لا يؤخذ منها شيء، ولا ينتفع بها، مثل الدهن الذي يصير على اليد أو الأصابعِ، فهذا يغسَلُ لا بأس، ولا يتركُ الإنسان الدهنَ في يديه، أو يترك الدهن في فمهِ؛ لأن هذا من سوء النظافة، ويسبب روائح، **وربما يسبب أمراضاً إذا نام وهذه الأشياء في يديه أو فمهِ**[2].

---

(١) **فائدة**: أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (٢/ ٢٢١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: «**ما هذا السرف يا سعد؟!**» قال: أفي الوضوء سرف؟! قال: «**نعم وإن كنت على نهر جار**» حسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة، برقم (٣٢٩٢).

وروى البيهقي رحمه الله في سننه (١/ ١٩٧) عن هلال بن يساف قال: (كان يقال في كل شيء إسراف حتى الطهور وإن كان على شاطئ النهر).

(٢) أخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، برقم (١٢١٩) أن النبي ﷺ قال: «**من بات وفي يده غمر فأصابه شيءٌ فلا يلومن إلا نفسه**» وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٩٥٦).

فالشارعُ أمر الإنسان إذا فرغ من الطعام أن يلعق يديه(١) ويُزيل ما تبقى عليها من الطعامَ، ثم بعد ذلك يغسلُها بالماء أو يمسحُها بالمنديل، ويتمضمضُ بحيث لا تبقى رائحةُ الطعامِ أو الدسومةِ، أو إذا شرب لبناً فإن اللبن فيه دسومة، فلا ينام وفي فمه رائحةُ اللبن بل يغسل فمه، أوصى النبي ﷺ بذلك؛ لأن دين الإسلام دينُ النظافة.

---

(١) قال الإمام ابن الملقن رحمه الله في كتابه «التوضيح» (٢٦/٢٣٨): عند شرحه لهذا الحديث: «قال العلماء: استحباب لعق اليد محافظة على بركة الطعام، وتنظيفاً لها، ودفعاً للكبر».

من آداب السلام

٧ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لِيُسَلِّمِ الصَّغِيرُ على الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ على الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ على الْكَثِيرِ»[١]. متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «والرَّاكِبُ على المَاشِي»[٢].

الشَّرْح

مرَّ بنا في أول حديث أن من حقِّ المسلم على المسلم إذا لقيه أن يسلِّم عليه، وأن إفشاء السلام بين المسلمين من آداب الإسلام، مِثْلُ إطعام الطعام وطيب الكلام، والصلاة بالليل والناسُ نيام، كلها من أسباب دخول الجنة.

إفشاء السلام يعني: نشرُ السلام بين المسلمين؛ لأنه يورث المحبة ويزيل الوحشة، فإذا مرَّ بك أحدٌ ولم يسلِّم عليك لا شك أنك تجد في نفسك حرجاً عليه؛ لأنه لم يسلِّم، فإذا سلَّم زال ما في نفسك، حتى ولو كان عدواً لك وبينك وبينه شحناء، إذا سلَّم أزال الله ما بينكما من الشحناء، فإفشاء السلام لها فائدة عظيمة.

وفي هذا الحديث آداب السلام، أنه (**يسلِّم الصغير على الكبير**)؛

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير، برقم (٦٢٣١)، ومسلم في كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، برقم (٢١٦٠).

(٢) ورواه البخاري أيضاً في كتاب الاستئذان، باب يسلم الراكب على الماشي، برقم (٦٢٣٢).

لأن الكبير له حق، فيسلم عليه الصغيرُ، وإذا لم يسلم الصغيرُ يسلمُ الكبيرُ، وقد كان النبي ﷺ يسلمُ على الصبيان إذا مرّ بهم[1]، ولكن الأولى أن يسلم الصغير على الكبير.

(ويسلِّمُ المارُّ على القاعد) أي: يسلم الماشي على القاعد.

(ويسلِّمُ القليلُ على الكثير) القليلُ من الناس على الكثير من الناس، إذا تلاقت جماعاتٌ فإن الجماعة القليلةَ تسلِّمُ على الجماعة الكثيرة.

(ويسلمُ الراكبُ على الماشي) هذه من آداب السلام.

* * *

(١) كما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ١٨٣)، والأدب المفرد للبخاري رحمه الله (١٠٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: مر علينا رسول الله ﷺ ونحن صبيان فقال: «**السلام عليكم يا صبيان**»، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رحمه الله (٦/ ١٠٩٠) و(٣/ ٢٧٣).

ما جاء في سلام الجماعة وردِّهم

٨ ـ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يُجزِئُ عن الْجَمَاعَةِ إذا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عن الْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ»(١). رواه أحمد، والبيهقي.

الشَّرح

معنى الحديث أنه إذا سلَّم واحد من الجماعة كَفَى، البداءةُ بالسلام سُنَّةُ كفاية، إذا سلَّم بعضُهم، ولو واحداً منهم يكفي، وكذلك الردُّ إذا رد واحد من الجماعة، فهذا فرض كفاية، إذا سلَّمَ واحد من الكثيرين كفَى عن الباقين.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في رد واحد عن الجماعة، برقم (٥٢١٠)، والبيهقي (٩/٤٩)، وحسنه الألباني رحمه الله بشواهده في إرواء الغليل، برقم (٧٧٨)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١١٤٨) و(١٤١٢).

* **قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٧٥) عن هذا الحديث: «لم أجده في مسند أحمد رحمه الله وإنما أخرجه أبو داود، برقم (٥٢١٠) والبيهقي (٩/٤٨) وفي إسناده سعيد بن خالد الخزاعي وهو ضعيف كما في التقريب (٢٣٠٦) وتهذيب التهذيب (٤/٢١) وبذلك يُعلم وهم المؤلف رحمه الله في عزوه إلى أحمد، والله ولي التوفيق».

النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام

٩ ـ وعنه، [ـ قوله: وعنه ـ يعني عن عليٍّ ﷺ، وصوابه: عن أبي هريرة ﷺ قال]: **قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَبْدَؤُوا اليهود والنصارى بِالسَّلامِ، وَإِذَا لقيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»**[(١)].
أخرجه مسلم.

الشَّرْح

وهذا أيضاً من آداب السلام، أننا لا نبدأُ اليهودَ والنصارى والكفار بالسلام؛ لأنهم أعداءُ الله، السلام من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، أما الكافر فليس له حقٌّ، والواجب علينا أن نهجره وأن نبغضه في الله ﷻ، ولكن إذا سلَّم علينا، إذا بَدَأَنا بالسلام فإننا نردُّ عليه؛ لأن دين الإسلام دينُ المكافأة والإحسان.

فمن أحسنَ إليك ولو كان كافراً فأحسن إليه، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، هذا من باب المكافأة، لما كفُّوا أذاهم عنا، نكافئهم بأن نبرّ بهم ونحسن إليهم، فالإسلام دينُ المكافأة بالإحسان، فإذا سلَّموا علينا نردُّ عليهم.

وقد جاءت صيغةُ الرد بأن نقول: وعليكم، لا تَقُل: وعليكم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُرد عليهم، برقم (٢١٦٧).

السلام ورحمة الله وبركاته، فهذا من حق المسلم، أما الكافر إذا سلَّم عليك ترد عليه وتقول: وعليكم، هكذا كان النبي ﷺ يردُّ على اليهود إذا سلَّموا عليه، وأمر بذلك فقال ﷺ: «**قولوا: وعليكم**»(١).

وفيه أيضاً أننا نضطرُّهم في الطريق إلى أضيقِه، معناه: أننا لا نجعل لهم وسطَ الطريق أو أحسنَ الطريق؛ لأن هذا عدوٌّ لله ﷻ، فيجب أن نهينه؛ لأن الله أهانه فلا نكرمه نحن، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، فلا نجعل له وسطَ الطريق، هذا حق المسلم، وإنما نجعل لهم جانبَ الطريق، أي: لا نمنعهم من المرور، ولكن نتركهم يمرون من جانب الطريق، ولا نَدَعُ لهم وسط الطريق، وأحسنَ الطريق.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب كيف يُرد على أهل الذمة السلام، برقم (٦٢٥٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُرد عليهم، برقم (٢١٦٣).

صفة تشميت العاطس وجوابه

١٠ ـ وعنه [قوله: وعنه، يدل ظاهره على أن هذا من حديث علي ﷺ، وصوابه، عن أبي هريرة ﷺ][(١)]، **عن النبي ﷺ قال: «إذا عَطَسَ أحدُكم فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ له أَخُوهُ، أو صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله، فإذا قال لهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ الله، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»**[(٢)]. أخرجه البخاري.

---

(١) انظر: حاشية «بلوغ المرام» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ص (٧٧٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، برقم (٦٢٢٤).
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٤/ ١٢٢): «.. قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العاطس؛ يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس، ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلاً منه وإحساناً، وفي هذا لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في إيمانه حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام عديدة، ويداخله من حب الله الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في باله، ومن حب الرسول ﷺ الذي جاءت معرفة هذا الخير على يده والعلم الذي جاءت به سنته ما لا يقدر قدره. قال: وفي زيادة ذرة من هذا ما يفوق الكثير مما عداه من الأعمال، ولله الحمد كثيراً».
وقال الحليمي: أنوع البلاء والآفات كلها مؤاخذات، وإنما المؤاخذة عن ذنب، فإذا حصل الذنب مغفوراً وأدركت العبد الرحمة لم تقع المؤاخذة، فإذا قيل للعاطس: يرحمك الله، فمعناه جعل الله لك ذلك لتدوم لك السلامة، وفيه إشارة إلى تنبيه العاطس على طلب الرحمة والتوبة من الذنب، ومن ثم شرع له الجواب بقوله: «غفر الله لنا ولكم».

الشَّرح

هذا أيضاً بيانٌ للحديث الذي سبق «**حقُّ المسلم على المسلم**»، ومنها (**إذا عَطَسَ فحمدَ الله فشمِّتْه**)، فهذا الحديث فيه شرح للحديث السابق، وكيفية التشميت، وكيفية الرد، أنه إذا عطسَ وحَمِدَ الله فإنك تقول: يرحمكَ الله، ثم هو يردُّ ويقول: يهديكم الله، ويصلح بالكم.

فالعطاس نعمةٌ من الله ﷻ، لأنه يخرج البُخار الذي في الرأس، ويخفُ الإنسان بعد العطاس ويجد راحةً بعد العطاس، فهو نعمة، فلذلك يحمد الله على هذا ويقول: الحمد لله، فإذا حَمِدَ الله فإن مَن سمعه يُشمِّته، ويقول: يرحمُكُم الله، ثم هو يردُّ ويقول: يهديكُم الله ويُصلحُ بالكم. هذا من آداب العطاس(١).

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع ﷺ أنه سمع النبي ﷺ وعطس رجل عنده، فقال له: «**يرحمك الله**»، ثم عطس أخرى، فقال له رسول الله ﷺ: «**الرجل مزكوم**». ورواه الترمذي برقم (٢٧٣٤) وفيه: ثم عطس الثانية والثالثة، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا رجل مزكوم**».

قال الإمام ابن القيم ﷺ: (وقوله في هذا الحديث: «**الرجل مزكوم**». تنبيه على الدعاء له بالعافية لأن الزكمة عِلة، وفيه اعتذار من ترك تشميته بعد الثلاث، وفيه تنبيه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها فيصعب أمرها، فكلامه ﷺ كله حكمة ورحمة وعلم وهدى...) زاد المعاد (٢/ ٤٣٠).

من آداب الشراب

١١ ـ وعنه [أي: عن أبي هريرة ﷺ] **قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَشْرَبَنَّ أحدٌ مِنْكُمْ قائماً»**(١). أخرجه مسلم.

الشَّرْحُ

وهذا من آداب الشراب، أنَّ الأفضل أن يشرب الإنسان وهو جالسٌ، كما كان النبيُّ ﷺ يفعل ذلك.

ومن آداب الشراب أن لا يشرب بنَفَس واحد كما يشربُ البعير، وإنما يشرب (. . . بثلاثة أنفاس)(٢)، ويُخرج فمه من الإناء عند التنفس، (لا يتنفس في الإناء)(٣)؛ لأن ذلك يقذرُه على مَن بعدَه فيشرب بثلاثة أنفاس في كل مرة يُخرج فمه عن الإناء ويتنفس خارجه، ويشرب وهو جالس، هذا هو الأفضل، ويُكره أن يشرب وهو قائم، ولا يحرُمُ ذلك؛ لأن النبي ﷺ صحَّ عنه أنه شرب وهو قائم ليبين الجوازَ لأمته، فقد جاء إلى زمزم بعد ما فرَغَ من طواف العمرةِ والصلاةِ عند مقام إبراهيم في طواف الإفاضة يومَ النحر، جاء إلى زمزم وتناول دلواً منها وشرب عليه

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً، برقم (٢٠٢٦).

(٢) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب الشرب بنفسين أو ثلاثة، برقم (٥٦٣١)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب كراهية التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس ثلاثاً خارج الإناء، برقم (٢٠٢٨).

(٣) انظر: صحيح البخاري في كتاب الأشربة، باب التنفس في الإناء، برقم (٥٦٣٠)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب كراهية التنفس في نفس الإناء. . .، برقم (٢٦٧).

الصلاةُ والسلام وهو قائم، ليبين لأمته الجوازَ وأنه يجوز للإنسان أن يشرب وهو قائم[١]، ولكن الأفضل أن يشربَ وهو جالس.

❊ ❊ ❊

(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب في الشرب من زمزم قائماً، برقم (٢٠٢٧).

من آداب الطعام والشراب

١٢ ـ وعنه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أَكَلَ أحدكم فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وإذا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فإنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرْح

هذا من آداب الطعام والشرابِ أيضاً.

وفيه أن من آداب الأكل أن يأكلَ بيمينه، وأن من آداب الشرب أن يشرب بيمينه.

وفيه النهيُ عن الأكل والشرب باليد اليسرى، **والتعليلُ**: أن الشيطانَ يأكل ويشرب بشماله، ونحن منهيُّونَ عن التشبه بالشيطان.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٠).

* فائدة: روى الإمام أبو داود رحمه الله في سننه، برقم (٣٢)، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء، عن حفصة زوج النبي ﷺ: «**أن النبي ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ويجعل شماله لما سِوى ذلك..**».

* وله عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان يدُ رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى**».

انظر: صحيح سنن أبي داود للعلَّامة الألباني رحمه الله، حديث حفصة رضي الله عنها، برقم (٢٥) وحديث عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٦).

من آداب اللباس

١٣ ـ وعنه [أي: عن أبي هريرة] رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا انْتَعَلَ أحدكم فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وإذا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لتكن الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ»(١). متفق عليه.

١٤ ـ وعنه رضي الله عنه [أي: عن أبي هريرة] قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: لَا يَمْشِ أحدكم في نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُنْعِلْهُمَا جميعاً أو لِيَخْلَعْهُمَا جميعاً»(٢). متفق عليه.

الشرح

من آداب اللباس: لبسُ النعلين، يُلْبِسُ الرِّجْلَ اليُمنى قبل اليُسرى، وفي الخَلْع بالعكس، يخلعُ من اليسرى قبل اليمنى؛ لأن اللباس من شأنه الإكرامُ والتجملُ فيبدأ باليمين، واليمين يقدِّمها لكل مستطاب من الأكل والشرب والأخذ والإعطاءِ ودخول المسجد، وما من شأنه التنظيف وإزالةُ الأذى يقدِّم لها اليدَ اليسرى، فإذا أراد أن يخرج من المسجد يقدم رجله اليسرى، وعند الدخول يقدم رجلَه اليمنى؛ لأن الدخول إلى المسجد

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب لا يمشي في نعل واحدة، برقم (٥٨٥٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً، والخلع من اليسرى أولاً، وكراهة المشي في نعل واحد، برقم (٢٠٩٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس، بابٌ ينزع نعله اليسرى، برقم (٥٨٥٦)، واللفظ له، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، بباب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً، والخلع من اليسرى أولاً، وكراهة المشي في نعل واحد، برقم (٢٠٩٧).

إكرامٌ وعبادة، وعند الدخول في الحمَّام يقدم رجلَه اليسرى، وعند الخروج يقدم رجلَه اليمنى، وعند الوضوء يغسل اليُمنَى قبل اليسرى، وعند اللباس يُدخل يده اليمنى في اللباس قبل أن يُدخل يده اليسرى، وعند الخلع بالعكس، يخلع يده اليسرى من اللباس قبل اليمنى، هذه من آداب اللباس(١).

وكذلك من آداب لبس النعلين: أنه لا يمشي بنعلٍ واحدةٍ، بل ينعل رجليه جميعاً أو يخلعهما جميعاً، أما أنه يلبس نعلاً ويمشي بها والأخرى حافية، هذا منهي عنه، وقد جاء فيه أنه مشية الشيطان(٢)، فلا يمشي بنعل واحدة.

---

(١) وقد كان النبي ﷺ يُحبُ التيمُّن في شأنه كله، كما أخرج الإمام البخاري في صحيحه، برقم (٥٣٨٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ يُحبُ التيمن ما استطاع في طهوره، وتنعله وتَرَجُّله..**».

(٢) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى الحديث الذي أخرجه الإمام الطحاوي رحمه الله في شرح «مشكل الآثار» (٣/ ٣٨٧): عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن المشي في النعل الواحدة وقال: «**إن الشيطان يمشي في النعل الواحدة**»، وقد صحح العلامة الألباني رحمه الله إسناد هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٣٤٨).

تحريم جرِّ الثوب خُيلاء

١٥ ـ وعن ابن عمر ﵄ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إلى مَنْ جَرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ»[(١)]. متفق عليه.

الشَّرْح

من آداب اللباس: تحريمُ الإسبال، **والإسبال**: ما نَزَلَ عن الكعبين، وهو في النار، وإذا صحبه خُيلاءُ **وتكبُّرٌ** فإن الله لا ينظر إليه، هذا وعيد شديد والعياذ بالله، وقال عليه الصلاة والسلام: **«ما كان أسفلَ الكعبين فهو في النار»**[(٢)]، فالحدُّ الفاصل هو الكعبان، وما تحت الكعبين فهو إسبال محرَّم، وما من الكعبين فما فوق فهذا هو اللباس الشرعي.

والإسبال: سواءٌ قَصَدَه أو لم يقصده محرَّم؛ لأنه لا يجوز له أن يطيل ثيابَه ويقول: ليس قصدي الخُيلاء، نقول: هذا محرَّم ولو لم يقصد الخيلاء، ولكن إذا كان قصدك الخُيلاء فهذا أشد تحريماً، فالإسبال

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، وباب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، برقم (٥٧٨٣)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء...، برقم (٢٠٥٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار، برقم (٥٧٨٧).

فائدة: قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ﵀ في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٧٨): وخرج أحمد (٤/٢٤٦) بإسناد حسن عن المغيرة ابن شعبة ﵁ قال: رأيت النبي ﷺ أخذ بحُجزة سفيان بن أبي سهل وهو يقول: **«يا سفيان بن أبي سهل لا تسبل إزارك فإن الله لا يحب المسبلين»**.

محرم مطلقاً. ويُستثنى من ذلك المرأة، فالمرأة لها أن تنزل ثيابَها قدر ذراع من خلفها حتى تستر عقبيها عند المشي؛ لأنها عورة رخَّص لها النبي ﷺ أن تسبل ثيابها قدر ذراع من خلفها[(١)].

(١) **لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يُشير** إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: «**تُرخين شبراً**»، قالت: إذاً تنكشف أقدامهن. قال: «**فيُرخينه ذراعاً ولا يزدن**». أخرجه أبو داود برقم (٤١١٧)، والترمذي برقم (١٧٣١)، وأحمد (٦/ ٢٩٥)، وابن حبان (١٢/ ٢٦٥)، وعبد الرزاق في مصنفه برقم (١٩٩٨٤) وحسنه العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٨٢٨) وقال: **قلتُ**: وفي الحديث دليل على أن قدميّ المرأة عورة وأن ذلك كان أمراً معروفاً عند النساء في عهد النبوة، فإنه لما قال: «جريه شبراً»، قالت أم سلمة: إذاً تنكشف القدمان، مما يُشعر بأنها كانت تعلم أن القدمين عورة، لا يجوز كشفهما وأقرها ﷺ على ذلك، ولذلك أمرها أن تجره ذراعاً، وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ...﴾، وراجع لهذا كتابنا: «جلباب المرأة المسلمة».

من وصايا النبي الكريم ﷺ

١٦ ـ وعن عَمرو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه ﷺ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلْ واشرَبْ، والْبَسْ، وتصدَّقْ في غيرِ سَرَفٍ ولا مَخِيلَةٍ»[١]. أخرجه أبو داود، وأحمد، وعلقه البخاري.

الشَّرح

قوله: **(علَّقه البخاري)**: أي أنه يذكر الحديث بدون سند، هذه المعلَّقات عند البخاري.

والحديث هذا يقول فيه ﷺ: **(كلْ واشربْ، والبسْ وتصدقْ من غير سَرَفٍ ولا مخيلة)**، هذا فيه أمر الإنسان أن يأكلَ مما رزقه الله، ويشربَ مما رزقه الله من أنواع الأشربة المباحة، ويلبس مما رزقَه الله من ملابسِ الزينة والتجملِ، فالأصل الإباحةُ ولله الحمد، لأن الله أباحَ لنا الطيباتِ، وحرَّم علينا الخبائث، فيأكل الإنسانُ ما تيسَّر له من أنواع الطعام، ولو

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة، برقم (٣٦٠٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٨١)، وأبو داود الطيالسي برقم (٢٣٧٥)، وعلقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم في أول كتاب اللباس.
وقال الشيخ الألباني ﷺ في مختصر صحيح الإمام البخاري (٤/ ٣٢): (وجعله الطيالسي والحارث ابن أبي أسامة في مسنديهما، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً وسنده حسن، وأخرج الترمذي وابن ماجه بعضه). اهـ.
ولمزيد من الفوائد في تخريج هذا الحديث. انظر كتاب: منحة العلام في شرح بلوغ المرام (١٠/ ٧٤) لفضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان حفظه الله.

كان من الطعام الجيِّدِ، فقد أباح الله له ذلك، فلا حرج أن يأكل من الجيدِ، ويأكل من المتوسطِ، ويأكل مما تيسَّر له، ويشرب كذلك من الأشربةِ الطيبةِ اللذيذة من الماء والعصائر الطيبة، عُصار الفواكه، والخلّ والنبيذ الذي لم يصل إلى حدِّ الإسكار، كل هذا من الأشربة المباحة، فيشرب ما تيسَّر له وإن كان لذيذاً، أو يأكل مما تيسر له وإن كان لذيذاً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال النبي ﷺ: «**إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**»[1]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فيأكل الإنسانُ من الطيبات والمستلذات، ويشرب من الشراب الطيبِ واللذيذ، ولكن (من غير سَرَفٍ). والسَّرَفُ: هو الزيادةُ عن الحد الكافي.

(ولا مخيلة) والمخيلة هي الكِبر **(كل واشربْ والبس وتصدَّقْ)** تصدق على الناس وعلى المحتاجين **(من غير سرف ولا مخيلة)** والسرف هو أن يزيد الإنسان من الأكل والشرب، **فالسرف**: هو الزيادة الكثيرة من المباح.

والتبذير: هو الإنفاقُ في غير طاعة، حتى ولو كان درهماً واحداً، إذا أنفق شيئاً في معصية فهو تبذيرٌ، قال تعالى: ﴿... وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥).

باب البِرّ والصِّلة

(البِر): بكسر الباء المراد به: الخير، وأما البَر بفتح الباء، فالمراد به: كثيرُ الإحسان، وكثيرُ الخير، وهو من أسماء الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ [الطور].

والمراد هنا البر بالكسر، أي: خِصال الخير، والبِرُّ ضد الإثم، الإثم: هو الشرُّ وخصال الشرِّ، وأما البر فهو خصالُ الخير، وأنواع الخير.

(والصِّلة): بكسر الصاد، المراد بها: صِلةُ الأرحام، وهي ضد القَطيعة.

من فضائل صِلة الرَّحِم

١ ـ عن أبي هريرة ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ له في أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١]. أخرجه البخاري.

الشَّرْحُ

(**من أحبَّ**) أي: رَغِبَ (**أن يُبسطَ له في رزقِهِ، ويُنسأ له في أجَلِهِ فليَصِلْ رَحِمه**)، يدلُّ هذا الحديث على أن بسطَ الرزق، أي: كثرةَ الرزق وسِعةَ الرزق لها سببٌ، وهو صلة الرحم، فمن وصل رحمَه فإن الله يوسع له في رزقه، ويباركُ له فيه.

والرّحِم: المرادُ بهم القرابة، وهم كلُّ من يجمعك بهم قرابةٌ من جهة الأم كالأخوالِ والخالاتِ، والأجدادِ، والجدَّاتِ، أو من جهة الأبِ كالأعمامِ والعمَّاتِ، والأجدادِ والجدَّات، وأبناء هؤلاء، أبناء الأعمام وأبناء الأخوال كلُّهم يشملهم اسم القرابة واسم الرحم، ولهم حق عليك، فإن أديتَ هذا الحق فإن ذلك يسببُ لك الخير في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يُبسطُ لك في رزقك ويُنسأ لك في أجلك، وفي الآخرة لك الثواب والجنة عند الله ﷻ، فإن الله ﷻ وَعَدَ الذين يصلون ما أَمَرَ الله به أنْ يوصل وعدهم بالجنة في الآخرة.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم، برقم (٥٩٨٥). والحديث رواه مسلم أيضاً في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم (٢٥٥٧) عن أنس ﷺ.

وأما قطيعةُ الرحم فهي كبيرة من كبائر الذنوب تُوجب اللعنة، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]، وقد توعدَ الله الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار، قطيعة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن الله لَعَنَ مَن فعلها، واللعنُ إنما يكون على كبيرة من كبائر الذنوب.

وفي هذا الحديث أن صلة الرحم تسببُ للإنسان سعةَ الرزق، وأنه يبارَكُ له في رزقه، ويُبسطُ له يعني يوسَّع، وأنه ينسأ له يعني يؤخَّر في أجله، ولكن هذا فيه إشكال مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، فما الجمع بين الآية والحديث؟

أجاب العلماءُ عن ذلك عدة أجوبة:

الجواب الأول: أن عمرَ الإنسان مقدَّر لا يُزادُ ولا يُنقَصُ، ولكن إذا وصل رحمه فإن الله يباركُ له في عمره بالطاعة والخير، فمعنى **(أنه يُنسأ له في أجله)** بمعنى أنه يبارك له في عمره، فيستعمله في الخير، والعمر وإن كان قصيراً إذا استُعمل في الخير فهو طويل، وأما إذا استُعمل في الشر فهو قصير وإن كان طويلاً؛ لأنه عمرٌ لا خير فيه، ولم يستفد منه صاحبه، فمعنى **(يُنسأ له في أثره)**: يعني في أجله، بمعنى أنه يبارك له في عمره فيستغله بطاعة الله، ويفعل الخير، فيسبب له ذلك الأجر العظيم عند الله ﷻ، وإلا فالأجل هو كما قدره الله في اللوح المحفوظ لا يزيدُ.

والقول الثاني: أن معنى **(يُنسأ له في أَثَرِه)**: على ظاهره، أنه يمدد في حياته، ويطولُ عمره، أما إذا قَطَعَ رحمه فإنه يقصم عمرُه ويُنقَص عمره، فالحديث على ظاهره، وهذا من ترتيب المسببات على أسبابها،

فإن طولَ العمر، وقصرَ العمر مبنيان على أسباب، فإن كان أحسنَ إلى أرحامه ووصلَهم طال عمرُه، وإن كان قطع رحمه فإنه يقصرُ عمره، ويكون الله قدّر له ذلك، قدَّر أنه يصل رحمه فيطول عمره، وقدر على الآخر أنه يقطع رحمه فيقصرُ عمره، الحديث على ظاهره، والله جل وعلا جعل أشياء مبنية على أسبابها.

والقول الثالث: أن معنى (**يُنسأ له في أثرِه**): الذِّكْرُ الجميل بعد وفاته، فيكونُ كأنه معمّر، كأنه يعيش بين الناس وهو ميتٌ، وذلك بالثناء عليه، وبذِكْرِهِ في الخير دائماً، فكأنه حي، ولهذا يقول الشاعر:

أحسنْ لنفسك في حياتك ذكرى فالذكر للإنسان عمرٌ ثانٍ

وقيل: إنه يُرزق بذرية صالحة تدعو له بعدَ موته، فكأنه معمر، كأنه يعيش؛ لأن ذريتَه تدعو له، وكأنه متواصلُ العمر، بدعاء ذريته له، كما قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[1]، فيكون نسأ الأثر بوجود الذرية الصالحة، فإذا وصل رحمَه رزقَه الله ذريةً صالحة تدعو له بعد موته فكأنه حيٌّ لم يمت.

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١)، وأبو داود في كتاب الوصايا، باب في الصدقة عن الميت، برقم (٢٨٨٠) بلفظ: «إذا مات الإنسان...».

قطيعة الرحم من كبائر الذنوب

٢ ـ وعن جُبير بن مُطْعِم ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَدخُلُ الجنَّةَ قاطعٌ»[١]، يعني قاطعَ رحمٍ. متفق عليه.

الشَّرح

قوله: (لا يدخل الجنة قاطع) فسَّره بأنه قاطع الرحم، وهذا وعيد شديد مع قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ [محمد: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

فقطيعة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، ومن الوعيد الوارد فيها أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، وهذا من باب الوعيد، وليس معناه أنه كافرٌ، ولكن معناه أن لا يدخل الجنة، بل يعذب في النار بسبب القطيعة؛ لأن القطيعة كبيرة من كبائر الذنوب، وأصحابُ الكبائر قد يعذَّبون في النار، ولا يدخلون الجنة من أول وهلةٍ، بل يتأخر دخولهم، فيعذَّبون في النار، ثم يخرجون منها بعد ذلك.

فالحاصل: أنه ليس معناه أنه كافر، وأنه لا يدخلُ الجنة مطلقاً، وإنما معناه أنه لا يدخل الجنة من أول الأمر، بل يعذَّب في النار كأصحاب الكبائر الذين ورد في حقهم الوعيدُ، الوعيد بالنار، وبدخول النار مع أنهم من المسلمين ومن المؤمنين، فيدخلون النارَ دخولاً مؤقتاً لا مخلداً، فهذا معنى قوله: **(لا يدخل الجنة)**.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم القاطع، برقم (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم (٢٥٥٦).

وصلة الرحم تحصلُ بالإنفاق على القريب إذا كان فقيراً والإحسان إليه، وتحصل بالزيارةِ له ومؤانسته، وتحصل بأنواع من الإحسان القولي والفعلي، هذه صلةُ الرحم، قد تكون بالمال وقد تكون بالكلام الطيب، وتكون بالزيارة، وتكون بالإعانة على مصالحه وما ينفعه، كلُّ هذا من صلة الرحم[1].

---

(١) عن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصِلة**». رواه الترمذي (٦٥٨)، وابن ماجه (١٨٤٤)، والنسائي في السنن (٢٥٨٢)، واللفظ له وأحمد في مسنده (٤/ ١٧)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٨٧).
* **قال سماحة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين** رحمه الله في شرح رياض الصالحين (٣/ ١٨٥): «وصلة الأقارب بما جرى به العرف واتبعه الناس لأنه لم يُبين في الكتاب ولا في السُّنَّة نوعها ولا جنسُها ولا مقدارها؛ لأن النبي ﷺ لم يقيده بشيء معين... بل أطلق ولذلك يُرجع فيها للعرف فما جرى به العرف أنه صلة، فهو الصلة، وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة فهو قطيعة».
ولمزيد من الفوائد في أهمية صلة الرحم. انظر كتاب: صلة الرحم ضوابط فقهية وتطبيقات معاصرة تأليف صاحب الفضيلة الشيخ فهد بن سريّع بن عبد العزيز النغيمشي وفقه الله، نشر دار المنهاج بالرياض.

ستة خصال نهى عنها النبي ﷺ

٣ ـ وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وقال، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[١]. متفق عليه.

الشرح

ذكر في هذا الحديث ستةَ أشياء أنها محرمةٌ ومكروهةٌ.

الأولى: (عقوق الأمهات) المرادُ به معصيةُ الأمهات؛ لأن الوالدين أقربُ الأقارب، فصلتُهم آكدُ الصلة، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

فيبدأ الإنسانُ بالوالدين، بالإحسان إليهما بالإنفاق عليهما، والرحمة بهما، والعطفِ عليهما، والكلام الطيِّب، وعدم الإساءة إليهما؛ لأن حقَّ الوالدين يأتي بعد حق الله ﷻ، وعقوقُ الوالدين من أعظم كبائر الذنوب، وذَكَرَ الأم بالذات؛ لأن حقها أعظمُ، وإلا فالوالدُ أيضاً له حق، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، ولكن ذكر الأم هنا وحدها لآكدية حقها؛ لأنه ﷺ لما سُئل من أبرُّ؟ قال: **«أمك»**، قال: ثم من؟ قال: **«أمَّك»**، قال: ثم من؟ قال: **«أمَّك»**، قال: ثم من؟ قال: **«أباك»**[٢]، ففي

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم (٥٩٧٥)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات...، برقم (٥٩٣).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب بر الوالدين، برقم (٥١٣٩)، والترمذي =

المرة الرابعة قال: أباك؛ لأن الأم قاستْ من التعب والمشقة أكثر من الوالد، قاست الحمل وما فيه من مشقة والتعرض للأمراض، وقاست الولادة وما فيها من الخطر، وقاست الرضاع والتربية وما فيها من المشقة والتعب، فهي قاست أكثر من الأب، ولذلك كان حقها أعظم، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

فالأم تقاسي أكثر من الأب، فحقها أعظم، وصلتُها ألزمُ وآكدُ، والأب أيضاً له حق؛ لأنه قاسى من التعب في تحصيل الرزق للولد والسعي عليه والولدُ قاصرٌ وضعيفٌ، والوالد يتعبُ ويسافر ويتعرض للأخطار يطلبُ الرزق لولده وينفق عليه، فله حق، والوالد أيضاً يشفق على ولده ويحبه حباً شديداً ويعطف عليه فله حق أيضاً، ولكن الأم أكثر، فلذلك خصّها بالذكر في هذا الحديث.

حرَّم الله عقوقها بأي نوع من العقوق، سواءً بقطع النفقة عنها، أو عقوقها بالكلام القاسي، أو عقوقها بعدم إجابتها إذا طلبت منه حاجةً، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿... إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]، ويقول جل وعلا: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن].

الثانية: (ووأد البنات) وأد البنات هذا كان معروفاً في الجاهلية، أنهم كانوا يدفنون البنتَ وهي حيةٌ حتى تموتَ تحت التراب خشيةَ العار،

= في أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في بر الوالدين، (١٨٩٧). وأحمد (٥/٣)، والحاكم (٤/ ١٥٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣)، وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء، برقم (٢١٧٠).

يخشون أن تجرَّ عليهم عاراً، فهم يكرهون البنات كراهيةً شديدة، مما حملهم على التخلُّص منهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل]، فإذا ولدتِ له البنتَ كرهها، فهو بين أمرين: إما أن يُبقيها على قيد الحياة في الذل والهوان، وإما أن يدفنها تحت التراب حيةً فتموت.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ والموؤودة هي البنتُ تُدفنُ حيةً ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير]، وهذا من فعل الجاهلية، كما أنهم كانوا يقتلون الأولاد ذكوراً وإناثاً خشيةَ الفقر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

فكانوا يقتلون الأولادَ خشية الفقر لأنهم يُسيئون الظنَّ بالله ﷻ، ولا يؤمنون بأن الله إذا خَلَقَ نفساً خلق لها رزقَها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]؛ لأنهم ليس عندهم إيمان، ولذلك حملهم ذلك على قتل الأولاد خشية الفقر، وهذا ما يذكر الآن وتعقد له المؤتمراتُ من طلب تحديد النسل خشية كثرة الأولاد فتشحُّ المواردُ ويقل الرزقُ؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ﷻ، لا يؤمنون بأن الأرزاق بيد الله، وأن الله إذا خَلَقَ نفساً قدَّر لها رزقها، وكثرةُ الأولاد فيها خيرٌ؛ لأنه إذا كثر الأولاد يكثر الإنتاج ويكثر العمال ويكثر المنتجون على العكس مما يعتقدون، وكثرة الأولاد فيها قوة للأمة، إذا كثرت الأمة وكثر عددها صار ذلك قوة لها، أما إذا قلَّتْ صار ذلك ضعفاً في الأمة.

فالحاصلُ: أن هذا من دين الجاهلية، وهو قتلُ الأولاد خشية الفقر، وقتلُ البنات خشيةَ العار، ومنهم صنفٌ ثالث يذبحون أولادَهم تقرباً إلى الأصنام، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] لأصنامهم، فهم يتقرَّبون إلى الأصنام بأنواع من القربات منها ذبحُ الأولاد، وذبحُ البهائم.

الثالثة: (ومَنْعاً وهاتِ) حرَّم الله المنع، منعَ الأموال وعدمَ الإنفاق، فهم يجمعون ويمنعونَ، والله جلَّ وعلا أمر بالإنفاق الواجب، والإنفاق المستحبِّ، الإنفاق على النفس، وعلى الأقارب والمحتاجين، والإنفاق في سبيل الله بالصدقات والتبرعات، وآكد ذلك إخراج الزكاة، وبعضُ الناس لا يُخرجُ الزكاة شُحًّا بالمال.

(منعاً): أي يمنع ما أوجبَ الله عليه في مالِهِ.

(وهات): يطلب المالَ من أي وجه، بأي وسيلةٍ حَصَلَ على المال من حرام أو من حلال[١]، المهم أنه يجمع المالَ، فهو يجمعُ ويمنعُ، جَمُوعٌ منوعٌ، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج].

جَمَعَ المالَ وأوعاه، أي: أغلق عليه، ولم يُنفق منه شيئاً من البُخل، والله حرّم هذا، وفي الحديث: أنه في يوم القيامةِ يُسأل عن ماله من أينَ اكتَسَبَه وفيمَا أنفَقَهُ[٢].

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى قول النبي صلوات الله وسلامهُ عليه: «**ليأتين على الناس زمانٌ لا يبالي المرءُ بما أخذ المال، أمِنْ حلال أم من حرام**» رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٠٨٣)، وأحمد في مسنده «٢/ ٤٣٥».

(٢) رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، برقم (٢٤١٦) و(٢٤١٧)، وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٩٤٦).

الرابعة: (وكَرِه لكم قيل وقال) كَرِه، مثل حرَّم؛ لأن الكراهةَ معناها التحريم، قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ [الإسراء] أي: محرّماً، فمعنى كره الله ذلك: يعني حرَّمه **(قيلَ وقالَ)** قيل: فعلٌ ماضٍ، وقال: فعلٌ ماضٍ، أي أن الإنسان همُّه إشاعة الأخبار، همه تلقي الأخبار والسؤالُ عنها وإشاعتُها، ما له شغل إلّا ما قال فلان، وفلان قال كذا وكذا، وبدون تثبُّتٍ، وقد يكون كذباً.

وفي الحديث: «**كَفَى بالمرءِ إثماً أن يحدِّث بكل ما سَمِع**»[1]، والنبي ﷺ يقول: «**مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعينِه**»[2].

فلا يشتغل الإنسان بالقيل والقالِ وكثرةِ الكلام، لاسيما إذا كان هذا فيه تحريشٌ وإفسادٌ بينَ الناس، هذا كبيرةٌ من كبائر الذنوب، وكذلك إذا كان يتتبَّعُ غلطاتِ العلماء ويُشيعُها، قال فلان كذا، وكذا ردَّ عليه بكذا، من أجل الإيقاع بين أهل العلم، فهذا أيضاً من أعظم المحرَّمات، فالإنسان لا يتتبع الأخبار والأقوال ويشيعها، إنما يتلقى ويروي ما كان فيه مصلحةٌ وما كان فيه خير، ويترك ما لا خيرَ فيه من فضول الكلام، يقول الله عز وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات].

الخامسة: (كثرةُ السؤالِ) يكرهُ الله كثرةَ السؤال، السؤال في الأموال، إلا عند الحاجة، فالإنسان لا يسأل الناسَ أموالهم إلّا عند

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، برقم (٥)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب، برقم (٤٩٩٢) واللفظ له.

(٢) رواه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب حديث «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، برقم (٢٣١٨).

الحاجة، فيسأل بقدر حاجته؛ لأن المسألة حرامٌ إلا عند الضرورة، ورخَّص النبي ﷺ بها في **ثلاث حالات**:

١ ـ إذا كان أصابته جائحةٌ في ماله، فيسأل حتى يصيبَ قواماً من عيش، أو تسديداً لهذه الجائحة.

٢ ـ أو تحمَّل حمالةً غرامةً، وليس عنده لها وفاءٌ، أو أنه يصلحُ بين الناس وتحمَّل حمالةً لأجل الإصلاح، فيسأل حتى يسددَ هذه الغرامةَ، فهذا يجوز له.

٣ ـ أو أنه أصابته فاقةٌ، أصابه الجوعُ فيسأل حتى يُصيبَ سداداً من عيشٍ ثم يمسك، وغير ذلك لا تحلُّ المسألة كما قال النبي ﷺ[(١)].

فإذاً كثرةُ السؤال هذا في الأموال، وكذلك السؤالُ في مسائل العلم، فلا يكثر الإنسان السؤال بل يسأل قدر ما يحتاج هو إذا عرضت له مشكلةٌ، فيسأل إذا أشكلت عليه مسألةٌ من مسائل العلم، أما أنه يسأل عن أشياء لا يحتاجُ إليها، وليس هي بواقعةٍ، وإنما هي فرضيات وافتراضات، فلا يسأل عن هذه الأمور، وكذلك لا يكثرُ سؤالَ العلماء من باب الإحراج لهم والامتحان؛ لأن بعضَ الناس يريد أن يمتحن العالمَ، ويكثرَ عليه الأسئلة من أجل أن يعجزه، فلا تحرج العالمَ بأسئلة لست بحاجة إليها، وإذا أردت السؤال فأحسنْ صياغة السؤال، وألقه بأدبٍ لا بجفاء، فكثرةُ السؤال سواءً في الأموال أو في العلم أو في الأمور العادية، هذا كله من باب العَبَث، اسأل بقَدْرِ ما تحتاج من مالٍ أو من علم، أو من أمورٍ عادية تريدُ من ورائها مصلحةً لك أو للمسؤول عنه فلا بأس.

---

(١) **يشير الشيخ حفظه الله** إلى حديث قبيصة بن مخارق الهلالي ﷺ، الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، برقم (١٠٤٤).

السادسة: (**وإضاعة المال**) لا شكَّ أن المال كما يقولون: عَصَبُ الحياة، وهو نعمة من الله جل وعلا، أمرنا بالمحافظة عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥]، فالأموال نعمةٌ من الله، فإذا حصلت على مالٍ فعليك بالمحافظة عليه وعدم إضاعته، سواءً بإنفاقه في ما لا فائدةَ فيه، أو أنك تهملُه ولا تضعه في أمكنةٍ مأمونةٍ، وإنما تضيعُهُ ولا تحافظ عليه، هذا منهيٌّ عنه. الأموال عهدةٌ عندك وأمانةٌ عندك وأنت مسؤولٌ عنها، ولا تضيعها لا بإنفاقها في غير فائدةٍ، ولا بعدم حفظها، والعناية بها.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن الإنفاقَ على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن تكونَ النفقة في طاعةِ الله، هذه مرغوب فيها، وليس هذا من إضاعة المال، بل هذا هو المقصودُ بالمال.

الحالة الثانية: إنفاقُ المال فيما تحتاجُه، هذا أيضاً ليس فيه لومٌ، إنما جُعِلَ المال للحاجة، فإذا أنفقته في حوائجكَ فأنت لا تُلام على هذا.

الحالة الثالثة: أن ينفقه في معصية الله، وهذا تضييعٌ للمال وحرامٌ ولو كان شيئاً يسيراً، حتى ولو كان درهماً واحداً، والله جل وعلا يقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

فإنفاق المال على ثلاثة درجات:

الدرجة الأولى: إنفاقُه في الواجبات، وهذا لا بدَّ منه كإخراج الزكاة، والإنفاق على نفسك وعلى أولادك وعلى أقاربك.

الثانية: الإنفاقُ في المستحبات، كالتبرُّعات للمحتاجين والمشاريع الخيرية، وهذا أيضاً مرغوب فيه، وليس هو من إضاعة المال.

الثالثة: إنفاقه في المباحات، ليس بالواجبات ولا بالمستحبات وإنما في المباحات، بأن تشتري ما تأكل من الفواكِهِ ومن اللحوم،

وتشتري ما تلبسُ من الملابس الجديدة، والمساكن المناسبة، والمراكب المناسبة لك، فهذا أيضاً قيل: إنه لا بأس به، وقيل: لا بل يقتصد، يقتصدُ في المباحات ولا يشتري لنفسه كلَّ ما طلَبَتْ وكل ما اشتهتْ، بل يقتصد في ذلك ويعتدل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

فالإنفاقُ في طاعة الله ليس تضييعاً للمال، وإن كان كثيراً، والإنفاقُ في معصية الله هذا إسرافٌ وإن كان درهماً واحداً، أنت مسؤول عنه يوم القيامة فيم أنفقته؟

واجعلْ هذه الآية هي الميزان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧]، يكون وسطاً بين الإسراف وبين البخل، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ هذا هو البخل ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ هذا هو الإسراف ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء]، فالذي ينفق المالَ في الشهوات المحرمة، في الأسفار إلى البلاد الكافرة للنزهة، وينفق الأموال في الفنادق، وفي المتنزَّهات، ويخالطُ الكفار، هذا إسرافٌ، **وهذا من إضاعة المال وهو سيُسأل عنه يومَ القيامة فيمَ أنفقه؟**[1].

---

(١) يشير **فضيلة الشيخ حفظه الله** إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق...، برقم (٢٤١٦)، والبيهقي في شُعب الإيمان، برقم (١٦٤٧) عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما عَلم؟**».
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة للألباني ﷺ (٢/ ٦٢٩).

رضا الله في رضا الوالدين

٤ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالِدَين، وسَخَط الله في سخط الوالدين»(١). أخرجه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم.

الشَّرح

تقدم في الحديث الذي قبلَ هذا أن عقوقَ الأمهات مما حرَّمه الله، وفي هذا الحديث أن رضا الله جل وعلا في رضا الوالدين، فإذا أردت أن يرضى الله عنك فارضِ والديك، وإذا أردت أن يسخَطَ الله عليك فأسخِطْ والديك؛ لأن الجزاءَ من جنس العمل، فهذا يدل على عِظَم حق الوالدين، حتى الكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان].

فالوالد الكافرُ يُصَاحبُ في الدنيا معروفاً، بأن يُنفق عليه، ويُحسنَ إليه، ويُبرَّ به، لكن لا يطيعُه في معصية الله، قال ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق**

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الفضل في رضا الوالدين، برقم (١٨٩٩)، وابن حبان برقم (٤٢٩)، والحاكم (٤/ ١٥١). وحسنه الألباني ﷺ في سلسلة الأحاديث الصحيحة بمجموع طرقه (٢/ ٤٤).

في معصيةِ الخالق»[1]، وأخرج البخاري ومسلم نحوه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ بلفظ: «**لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف**»[2]، فلو أمرك والدُك بترك الصلاة فلا تطعه، لو أمرك أن تشرب الدخان أو تشتري الدخان فلا تطعه، هذه معصية، وليس هذا من العقوق، بل لو أطعته في المعصية صار هذا هو العقوقُ، فعليك أن تطيعَ والديك بالمعروف، يعني غير معصية.

(**رضا الله في رضا الوالدين، وسخطُ الله في سخط الوالدين**)، ولما جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد قال: «أحيٌّ والداكَ؟» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[3]، فردَّه إلى والديه، وجعل برَّه بهما من الجهاد في سبيل الله ﷻ، فدل على أنه لا بدَّ من استئذان الوالدين في الجهاد، قالوا: وهذا في الجهاد الذي هو فرضُ كفاية، لا بد من استئذان الوالدين، أما الجهادُ الذي هو فرضُ عين فلا يُستأذن الوالدان.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٢٦، ٤٣٢)، وعبد الرزاق في مصنفه، برقم (٢٠٧٠٠)، والطبراني في الكبير (١٨/ برقم ٤٣٢ ـ ٤٣٥، ٧٥١).

(٢) هو جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٠)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، برقم (٣٠٠٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، برقم (٢٥٤٩).

الإحسان إلى الجار

٥ ـ وعن أنسٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حتى يُحِبَّ لِجَارِهِ ـ أو قال: لِأَخِيهِ ـ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[(١)]. متفق عليه.

الشَّرْح

الجارُ له حقٌّ من جملة الحقوق العشرة التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، هذه عشرة حقوق منها حق الجار، وهو الذي يجاورك في السكن.

فإن كان **مسلماً قريباً** فله ثلاثةُ حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام.

وإن كان **مسلماً غير قريب** فله حقَّان: حق الجوار، وحق الإسلام.

وإن كان **كافراً فله** حق واحد: حق الجوار، بأن تُحسن إليه ولا تسيء إليه.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، برقم (٤٥) واللفظ له.

قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يُؤمن عبدٌ حتى يحب لجاره ـ أو قال: لأخيه ـ ما يحبُّ لنفسه**»، وهنا يقول: «يحب لجاره ما يحب لنفسه»، فكما أنك تحب لنفسك الخير، يجب أن تحبه لجارك، وكما تكره لنفسك الشر، يجب أن تكرهه لجارك، فكما أنك لا تحب أن يسيء إليك جارك فلا تسيء إليه، وكما تحب أن يحسن إليك جارك فأحسنْ إليه، عليك أن تحب للناس ما تحبه لنفسك، وتأتي إلى الناس ما تحب أن يؤتى إليك(١)، الإنسان ينصفُ من نفسه فهذا فيه حق للجار، وأنه حق عظيم.

(**والذي نفسي بيده**) هذا حلفٌ، حَلَفَ ﷺ، وهو الصادقُ المصدوق من باب التأكيد والاهتمام.

(**لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ لجاره، ما يحب لنفسه**) هذا نفيٌ للإيمان، وليس معناه نفي كلِّ الإيمان بمعنى أنه يكون كافراً، لا، هذا معناه نفي كمالِ الإيمان، (**لا يؤمن**) يعني: لا يكمل إيمانه، بدليل القاعدة الشرعية أن مرتكب الكبيرة لا يكفر وإنما ينقص إيمانه، فهذا من الأحاديث التي فيها بيان نقصانُ الإيمان.

(**حتى يحبَّ لجاره ما يحب لنفسه**) هذا فيه حق الجار، وأنك تساويه بنفسك، فإذا كنت تكره الإساءة إليك فلا تسيء إلى جارك، كما أنك تكره الأذى فاكرهْهُ لجارك، يجب أن لا يصدر منك في حقه أي أذًى، وكما تحب لنفسك دخولَ الجنة، وتحب الخيرَ عليك أن تحبه لجارك، فإذا رأيتَ منه تقصيراً في طاعةِ الله فإنك تُناصحُه، لأنك تحب لنفسك الطاعةَ والخيرَ والإيمان ودخولَ الجنة، فلا ترى جارَك على

---

(١) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه فليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه» رواه ابن أبي شيبة رحمه الله في كتاب الزهد، برقم (٣٥٧٠٥)، وذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في الفوائد ص (٢١٧).

معصيةٍ وعلى مخالفةٍ وعلى إثم وتسكت عن ذلك؛ لأن هذا من الغش، فمن محبة الخير للجار مناصحتُه بالتي هي أحسن[١].

---

(١) **لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يُشير** إلى ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/٣٦٥)، والطبراني في معجمه الكبير (٨/ ١٣٠/ ٧٥٢٣) من حديث أبي أمامة ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو على ناقته الجدعاء في حجة الوداع يقول: «**أوصيكم بالجار**»، حتى أكثر فقلتُ: إنه يورثه». صححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٥٧٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «... **إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال: صِدق الحديث، وأداء الأمانة وحُسن الجوار، فإن أذى الجار يمحو السيئات كما تمحو الشمس الجليد**».

حسنه العلَّامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٩٩٨): وقال: رواه الخلعي في الفوائد (١٨/ ٧٣/ ١).

* وأخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد، برقم (١١١)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق برقم (٣٤٥): عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «لقد أتى علينا زمان ـ أو قال حينٌ ـ وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت النبي ﷺ يقول: «**كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب! هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه**»».

أَيُّ الذنب أعظم؟!

٦ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ النبي ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قال: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ، قلت: إِنَّ ذلك لَعَظِيمٌ، قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[(١)]. متفق عليه.

الشَّرْح

(**أن تجعلَ لله نداً**) النِّدُّ: هو الشريك الشبيهُ (**وهو خلقك**): وهو الذي انفردَ بخلقك، فكيف تجعل معه شريكاً من المخلوقين مثلك، فالعبادةُ حق للخالق ﷻ، وليست للمخلوق، وقوله: (**وهو خلقك**) هذا فيه ذمٌّ للشرك، كيف تسوِّي المخلوق بالخالق، هذا من أعظم الظلم والتنقُّص لله ﷻ، والشركُ هو أعظم الذنوب على الإطلاق، وهو أكبر الكبائر.

يليه قتلُ النفس بغير الحق، وهذا من أكبرِ الكبائر، بعد الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، فقتلُ النفوس بغير حق من أعظم الكبائر بعد الشرك، وقتلُ القريب أعظمُ أنواع القتل، فإذا قتلَ قريبه فهذا فيه جريمتان: **الجريمة الأولى**: قتلُ النفس

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، برقم (٤٤٧٧) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده، برقم (٨٦).

بغير حق، **والجريمةُ الثانية**: قطيعةُ الرحم والإساءة إلى القريب، فإذا قتلَ أباه أو قتل ابنَه أو قتل أخاه أو قريبه، فهذا أعظم أنواع القتل، وإلا فقتلُ النفس بغير حق كلُّه حرام وكبيرة، ولكن قتل القريب أشدُّ، لا سيما إن صحبه سوءُ اعتقاد (**خشيةَ أن يطعمَ معكَ**) سوء اعتقاد بالله ﷻ، كما كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر.

(**أن تزاني حليلةَ جارك**) الزنى حرام مطلقاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]، فالزنا حرام مطلقاً، ولكن الزنا بزوجة الجار أشدُّ؛ لأن الجار ائتمنك وجاورك، فإذا خنته في أهله فهذا أعظمُ أنواع الخيانة، والعياذُ بالله.

(**أن تزاني**) وتُزاني هذا فيه مشاركةً من الطرفين، وأنَّ المرأة رضيتْ. كلٌّ منهما رضي بالزنى، فتكون قد أفسدتها عليه، إذا زنيتَ بها أفسدتها عليه، وتعدَّيتَ عليه، مع أن المفروضَ المحافظةُ على حُرمة جارك كما تحافظُ على حرمتك، وأن تستُرَ عوراتِ جارك، كما تستر عوراتِ نفسك، لأنه جارُك وله حقٌّ بأن تستُرَ عليه بأن تحترمه، بأن تحسن إليه، بأن تكفَّ الأذى عنه[1]، هذا من حقوق الجوار.

---

(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/٨)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم (١٠٣) من حديث المقداد بن الأسود ﵁ قال: سأل رسول الله ﷺ أصحابه عن الزنى؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فقال: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام، حرمها الله ﷻ ورسوله، فقال: «**لأن يسرق من عشرة أهل أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره**».

* **قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز** ﷺ: «.. وبعض الناس لا يبالي بالأذى، فيؤذيهم إما بأسماع آلات الملاهي، وإما بأشياء أخرى تؤذيهم في بيوتهم، أو يلقي حول أبوابهم ما يؤذيهم، فالواجب الحذر من إيذائهم بالقول أو العمل، وأن تكون عوناً لهم على الخير، تُكرمهم، وتحسن إليهم وتزورهم، =

ما جاء في أن التسبب إلى شتم الوالدين من الكبائر

٧ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، أن رسولَ الله ﷺ قال: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قال: «نعم يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»[(١)]. متفق عليه.

الشَّرْح

في هذا الحديث أنه لا يجوز للإنسان أن يكون سبباً في الإساءة إلى والديه، فكما أنه هو لا يُسيءُ إلى والديه، فلا يكون سبباً في الإساءة إليهما، وأعظمُ الإساءة الشتمُ والسبُّ، فلا يجوز له أن يتسبب في شتم والديه، قال ﷺ: (من الكبائر شتمُ الرجل والديه)، فاستغرب الصحابةُ

= ويزورونك ما دامت الحالة مستورة، وليس هناك ما يمنع من الزيارة، أما إن كان هناك ما يمنع، كإظهارهم المعاصي والبدع، فهم جديرون بالهجر إذا أظهروا المعاصي والبدع، ولم يتوبوا، هم جديرون بالهجر، وعدم الزيارة، وعدم إجابة الدعوة، أما إذا كان الجار مستوراً، أو طيباً، فالتزاور بينك وبينه، والإهداء بينك وبينه، والإكرام والإحسان؛ كله مطلوب، والحديث يدل على وجوب ذلك؛ لأنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»، «فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»، «فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ».

هذا يدل على وجوب ذلك، وأن عدمَ هذا نقصٌ في الإيمان، فإكرام الجار، والإحسان إليه، وكف الأذى عنه من تمام الإيمان، وعدم ذلك من نقص الإيمان...». انظر: كتاب حديث المساء لسماحته ﵀ ص(٣٢٧) جمع وترتيب أمين مكتبة سماحته الأخ الشيخ صلاح الدين عثمان أحمد وفقه الله.

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يَسُبُّ الرجل والديه، برقم (٥٩٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٩٠).

هل هناك مؤمن يسبُّ والديه، ويشتمُ والديه؟ قال: (نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسبُّ أمَّه فيسب أمه).

والتسبب له حكمُ المباشرة، فلا يسب والديه هو، ولا يتسبب في سبِّهما، فكما يحترم والديه يحترمُ والدَي الآخر، لأن لهما حرمةً، وهذا استدلوا به على **قاعدة سد الذرائع**؛ لأن سبَّ الآخرين **ذريعةٌ إلى سبِّ الوالدين**، وما كان يُفضي إلى الحرام فهو حرام، فهذا فيه سد الذرائع، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

سبُّ الأصنام هذا واجبٌ؛ لأنه من إنكار المنكر، ولكن إذا ترتب على هذا الإنكار منكرٌ أعظم، وهو أنهم يقابلون ذلك بسبِّ الله ﷻ، فإن الإنسان يمتنع احتراماً لله ﷻ، لا من أجل احترام الأصنام، وإنما من أجل احترام حق الله ﷻ، فإذا كان إنكارُ المنكر يؤدي إلى منكر أعظم منه، فإنه يمتنع، ويكون هذا من ارتكاب أخفِّ الضررين، لدفع أعلاهما، ويكونُ هذا من قاعدة سدِّ الذرائع التي تفضي إلى الحرام، فلا يجوز لك أن تسب والديكَ أو تشتمَ والديك مباشرة، ولا أن تتسبب في ذلك[1].

---

(١) قال الإمام ابن الملقن رحمه الله في كتابه التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٨/ ٢٤٤): «هذا الحديث أصل في قطع الذرائع، وأن من آل فعله إلى محرم وإن لم يقصد كمن قصده وتعمَّده في الإثم، ألا ترى أنه ﷺ نهى أن يلعن الرجل والديه، فكان ظاهره تولي اللعن، فلما أخبر أنه إذا سب أبا الرجل فسب الرجل أباه وأمه كان كمن تولى ذلك بنفسه، وكان ما آل إليه فعله أنه كلعنه في المعنى؛ لأنه كان سببه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وهذه من إحدى آيات سد الذرائع، **والثانية**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، **والثالثة**: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ...﴾ [النور: ٣١]، وكذا قال (المازري): يؤخذ منه المنع من بيع ثياب الحرير ممن يلبسها وهي لا تحل له، وبيع العنب ممن يعصره خمراً ويشربه؛ لأنه ذكر فيه أن من فعل السبب، فكأنه الفاعل لذلك الشيء مباشرة».

تحريم الهجر بين المؤمنين

٨ ـ وعن أبي أيوب ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذا وَيُعْرِضُ هذا، وَخَيْرُهُمَا الذي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[(١)]. متفق عليه.

الشَّرح

الواجبُ على المؤمنين أن يكونوا إخوةً بأخوَّة الإيمان ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالمؤمنون إخوة بالإيمان، وهي أخوَّةٌ أقوى من أخوَّة النسب، فلا يكون بين الأخوين من المؤمنين قطيعة، كما أنه لا يحصل قطيعةٌ بين الأقارب، وهذا قد سبق بيانه، فكذلك لا يكون قطيعةٌ بين المؤمنين عموماً، وإنما يكون بينهم التواصل والمحبة؛ لأنهم إخوة في الله ﷻ، ولهذا قال: **(لا يحلُّ لمؤمن أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاث، يلتقيانِ فيُعرض هذا ويُعرِضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام)**.

هذا فيه تحريم الهجرِ بين المؤمنين، إذا كان من أجلِ أمور الدنيا؛ لأن الناس قد يكون بينهم نزاعٌ وخصوماتٌ في أمور الدنيا، فلا ينبغي التهاجرُ من أجل الدنيا، ولكن إن كان ولا بدَّ؛ لأن الإنسان بشرٌ، وقد يتأثر في نفسه إذا أخطأ عليه أخوه أو أساءَ إليه أخوه، فرخَّص لهما الهجرَ ثلاثة أيام فقط؛ لأجل أن يذهب ما في نفسه على أخيه، ثلاثةُ أيام

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الهجرة، برقم (٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم (٢٥٦٠).

كفيلة بأن يُذهب ما في نفسه من الهجر لأخيه، هذه رخصة، ولو أنه لم يهجره أصلاً كان هذا أحسنُ.

(يلتقيان) يلتقي هو وأخوه الذي بينهما هجرٌ **(فيُعرض هذا ويُعرض هذا)** وهذا لا يجوز **(وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)**، دل على أن السلام يزيلُ القطيعة، ويزيل الهجرَ، فإذا سلم زال الهجر، هذا فيه فضلُ إفشاء السلام، وأن المتقاطعين إذا سلَّم أحدهما على الآخر، فالمسلِّمُ خير من المسلَّم عليه؛ لأنه بادر إلى الخير، وفيه دليلٌ على فضل السلام وأنه يزيل ما في النفوس، وعلامةٌ على المحبة، وفيه أن الذي يبدأُ بالسلام خير من الذي لا يبدأ به.

وأما إذا كانت القطيعةُ من أجل الدين، والهجرُ من أجل الدين، فيجوز أن يزيدَ على ثلاثة بقدر الحاجةِ حتى يتركَ المهجورُ المعصيةَ، هَجَرَ النبيّ ﷺ الثلاثة الذين خُلِّفوا خمسين يوماً حتى تابوا إلى الله ﷻ، فتاب الله عليهم، فأذن النبي ﷺ بمكالمتهم والسلام عليهم[(١)].

فالهجر إذا كان من أجل معصية فإنه يجوز الزيادة فيه بقدر الحاجة حتى يتوبَ العاصي، ولا يتحدد هذا بثلاثة أيام، وإنما يتحدد بقدر الحاجة، فإذا زالت الحاجةُ فإنه يزول الهجر.

---

(١) قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا أخرجها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، برقم (٤٤١٨)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم (٢٧٦٩).
وانظر: شرح فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله لهذه القصة من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في شرح رياض الصالحين (١/ ١٢٦) فقد أجاد وأفاد رحمه الله تعالى.

الترغيب في بذل المعروف

٩ ـ وعن جابر ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ معروفٍ صَدَقةٌ»(١). أخرجه البخاري.

الشرح

(كلُّ معروفٍ صدقةٌ) والمعروف ضد المنكر، والمعروف يكون بالمال ويكون بالجاه، ويكون بالكلام الطيبِ، كلُّ شيء فيه إحسان إلى المسلم فهو معروف، سواءً كان بالقولِ أو بالفعلِ، فمساعدة المحتاج معروفٌ، وسداد حاجاتِ المحتاجين معروفٌ بالمال، وكذلك من المعروف: المعروفُ بالجاه وهي الوساطةُ في تحصيل الحوائج للناس، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥].

فالتوسط في حوائجِ الناس التي يحتاجون في قضائها عند من هي عنده هذا من المعروف، ومن أعظم المعروف، فالكلام الطيبُ هذا من المعروف، إذا تكلَّمت مع أخيك بكلامٍ طيب، وسلمتَ عليه هذا من المعروف، وكذلك من المعروف: طلاقةُ الوجه وتبسُّمك في وجه أخيك، لأن كل ما يسرُّ أخاك المسلم فإنه معروف، ولو كان شيئاً يسيراً، ولكن يترتب عليه خيرٌ كثير.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، برقم (٦٠٢١).

فائدة: أخرج الطبراني في الكبير (١٠/ ١١٠)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٤٩) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«كل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة»**، صححه العلامة الألباني ﷺ في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٦٨) الحديث رقم (٤٠٢٠).

استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء

١٠ ـ وعن أبي ذرٍّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تحقرنَّ منَ المعروفِ شيئاً، ولو أن تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ»[١].

الشَّرح

(لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئاً) يعني ولو كان يسيراً **(ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْق)**[٢]. طلْق بسكون اللام، أو طليق بالياء بمعنى: أن لا تلقاه بوجه مُكْفَهِرٍّ، أو بوجه مقطَّبٍ، لأن ذلك يجرح شعورَه، أما إذا لقيته بوجه طلقٍ، فهذا يدخل السرورَ عليه، فتبسُّمك في وجه أخيك صدقة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦). وفي رواية لأحمد في المسند (٥/ ٦٣، ٦٤)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (١١٨٢) من حديث جابر بن سليم الهُجيمي أن النبي ﷺ قال: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط**».

(٢) قال الإمام النووي ﷺ في شرحه لصحيح الإمام مسلم (٨/ ١٨٠): «فيه الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قلّ حتى طلاقة الوجه عند اللقاء».

المعروفُ إلى الجار ولو كان باليسير

١١ ـ وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»(١). أخرجه مسلم.

الشَّرْحُ

هذا يتعلق بالجار أيضاً كما سَبَقَ، أن لا تحقرنَّ من المعروف إلى الجارِ شيئاً ولو كان يسيراً، ولو إذا طبختَ مرقَةَ لحم، تُكثرُ ماءَها وتعطي جارك منها، ولا تقول: هذا شيء يسيرٌ، أو هذا شيء تافه، لا، بل قد يلاقي حاجةً عند الجار وقد يُدخل السرور على الجار، فكيف إذا أعطيته

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، برقم (٢٦٢٥).

فائدة: **قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٨٧) عقب هذا الحديث: «وخرَّج الإمام أحمد (٢/١٦٨)، والدارمي رقم (٢٤٤٢)، والترمذي رقم (١٩٤٤) في «جامعه» مرفوعاً: «**خير الأصحاب خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره**» وإسناده صحيح».

* قال ابن علّان في دليل الفالحين (٢/١٣٦): «.. في الحديث الحض على مكارم الأخلاق، والإرشاد لمحاسنها لما يترتب عليه من المحبة والأُلفة، ولما يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسدة، فقد يتأذى الجار بقتار قِدر داره وعياله وصغار ولده ولا يقدر على التوصل لذلك فتهيج من صغارهم الشهوة ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة، وربما كان يتيماً أو أرملة فتكون المشقة أعظم وتشتد منهم الحسرة والألم، وكان ذلك ليندفع بتشريكهم في شي من الطبخ، فلا أقبح من منع هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير».

شيئاً غير المَرَق، أعطيتَه من الطعام، أو أعطيتَه من اللحم، من الفواكه، من الملابس، يكون هذا أعظمَ تأثيراً وأعظمَ أجراً.

فالمرادُ بهذا الحديثُ أن الإنسان لا يحقرُ الإحسانَ إلى الجار، ولو كان بمرقةٍ.

فضل الستر والتيسير على المسلمين وقضاء حوائجهم

١٢ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ ما كان الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ...»(١). أخرجه مسلم.

الشَّرح

هذا الحديث فيه أربعةُ أنواع من البِرِّ:

الأول: قوله ﷺ: (**من نفَّس عن مسلم كُربةً من كُرَبِ الدنيا، نفَّس الله عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة**): التنفيس هو التوسيع، أي: من وسَّع على مسلم ضائقةً من ضائقات الدنيا، فإن هذا خيرٌ وإعانةٌ للمسلم، فإن الله جل وعلا يجازيه بأن يوسِّعَ عليه يوم القيامة، لأن يومَ القيامة فيه كربات شديدةٌ، أشدُّ من كرب الدنيا، فمن أراد أن ينفِّس الله عنه تلك الكربَ فلينفِّس عن إخوانه في الدنيا، فإذا رأى مكروباً من المسلمين فإنه ينفسُ عنه كربتَه، ويوسِّع عليه، ويخرجه من هذه الكُربة، ليجد ذلك عندَ الله يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩).

والثاني: (من يسَّر على معسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة): والمُعسر: هو المَدِينُ الذي لا يستطيع الوفاءَ والسدادَ، وقد طولِبَ بالدَّين، فإذا جاء مسلمٌ وساعده على تسديد دَينه، فإن الله جل وعلا ييسِّرُ له ما يستعسرُ عليه من أمور دنياه وآخرته، سواءً كان هذا المدينُ مديناً له أو لغيره، إن كان مديناً له فليضع عنه، أو على الأقل يصبر عليه حتى يستطيعَ الوفاء، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فإذا أنظره إلى ميسرة، فهذا من التيسير عليه، وإذا ترقَّى ووضع عنه الدين أو شيئاً منه فهذا أعظمُ، وهذا صدقة، ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وإذا كان الدَّين لغيره فإنه يساعدُه على تسديده أو يتحمَّلُه عنه، فهذا من التيسير على المعسر، بأن يُقرضه ما يسدِّد به دَينَه، ثم يرد عليه القرض، أو إذا ترقى فليتحمَّلْ عنه الدين مجاناً ويسدِّد عنه.

الثالث: (ومَن سَتَرَ على مسلم سَتَرَ الله عليه في الدنيا والآخرة): ستر على مسلم عورةً من عوراتِهِ، ولم يفضَحْهُ، اطلعَ منه على شيءٍ فيه عورة، إما أنه إذا طلع أنه وقع في معصية من المعاصي فإنه لا يفضحُه بل يستر عليه، وينصحه ويعظُه، ولا يفضحه أمام الناس[١]، أو اطلع على سرٍّ من أسراره فإنه يسترُ عليه، ولا يفشيه، ولا يكشف ستره، فهذا من الستر على المسلم، وجزاؤُه أن الله يستره يوم القيامة.

الرابع: (والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه): يقول الله جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه «الفرق بين النصيحة والتعيير»، ص (٣٩): «إن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها، ولذلك فإنه ينبغي أن تكون سراً فيما بين الآمر والمأمور، وأما الإشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرَّمه الله ورسوله».

[المائدة: ٢]، تعاونوا على البر، فالإنسانُ يحتاج إلى المعونةِ من أخيه في مهامِّه وفي أموره، هذا عامٌّ يعني في جميع الأمور، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه في جميع الأمور، سواءً أعانهُ بمال أو أعانه بجاهٍ، أو أعانه بمشورةٍ وبيانٍ للصواب من الخطأ، هذا كله من الإعانة.

وأعظمُ الإعانة أنه إذا رأى على أخيه خللاً في دينه فإنه يقوِّمه، وهذا من الإعانة، بل هذا أعظم من إعطائه المال إذا أعانه على نفسه، وأعانه على تكميل دينِهِ، فهذا من أعظم الإعانة، ويكون جزاؤه أن الله يعينه كما أنه أعان أخاه، والله جل وعلا هو الذي بيده العونُ.

فهذا الحديث فيه ترغيبٌ في بذل البِرِّ مع الناس، وفيه أن الجزاء من جنس العمل.

فضل الدلالة على الخير

١٣ ـ وعن أبي مسعود البدري ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[١]. أخرجه مسلم.

الشَّرح

وهذا من أنواع البِرِّ، الدلالةُ على الخير، فإذا رأيتَ سبيلاً فيها خير فدللتَ أخاك على ذلك الخير ليفعلَهُ، فإنك تكون كفاعِلِهِ، لك من الأجر مثل أجر فاعل الخير، فهذا فيه أيضاً تعاونٌ على البرِّ، بالدلالةِ عليه وبيانِه.

فإذا رأيت محتاجاً وأخبرتَ بحاله من عندَه مال ليساعده، فهذه دلالة على الخير، فإذا أعانَه فإن لك من الأجر مثلَ أجر من أعانه، إذا رأيت من أخيك جهلاً في أمور دينه فعلَّمتَه الخير وعلَّمته أمورَ دينه، واستقام عليها، صار لك من الأجرِ مثل أجره، إذا نصحتَه بالصدقة، وبقيام الليل، وبصوم التطوع فلك من الأجر مثله، إذا نصحته بطلب العلم الشرعي، وتَعلَّمَ بسبب نصيحتك فلك من الأجر مثله، فلا تحقرْ من أبواب الخيرِ شيئاً ولو بالمشورة والدلالة عليها.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره. . .، برقم (١٨٩٣).

حديث عظيم فيه ثلاث مسائل

١٤ ـ عن ابن عمرَ ﵄، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللهَ لَهُ»[1]. أخرجه البيهقي.

الشَّرح

هذا الحديث فيه ثلاثُ مسائل:

الأولى: (من استعاذكم بالله فأَعيذُوه) إذا استعاذ أحدٌ بالله فعليك أن تعيذَه، ولا تؤذيه؛ لأنه لجأ إلى الله ﷻ، فأنت لا تؤذيه؛ لأنه صار بجوار الله ﷻ، فلا تُلحِقْ به ضرراً، حتى ولو كان أخطأ عليك، فإذا استعاذك بالله من أن تؤذيه ومن أن تجزيه على خطئِه في حقك، فإنه ينبغي لك أن تعيذَه تعظيماً لله ﷻ، تعظيماً للذي استعاذ به، فإذا لم تُعِذْهُ، هذا يعني أنك تنقَّصتَ الله ﷻ، فعليك أن تعيذه، لأن هذا تعظيمٌ لله جل وعلا.

الثانية: (ومَن سألكم بالله فأعطُوه) إذا قال: أسألُكَ بالله أن تعطيني

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله ﷻ، برقم (١٦٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/١٩٩)، وأحمد (٢/٦٨، ٩٩، ١٢٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم (١٦١٧).
* **وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** ﵀ في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٨٨): «ولبعضه شاهد في المسند (١/٢٥٠) ولفظه: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه» وسنده جيد قوي».

كذا، فإذا أقسَمَ عليك بالله ﷻ فبِرَّ قَسَمَه وأعطه ما سأل إن كنت تقدرُ على ذلك تعظيماً لله ﷻ، فإذا لم تعطه وقد سألَكَ بالله، فإنك تكونُ قد تنقَّصتَ الله ﷻ، والله جل وعلا يقول: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

(تساءلون) أي: تتساءلون به، فإذا سألك بالله فاتقِ الله، ولا تحرمه، لأن في هذا تعظيماً لله ﷻ، فإذا لم تعط من سأل بالله فهذا تنقُّص لله، وهو نقصٌ في التوحيد.

والثالثة: (ومَن أتى إليكم معروفاً فكافئوه) بأن أعطاك شيئاً من المال، أو أكرمك، أو أعانَك على شيء تحتاجُ إليه، هذا معروف؛ لأنه غيرُ واجب عليه وإنما بَذَلَهُ معروفاً وإحساناً إليك.

(فكافئوه) بأن تصنع إليه معروفاً مثلَ معروفِهِ، من باب المكافئة، فالمؤمنُ يكون كريماً يكافئُ على المعروف ولا يجحده، ولا ينكرُه، بل يكافئ عليه، والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾، فإذا لم تجد شيئاً تكافئه به عن معروفه، فعليك بالدعاء له **(فادعوا له)** فادعو الله له بالخير على معروفه وإحسانِهِ إليك[1].

---

(١) قال ابن حبان ﷺ: «الواجب على المرء أن يشكر النعمة ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته، إن قدر فبالضعف وإلا فبالمثل، وإلا فبالمعروف بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشُّكر، وقوله: جزاك الله خيراً». روضة العقلاء ص (٣٥٣).

بابُ الزّهد والوَرَع

ذكروا له تعاريفَ كثيرةً أقربها وأقصرها: أنه قلةُ الرغبة في الشيء، هذا هو الزهدُ، قال تعالى في إخوة يوسف: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠].

فالزهد: قلة الرغبة في الشيء، يقال: زَهَدَ في ذلك إذا قلَّتْ رغبتُه فيه.

والزهدُ مطلوب ومستحسن كما يأتي في الحديث، والزهد ليس معناه تركُ الحلال والمباحات، **وإنما الزهدُ: ترك ما لا ينفعكَ في آخرتكَ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية**(١) رَحِمَهُ اللهُ(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢١).

(٢) وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الفوائد (١٧٠ ـ ١٧١):
(الزهد أقسامٌ: **زهدٌ** في الحرام، وهو فرضُ عين. **وزهدٌ** في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة: فإن قويتْ التحقتْ بالواجب، وإن ضعُفتْ كان مستحباً. **وزهدٌ** في الفضول. **وزهدٌ** فيما لا يَعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره. **وزهدٌ** في الناس. **وزهدٌ** في النفس بحيث تَهون عليه نفسُه في الله. **وزهدٌ** جامعٌ لذلك كله، وهو الزهدُ فيما سوى الله وفي كل ما شَغَلك عنه.
وأفضل الزهد: إخفاء الزهد.
وأصعبه: الزهدُ في الحظوظ.
والفرق بينه وبين الورع: أن الزهد تركُ ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة.
والقلب المعلّق بالشهوات لا يصح له زهدٌ ولا ورعٌ).
وقال رَحِمَهُ اللهُ في الفوائد ص (١٣٦):
(لا تَتِمُّ الرغبةُ في الآخرة إلا بالزُّهد في الدنيا. ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: =

وأما (الوَرَع): فمعناهُ تركُ الأمور المشتَبهة، إذا اشتبهت الأمورُ، ولم تدرِ هل هي حلالٌ أم حرامٌ، فالورعُ أن تتركها لله ﷻ، وهذا سيأتي في هذا الحديث التالي.

= نظرٌ في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخِسَّتها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغُصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف؛ فطالبها لا ينفك من هَمٍّ قبل حصولها، وهمٍّ في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها. فهذا أحد النظرين.

والنظر الثاني في الآخرة، وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما هاهنا؛ فهي كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلى] فهي خيراتٌ كاملةٌ دائمةٌ، وهذه خيالاتٌ ناقصةٌ منقطعةٌ مضمحلةٌ.

فإذا تم له هذان النظران آثرَ ما يقتضي العقل إيثاره، وزَهِدَ فيما يقتضي الزهدَ فيه).

من اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه

١ ـ وعن النُّعمانِ بن بشيرٍ ﷺ قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: ـ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إلى أُذُنَيْهِ ـ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ من الناس، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فقد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فيه، ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ الْقَلْبُ»[١]. متفق عليه.

الشَّرْح

(وأهوى النُّعمان بإصبعيه إلى أُذُنيه) هذا لتأكيد أنه سمعَ هذا من النبيِّ ﷺ بنفسه، ولم يَرْوِه عن غيره.

هذا حديث عظيم من الأحاديث الأربعة التي تدور عليها قواعد الإسلام، وقد نَظَمَها بعضهم بقوله:

عُمْدَةُ الدِّينِ عندَنا كلماتٌ أربَعٌ	مِنْ كَلامِ خَيرِ البَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهاتِ وازْهَد وَدَعْ	ما ليسَ يَعْنِيكَ واعْمَلَنْ بِنِيَّةِ

أربعة أحاديث: (اتقِ الشبهات) وهو الحديث الذي معنا، (وازهدْ)

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم (١٥٩٩).

هذا سيأتي في قوله: «**ازهدْ فيما عندَ الناس يحبُّك الناسُ، وارغبْ فيما عندَ الله يحبُّك الله**» هذا الزهدُ، «**ودعْ ما ليس يعنيك**» كما في حديث الحسن الذي سيأتي: «**من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يَعْنِيه**»، وقوله: «**اعمَلَنْ بنيَّة**» هذا كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»[١]، هذه الأحاديث الأربعةُ تدور عليها قواعد الإسلام، وهي أحاديث عظيمة.

قوله ﷺ: (**إنَّ الحلالَ بيِّنٌ، وإن الحرامَ بيِّنٌ**) الحرام بيِّن في كتاب الله ﷻ، وهو ما نصَّ الله على أنه حرام مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]، هذا نصٌّ من الله على تحريم ما ذُكر، وقال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، هذا نص من الله على تحريم الصيد ما دام الإنسان محرماً أثناء تأدية فريضة الحج، فلا شك أنه حرام، ولا يشك أحدٌ أنه حرام، أو ما نهى عنه سبحانه؛ لأن النهي يقتضي التحريم مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] هذا نهي صريح، ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وهذا نهى الله عنه ﷻ، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] لا تقربوا، ولم يقل: لا تزنوا، بل قال: لا تقربوا، أي: تجنبوا الوسائل التي تفضي إلى الزنا، كالنظر والخلوةِ والسفرِ بدون محرم، والسفور، كل هذه وسائل للزنى، نهى الله عنها، فكيف بالزنى نفسه!!، هذا لا أحد يقول إنه حلال أبداً، فالحلال البيِّن هو ما نصَّ الله على تحريمه بلفظ التحريم، أو ما نهى الله عنه نهياً صريحاً، هذا حرام.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية...**»، برقم (١٩٠٧).

(والحلال بيِّن) وهو ما نصَّ الله على حلِّه، مثل قوله ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦]، هذا حلال نصَّ الله على حِلِّهِ، أو ما سكت الله عنه، ولم يردْ فيه نهيٌ فهو حلال، لا نحرِّمُ شيئاً لا يحرمُه الله أو ينهى عنه الله جل وعلا، ما سكت الله عنه فهو عفوٌ فلا نحرِّمه، هذا هو الحلال البيِّن.

(وبينهما) أي: بين الحلال والحرام **(أمورٌ مشتبهاتٌ)** مشتبهات: مشكلة، يعني: لا يُدرى هل هي من قسم الحلال أو من قسم الحرام، وقد اختلف فيها العلماءُ نظراً لاختلاف الأدلة فيها، هذه تسمى مشتبهة.

(لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس) وهم العوام، الذين لا يعرفون حكمَها، وأما العلماءُ فهم يجتهدون ويعرفون حُكمها بما أعطاهم الله من القواعد العلمية، أما أكثرُ الناس وهم العوام، والذين لم يبلغوا مرتبةَ العلماء فهؤلاء لا يعرفونَ المشتبهاتِ هل هي من الحلال أو من الحرام، ما الموقفُ منها؟ الموقفُ منها تَرْكُها، حتى يتبين أمرُها. هذا هو الورعُ، تركُ المشتبهات.

وهذا يشملُ كلَّ المسائل المختلفَ فيها اختلافاً قوياً بين العلماء، فموقف العامي أنه يتوقفُ حتى يسأل أحداً من أهل العلم، أما أنه يأخذ بها وهو لا يدري، هذا سيأتي أنه خطرٌ عظيم.

مثلاً إذا اشتبهت امرأةٌ عليك هل هي حلالٌ لك أو غير حلال؟ فيها شُبهة رضاع، هذه يتركها ولا يتزوَّجها من باب الورع والاحتياط، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت فلانة، وجاءتني أَمَةٌ سوداءُ فقالت: إني أرضعتُكَ وإياها، إذاً تكون أختاً لكَ من الرضاعة، فأعرضَ عنه النبي ﷺ، ثم جاءه وسأله مرة ثانية، فأعرض عنه، ثم سأله الثالثةَ، قال: **«دعْها»** اتركها، قال: يا رسولَ الله، إنها تزعُمُ أنها أرضعتنا، قال: **«كيفَ وقد قيل؟»**[١]، يريد الرجل أن يفتيه الرسولُ بالجواز، لأن هذه

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، برقم (٢٠٥٢).

المرأة امرأة واحدة وخبرُها مشكوك فيه، أعرض الرسولُ عنه، ولما ألحَّ عليه أمَرَه بتركها، فقال له: أشكُّك في خبر المرأة، فقال له الرسول ﷺ: **«كيف وقد قيل؟»** يعني اتركْها، هذه امرأة مشتبهةٌ، فإذا وجدت شبهةُ رضاع في امرأةٍ لو ثَبتتْ تحرِّمها عليه، فإن الوَرَعَ والاحتياطَ أن تتركها، وأن تتزوج غيرَها، لما وجد النبي ﷺ تمرةً ساقطةً على الأرض أخذها، وقال: **«لولا أنِّي أخشى أنَّ هذه من الصدقةِ لأكلتُها»**(١)، هذه التمرة مشتبهة، ربما تكون من الصدقةِ، والصدقةُ حرام على الرسول ﷺ، ويحتمل أنها من غيرِ الصدقة، فلما كانت مشتبهةً دائرةً بين الحلال والحرام تركها الرسولُ ﷺ. فهذا دليل على اتقاء الشبهات.

(**وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس**)، دل على أن القليلَ وهم العلماء يعرفون حُكمَها.

(**فمن اتقى الشبهات**) اتقى: يعني ابتعدَ عنها (**فقد استبرأ لدينه وعِرْضِهِ**) استبرأ لدينه لئلا يقعَ في الحرام، واستبرأ معناه: برَّأ دينه ونزَّهه من أكلِ الحرام؛ لأنه احتاطَ في الأمر، والعِرض: النفس والحسب يكون في الإنسان، وإن لم يكن لآبائه شرف، وهو يُمدَحُ ويُذَمُّ، واستبرأ لعرضه يعني: كفَّ كلام الناس عنه، لأنه لو وقع في هذه الشبهة لتكلم الناسُ فيه، وصاروا يلومونه، ويتناولونَه بالكلام، أما إذا تركَ هذه الشبهة فالناسُ يكفون عنه، فدلَّ على أن الإنسانَ يتجنب ما يُذمُّ به، ولا يجعل الناس سبيلاً إلى ذمه، والشاعر يقول:

مَنْ دَعا الناسَ إلى ذَمِّهِ ... ذَمُّوهُ بالحقِّ والباطِلِ

فالأمرُ الذي فيه مجالٌ لكلامِ الناس اتركْه، سُدَّ الطريق عليهم، هذا

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب ما يُتنزه من الشبهات، برقم (٢٠٥٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ، وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب دون غيرهم، برقم (١٠٧١).

من الورع، **(فقد استبرأ لدِينه وعِرضِهِ)** دل على أن الإنسان كما يحافظ على دينه من النقص، أيضاً يحافظ على عرضه، لا يترك عرضه يُلاكُ ويُخدشُ.

أصونُ عِرْضي بمالي لا أُدنِّسُه لا باركَ اللهُ بعدَ العِرْضِ بالمالِ
أحتالُ للمالِ إن أودى فأجمَعُهُ ولستُ للعِرْضِ إن أودى بمحتال

(ومنْ وقَعَ في الشُّبهات) أي: أخذَ بالأمرِ المشتَبه الذي ما يدري هل هو من الحلال أو من الحرام، فقد **(وقَعَ في الحرام)**، فيه تقدير كلمة، قد وقع، يعني: أَوْشَكَ، هو ما وقع في الحرامِ، ولكن أوْشَكَ أن يقعَ في الحرام.

ثم ضرب ﷺ مثلاً لذلك محسوساً يعرفُه الناس، بالحِمى الذي يحميه وليُّ الأمر للدواب ويجعلُه لإبل الصدقة مثلاً، مثل حِمَى أبي بكر، وحِمَى عمر لإبل الصدقة، فالملك له أن يحميَ شيئاً من الكلأ؛ لأجل دوابِّ المسلمين العامة وإبل الصدقة وإبل بيت المال؛ لأن هذا فيه مصلحةٌ للناس بعامةٍ، وكان من عادة الملوك في الجاهلية أنهم يَحمونَ مراعي، وهذا ظلم، لا شكَّ أن حمى الجاهلية ظلمٌ؛ لأنهم يختصُّونه لأنفسهم، وقد قال النبي ﷺ: «**المسلمون شُركاءُ في ثلاثٍ: الكلأ والماءُ والنار**»[(١)]، فلا يجوز لأحدٍ أن يحمي العُشب من البر، يحميه عن الناس، بل يتركُ الناس يرعون، وهو يرعى مثلهم، أما أنه يحميه عن الناس فهذا لا يجوز، هذا ظلمٌ، هذا كان موجوداً في الجاهلية، ولكن الحِمى الذي حماه وُلاةُ أمورِ المسلمين هذا ليس لهم، إنما هو لمصلحةِ العامة.

(ألا وإنّ لكلِّ ملكٍ حمى) يحميه لدوابه، **(ألا وإن حِمَى الله محارمُه)** والله تعالى له حِمى سبحانه، فما هو حِمى الله؟ حمى الله محارمُه التي

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الإجارة، باب منع الماء، برقم (٣٤٧٧)، والبيهقي في سننه (٦/ ١٥٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٧).

حرَّمها على عباده، فالحرامُ هذا حمى الله، وحدود الله كذلك، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: محارمه، لا تقربْ محارمَ الله ﷻ لئلا تقع فيها، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ فابتعد عن الحرام، وذلك بترك المشتبه؛ لأنك إذا تساهلت في الشبهات، تساهلتَ في الحرام، والشرع جاء بسد الذرائع، فاتركْ ما فيه شك إلى ما لا شك فيه.

ثم بيَّن ﷺ الأمرَ الذي يضبط الإنسان وهو القلبُ، صلاحُ القلب أو فساده، فإذا فسد القلب وقع الإنسانُ في معاصي الله ﷻ، وإذا صَلَحَ القلب فإن الإنسان يتجنبُ محارمَ الله ﷻ، فالمدارُ على القلوب.

(**ألا وإن في الجسد مضغةً**) والمضغة: قطعة اللحم، قطعة صغيرة هي القلب، وهو مَلِكُ البدن، هذه القطعةُ الصغيرة التي تُسمى القلب هي ملكُ البدن، وبقية البدن والأعضاء خَدَمٌ لها ورعية لها، فإذا صلح القلبُ صلحت الرعية، صلحت الأعضاءُ والجسمُ، وإذا فسد القلبُ فسد الجسمُ وفسدت رعيتُه؛ لأنه إذا صلح الملكُ صلحت الرعية، وإذا فسد الملك فسدت الرعية، ومَلِكُ الجسد هو القلب(١).

فهذا الحديث فيه العنايةُ بالقلوب، وعلى الإنسان أن يعتني في إصلاح قلبِه، والقلبُ يصلح بالطاعاتِ والاستقامة، ويفسدُ بالمعاصي والشهوات، فعلى الإنسان أن يسعى في إصلاح قلبِه بطاعة الله ﷻ، واجتناب محارم الله، وفساد القلبِ وصلاحُه له أسباب من قبل العبد، فإذا أراد أن يفسد قلبُه فإنه يترك الطاعات ويفعلُ المحرمات، فيفسد القلبُ بذلك، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] ليس المدارُ على قطعة اللحم التي تسمى القلب؟ وإنما المدار على صيغة هذه

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥) عن أبي هريرة ﷺ قال: «القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده».

اللحمة، هل هي صيغةٌ حسنة أو صيغة سيئة، قد يكون الإنسان سليمَ القلب من ناحية الصحة، ولكنه فاسدَ القلب من ناحية الدين، وقد يكون قلبه مريضاً من ناحية الصحة، ولكن سليماً من جهة الدين، وإذا كان الإنسان عنده مرضٌ في القلب، مرض عضوي، هذا لا يضر من ناحية الدين، فالمدار على هدايةِ القلب أو فسادِ القلب.

وأعظم ما يُصلح القلب: الدعاء، ولهذا كان النبي ﷺ يُكثر في دعائه من قول: «**اللهمَّ يا مقلِّبَ القلوب والأبصار ثبِّت قلبي على دينك**»، فتقول له عائشة أم المؤمنين ﵂: أتخافُ يا رسولَ الله؟ يعني تخافُ من الزَّيغ وأنت رسول الله، قال: «**يا عائشةُ، وما يؤمنني؟ وقلوبُ العبادِ بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا أراد أن يقلب قلبَ عبد قلبَهُ**»[1].

وإبراهيم الخليل ﵇ يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيمُ الذي كَسَّر الأصنام، وأُوذي وحُرق بالنار بسببها، يخافُ من عبادتها؟ نعم؛ لأن القلوبَ بيد الله، فالذي أضلَّ الناسَ يخشى إبراهيم ﵇ أن يضله، ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ فلا يزكي الإنسان نفسه، بل يخاف من الله ﷻ، ويسأله الثبات.

وكذلك من أسباب صلاح القلوب: الابتعادُ عن أكلِ الحرام، فإذا أكلَ الإنسان من الحرام فهذا يُفسد قلبَه ويؤثر عليه، وإذا أكل من

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٥١)، وابن أبي عاصم في السنة، برقم (٢٣١)، وقال العلامة الألباني ﵀ في ظلال الجنة، برقم (٢٢٤) صحيح لغيره، وانظر: كتاب السنة لابن أبي عاصم بتحقيق الدكتور باسم الجوابرة (١/ ١٧٦).
وفي رواية لمسلم، برقم (٢٦٥٤)، وأحمد (٢/ ١٦٨ و١٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء**». ثم يقول رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**».

الطيبات فإنَّ هذا سببٌ لصلاح قلبه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة]، فأكلُ الحلال سببٌ لصلاح القلب وبصيرته، وأكلُ الحرام سببٌ لفساد القلب وعماه، ولا حولَ ولا قوة إلا الله.

كذلك الغفلةُ عن ذكر الله سببٌ لفساد القلب، والإكثارُ من ذكر الله سببٌ لحياة القلب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، فالقلبُ يمرض ويموتُ، يمرضُ فإن عالجه صاحبُه شُفي، وإن تركه تزايد المرضُ حتى يموت، قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة]، فالمرض معنوي، فعلى الإنسان أن يعتني بقلبه في صلاحه، فإذا بذلتَ أسبابَ الصلاح فإن الله يصلحُ قلبك، وإذا بذلت أسبابَ الفساد فإن الله يفسدُ قلبك[١].

فهذا الحديث حديثٌ عظيم، وهو من الأحاديث الأربعين التي شرحها الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (جامع العلوم والحكم)، وهو كتاب عظيم ينبغي لطالب العلم أن يُكثر من قراءته؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أودَع فيه من العلم، ومن الفقه، ومن الحِكمةِ الشيءَ الكثير.

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إغاثة اللهفان (١/ ٤٨): (والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها وهي: **فتن الشهوات، وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل**، فالأولى توجب **فساد القصد والإرادة**، والثانية توجب **فساد العلم والاعتقاد**. وقد قسم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ القلوب إلى أربعة كما صح عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «القلوب أربعة: **قلب** أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، **وقلب** أغلف فذلك قلب الكافر، **وقلب** منكوس فذلك قلب المنافق عَرف ثم أنكر وأَبصر ثم عَمِيَ، **وقلبٌ** تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما»).

ما جاء في ذمِّ الطمع في الدنيا

٢ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إن أُعْطِيَ رضي، وَإِنْ لم يُعْطَ لم يَرْضَ»(١). أخرجه البخاري.

الشرح

هذا الحديث في طالب الدنيا، الذي يطلبُ الدنيا فقط، ولا يريد الآخرةَ، وإنما همُّه الدنيا، ولا يهمّه أمر دينه، وإنما يهمه أمر الدنيا، فإن أُعطي شيئاً من الدنيا، رضي عن الله ﷻ، ورضي عن الناس، وإن لم يُعْطَ منها فإنه يسخط على الله، ويسخطُ على الناس، هذا دينُه دراهمُه.

(تعس): يعني هَلَكَ، التَّعْسُ معناه الهلاك والسقوط ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٨] يعني هلاكاً لهم، دعاءٌ عليهم بالهلاك (عبد الدينار والدرهم والقطيفة) لماذا سمَّاه عبد؟ لأنه علَّق قلبه بها، فصارت كأنها هي ربُّه، علق قلبه بها، فصار مستعبَداً لها، والشاعر يقول:

أطعتُ مطامِعي فاستَعْبَدَتْنِي ولـو أنِّي قَنِعْتُ لكُنْتُ حـرّاً

فهذا الرجل همُّه الدنيا، إن أُعطي منها رضي ومَدَح وأثنى، وإن لم يُعْطَ فإنه يسخطُ ويغضبُ، كما قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة]

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، برقم (٢٨٨٦).

فرضاهم وسخطهم متعلقٌ بالمال، الذي يرضى ويسخط للمال، هذا منافقٌ، وعبد الدينار وعبد الدراهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة]، فهذا فيه ذم الطمع في الدنيا، وأنَّ الإنسان لا يجعل رضاه وغَضَبَه للدنيا، وإنما يجعلُ غضبه ورضاه لدينه، ولله ﷻ.

أما الدنيا إن أُعطي منها شيئاً أخذَه وإن لم يُعْطَ منها شيئاً فإنه يقول: حسبي الله سيؤتيني الله من فضلِه، كان النبي ﷺ إذا وزَّعَ الأموال يعطي ضِعافَ الإيمان، ويتألفُ المنافقين ويعطيهم ويكثر لهم، ولا يعطي خيارَ الصحابة شيئاً، يكلهم إلى دينهم؛ لأنهم لا يغضبون إذا لم يعطوا لإيمانهم، أما ضعاف الإيمان فإن الرسول ﷺ يخشى عليهم من الانتكاس فيعطيهم تألفاً لهم(١).

فهذا فيه الورعُ، وأن على الإنسان أن لا يعلِّق نفسه بالدنيا، ويجعلَ غضبه ورضاه لها، وإنما يعلِّقُ نفسه بالله، وأما الدنيا إذا أُعطي منها شيئاً حلالاً لم يتطلع إليه، ولم يسأله، فإنه يأخذه ويستعينُ به على طاعة الله، وإذا لم يعط شيئاً، فإنه يكفيه دينه وتوكُّلُه على الله ﷻ، هذا الفرق بين أهل الدنيا وأهل الدين، وفيه الحثُّ على الورع، والتحذير من تعلُّق القلوب بالدنيا وأطماعها.

❊ ❊ ❊

---

(١) **يشير فضيلة الشيخ حفظه الله** إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يُعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم...، برقم (٣١٢٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام...، برقم (١٠٥٩).

كن في الدنيا كأنك غريب

٣ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رسول اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فقال: «كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أو عَابِرُ سَبِيلٍ»، وكان ابن عُمَرَ يقول: إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ من صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[1]. أخرجه البخاري.

الشَّرْح

(**أخذ النبيُّ ﷺ بمنكبي**) بالإفراد، ويروى بالتثنية بمنكبيَّ، (**فقال: كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**) هذا فيه الزهدُ في الدنيا، وأن الإنسانَ لا يتعلق بها، ويجعلُها همَّه، وإنما يجعلُ همُّه في الآخرة، والنجاة في الآخرة، وليس معنى ذلك أنه يتركُ طلبَ الرزق، لا، معناه: أنه يطلبُ الحلالَ ليستعين به على طاعة الله، ولكن لا يكون همُّه الدنيا، لا يريد الدنيا لذاتها، وإنما يريد الدنيا ليستعين بها على طاعة الله ﷻ.

(**كن في الدنيا كأنك غريب**) الغريب معروف: هو الذي ليس من أهل البلد، هذا همُّه أن يرجع إلى بلده، لا يستريح في بلد الغربة، ولا يبني، يتحيَّنُ أيَّ ساعة يرجع إلى بلده الأصلي، كذلك الإنسانُ في هذه الدنيا غريب؛ لأنها ليست داراً له، وإنما دارُ المؤمن هي الدار الآخرةُ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، برقم (٦٤١٦).

فهمُّه أنه يذهب إلى الدار الآخرة، ويكون في هذه الدنيا مثلَ الغريب الذي في غير بلده.

أما الكافر فبلدُه الدنيا، وليس له في الآخرة دارٌ، ولا مكانٌ، ولذلك تجده معلّقاً بالدنيا، وكذلك المنافق تجدُ قلبَه معلقاً بالدنيا، ولا يذكر الآخرة، ولا يخطر ذكرها بباله، فإذا أردتَ أن تعرف من هو رجل الدنيا، ومن هو رجل الآخرة؟ فانظر إلى موقفهم من هذه الدنيا، فالمؤمنُ تجده لا يرغب في هذه الدنيا، ولا يفني عُمُرَه فيها، وفي طلبها، لا يجعلها همَّه، وإنما همه في الآخرة، وغير المؤمن بالعكس همه الدنيا، ولا يلتفتُ إلى الآخرة[١].

(كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل) هذا نوع آخر **(أو)** للتنويع، وهي بمعنى الواو والله أعلم، أي كن في الدنيا كأنك غريب وعابر سبيل، المسافرُ إذا نزل ليستريح تحتَ شجرة لا يفرح ولا يستقر في هذا المكان، بل يواصلُ السفر، كذلك طالب الآخرة إنما يعتبر هذه الدنيا محطةً استراحة مؤقتة، وهي سبيلُه إلى الآخرة، مثل المسافر الذي ينزل للراحة ثم يرحل.

فالنبي ﷺ يقول: **«ما لي وللدنيا، ما مَثَلي ومَثَلُ الدنيا إلّا كراكب سارَ في يوم صائفٍ، فاستظلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً من نهارٍ، ثم راح وتَرَكها»**[٢]، هذا مثلُ النبي ﷺ في هذه الدنيا، كلُّ الدنيا عنده، مثل الشجرة يستظلُّ بها وقت القيلولة فقط.

---

(١) **لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى ما أخرجه** ابن ماجه، برقم (٤١٨٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٨٣) من حديث زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة»**. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني ﷺ برقم (٩٥٠).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب، برقم (٢٣٧٧)، =

ثم قال ابن عمر ﷺ: (**إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ**) ـ وهذا مُدْرَجٌ في الحديث ـ معناه: لا يَطُلْ أملكُ في الدنيا، ولا تؤخِّرِ الأعمال بل بادر إليها، لأنه ليس لك إلا الساعة التي أنتَ فيها، ولهذا يقول الشاعر:

ما مَضَى فاتَ والمُؤَمَّلُ غيْبٌ ولَكَ السَّاعةُ التي أنتَ فيها

أما المستقبل فلا تدري أتدركه أو لا تُدركُه؟

(**وخُذْ من صحَّتِكَ لسَقَمِك**) صحة الإنسان تتغير وتتحوّل، ليس بصحيح دائماً، فعليه أن يستثمر أيام صحته، ما دام الله مقويه، ومُعطيه عافيةً، يستعمل هذه القوة في عبادة الله ﷻ، في قيام الليل، في صيام النهار، في الجهاد في سبيل الله، في الأعمال الصالحة، لأنه إذا مرض فإنه لا يستطيع أن يعمل، لا يستطيع أن يصلي ونحو ذلك.

(**ومن حياتك لموتك**) ما دمتَ حياً في هذه الدنيا، فاستعملْ ذلك في طاعة الله، لأنك إذا متَّ خُتم العمل، «**إذا مات الإنسان انقطع عملُه إلّا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[1].

= وابن ماجه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم (٤١٠٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠١) واللفظ له، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٤٣٩ و٤٤٠).

(١) سبق تخريجه ص(٦٦).

الواجب على المسلم أن يعتز بدينه

٤ ـ وعن ابنِ عمرَ ﵄ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ تشبَّه بقومٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١). أخرجه أبو داود، وصحّحه ابن حبان.

الشَّرح

التشبهُ بقوم في أفعالهم بأن يفعلَ مثلَ فعلهم أو يتصفَ بمثل صفاتهم، أو يتكلم بمثل كلامهم، فالتشبه: هو المُحاكاة والمماثَلة في أقوالهم وأفعالهم وصفاتهم، والواجبُ على المسلمين أن يعتزُّوا بدينهم، وبما شرعه الله لهم من الأحكامِ النافعة، وما أمرهم به من الأوامر التي فيها خيرُهم، ويتجنَّبوا ما نهاهم عنه مما فيه ضررُهم، وأن يتميزوا عن غيرهم من الناس؛ لأن الله أعزهم بالإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فالإيمان يجعل الإنسان عالياً على غيره بالصفات والسماتِ الطيبة، قال ﷺ: «**الإسلامُ يعلو ولا يُعلَى**»(٢)، والمسلمُ أعطاه الله الميزةَ على غيره، فكيف يتنازل عن هذه المرتبةِ إلى ما دونها، مما ليس فيه له فائدة.

فقوله ﷺ: (**من تشبه بقوم**) قوم هذا عامٌّ، هذا الحديث خرج

---

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، برقم (٤٠٣١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠، ٩٢)، وقد حسّن إسناده **سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** ﵀ في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٩٠) طبعة دار الامتياز.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه (٦/ ٢٠٥)، والدارقطني في سُننه (٣/ ٢٥٢)، وحسنه العلامة الألباني ﵀ في إرواء الغليل، برقم (١٢٦٨).

مخرج النهي، أي: لا تشبهوا، **(من تشبه بقوم)** يعمُّ **الكفار والفسَّاق والعُصاة**، ففيه النهي عن التشبه بهؤلاء، نُهِي المسلمُ أن يتشبه بأحد هذه الأصناف، بل عليه أن يترفَّع بدينه وخُلُقه وإسلامه على أن يتشبه بكافر، أو يتشبه بفاسق، أو يتشبه بالعُصاة، لأنه إذا فعل ذلك فقد تنازل عن كرامته.

والتشبه في الظاهر يدلُّ على المحبة في الباطن؛ لأنه لو لم يكن يحب المتشبه به، لما تشبه به، وقد جاء في الحديث الآخر النهي عن التشبه باليهود والنصارى، وجاء الحديث بالنهي عن التشبه بالمشركين، وجاء النهيُ عن التشبه بالمجوس، وبأي طائفة من طوائف الكفر كلها، المسلم لا يتشبه بهذه الطوائف الخاسرة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **(إنا كنا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)**[1]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وهذا الحديث فيه النهيُ عن التشبه بغير المسلمين، بما في ذلك من الانحطاط والتنازلِ عن ما هو خير إلى ما هو أدنى، وقد ابتُلي كثير من المسلمين بالتشبه بالكفار، والتشبهُ يراد به التشبه بهم في عباداتهم، وفي دينهم، فنعمل مثل ما يعملون من البدع والمُحدثَات، لما أحدثوا الموالد صرنا نتشبه بهم فنعملُ الموالد، هذا منحدِرٌ من المشركين، ومن اليهود والنصارى، لما كانوا يبنون على القبور، صار بعضُ المسلمين يبني على القبور، لأن البناءَ على القبور من عادة اليهود والنصارى، قال ﷺ: «... **أولئك قوم إذا ماتَ فيهم العبد الصالحُ، بَنَوا على قبره مسجداً، وصَوَّروا تلكَ الصُّور أولئك شرار الخلق عند الله**»[2]. فلما كان

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦١ ـ ٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البِيعَة، برقم (٤٣٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها. . .، برقم (٥٢٨).

من عاداتهم البناءُ على معظَّميهم، صرنا نتشبه بهم، ولما كانوا يتتبعون الآثار ويعظمون الآثار القديمة لعظمائهم من الرسل، أو من العُبَّاد، أو من الملوك، صرنا نفعلُ مثلَ فعلهم، فنحيي الآثار، وقد نهانا النبي ﷺ عن ذلك؛ لأن إحياء الآثار للمعظمين يجرُّ إلى الشرك، ولو على المدى البعيد، تأتي أجيال تظن أن من هذه الآثار ما هو نافع وما هو ضار، يزين لهم شياطين الجن والإنس ذلك.

فنحن منهيُّون عن التشبه بالكفار في دينهم، وفي عاداتهم المختصة بهم، كالتشبه بهم في اللباس، والتشبه بهم في الكلام، التشبه بهم في ما هو من خصائصهم، في العبادات وفي العادات، أما الأشياء التي ليست من خصائصهم، إنما هي عامة، فهذا ليس من التشبُّه مثل طلب الرزق، وتعلم الصناعات، وتعلم الحرف المفيدة، وصناعةِ الأسلحة، هذا مشترك بين بني آدم، بل ديننا أمرنا بذلك، وليس هذا من التشبه بهم، إنما التشبه بهم فيما لا فائدة فيه، لا في الدين، ولا في الدنيا، وإنما هو من العادات السيئة كحَلْقِ اللِّحى وإحفاء الشوارب مخالفةً لليهود والنصارى والمشركين والمجوس.

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**جزُّوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس**»(١)، وهذا من عاداتهم السيئة، ولما كان اليهود لا يخضبون لحاهم ولا يغيرون الشيب، أمر النبي ﷺ بتغيير الشيب بغير السواد(٢).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، برقم (٢٦٠).

(٢) كما في صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة، باب في صبغ الشعر وتغيير الشيب برقم (٢١٠٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أُتي بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: «**غيروا هذا بشيءٍ واجتنبوا السواد**».

والتشبه قد يكون محرَّماً، وقد يكون مكروهاً، التشبه بهم في ترك تغيير الشيب هذا مكروه ليس محرماً، هذا من باب المكروهات؛ لأن الشيبَ ليس من صنيعهم، الشيبُ هذا من فعل الله جلا وعلا، فإذا كان الشيء ليس من صنيعهم فإنه يكره التشبه بهم فيه، وإذا كان من صنيعهم هم، كبدعةِ الموالد، والبناءِ على القبور، فالتشبُّه بهم في هذا حرام، وقد كتب العلماء رحمهم الله في هذه المسألة كتاباتٍ، منها ما كتبه شيخُ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) وغيره مما أُلِّف من كتب ومن رسائل في التحذير من التشبه بالكفار عموماً، وباليهود والنصارى خُصوصاً.

قوله: «**فهو منهم**» أقل أحواله التحريمُ لأن ظاهره أنه يَقتدي بالكفار، لقوله: (**فهو منهم**)، هذا ظاهره أنه يكفر، إذا تشبه بهم، ولكنَّ أقلَّ أحواله أنه يفيد التحريم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، يقول: أقلُّ أحواله أنه يفيد التحريم، وإن كان ظاهره أنه يفيد الكفر لقوله: «فهو منهم» كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[1] [المائدة: ٥١].

فهذا الحديث هو أصلٌ عظيم لاعتزاز المسلمين بدينهم، وتمسُّكهم بما شرَّفهم الله به من هذا الدين وآدابه، وفيه التحذير من التشبه بالكفار.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بتحقيق الدكتور ناصر العقل، ص (٢٧٠): طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض.

ما جاء في فضل حفظ أوامر الله ونواهيه

٥ ـ وعن ابن عباسٍ ﵄ قال: كنتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ يوماً فقال: «يا غُلامُ: إني أُعلمك كلمات: احفَظِ اللهَ يَحفَظْك، احفَظِ الله تَجِدْهُ تُجاهَك، وإذا سألْتَ فاسأَلِ الله، وإذا استَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللهِ»[١].

رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

الشرح

(كنت خلفَ النبي ﷺ) وقد جاء في الرواية الأخرى أنه كان رَديفَ النبي ﷺ على حمار، فقال له النبي ﷺ: (يا غلام) الغلام هو الصغير؛ لأن ابن عباس ﵄ كان صغيراً في عهدِ النبيِّ ﷺ، لم يبلُغْ، وفي رواية: «يا غُلَيم»[٢] تصغير.

(**إني أعلِّمُك كلمات**) هذا فيه العنايةُ بالشباب وتوجيههم، فإن النبيَّ ﷺ كان يوجِّه النصائح حتى للأطفال، ويعتني بهم، منها قوله ﷺ لعُمَر بن أبي سَلَمَة وكان ربيباً للنبيِّ ﷺ، كان طفلاً صغيراً فلما جاء يأكلُ قال له: «**يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكلْ مما يليك**»[٣]،

---

(١) رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، برقم (٢٥١٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٩٣) و(١/ ٣٠٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٠٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، برقم (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٢).

وجَّهه النبيُّ ﷺ وهو طفل، وحفظ هذا الطفلُ هذا التوجيه، انغرس في قلبه، والطفلُ يقبل التوجيه، ولا ينسى ما يُوجَّه به، فينبغي العناية بالأطفال، قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع**»(١)، ومن لازِم ذلك أننا نأمرُهم بالطهارة والوضوء، ونعلمهم كيف يتطهرون، وكيف يتوضأون وهم صغار من أجل أن يصلُّوا، فالطفل قابل للتوجيه؛ لأنه خالي الذِّهن، وفطرتُه لا تزال نقيةً وسليمةً من المؤثرات، قال ﷺ: «**كلُّ مولود يُولدَ على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»(٢).

والتربيةُ لها دور كبير، إنْ كانت تربيةً سليمة، سَلِمَتْ له فطرتُه ونشأ على الخير، وإنْ كانت التربية سيئةً فسدت فطرتُه ونشأ على الشر والكفر والضلال.

(**يا غلام إني أعلِّمك**) يدل على أن الرسول ﷺ كان يعلم الأطفال أيضاً، وفيه أن أهلَ الفضل لا يأنفون من تعليم الأطفال وتربية الأطفال، (**إني أعلِّمك كلمات**) كلمات يسيرةً، هذا فيه أن المعلِّم لا يُثقل على المتعلم، بل يعطيه شيئاً فشيئاً، كلماتٍ لأجل أن يحفظها وترسخ في ذهنه، فالمعلم لا يأتي بالأمور والتعليمات دفعةً واحدة، وإنما يأتي بها شيئاً فشيئاً.

(**كلمات**) جمع كلمة، وهذه الكلمات أربع:

الأولى: (**احفظ الله يحفظك**) أي: احفظ أوامر الله ونواهيه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال ﷻ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ [ق]، يعني ـ حافظ لحدود الله ﷻ،

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، برقم (٤٩٥) و(٤٩٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٨٠) و(٢/ ١٨٧)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٠١): (إسناده حسن صحيح. وقال النووي: إسناده حسن). اهـ.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم (١٣٥٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم (٢٦٥٨).

فحفظُ الله: حفظُ دينه وأوامره ونواهيه، والجزاء **(أن الله يحفظك)**؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فيحفظك في دينك، ويحفظك في دنياك، يحفظك في دينك بأن لا يحصل في دينك خللٌ أو نقص، بل يحفظ الله عليك دينك، فلا يحصلُ عليك زيغ ولا انحراف، ولا فساد، لأن الله قد حفظك من الفتن، ومن الشرور، ويحفظك أيضاً في بدنك مما تكره، من اعتداء الأشرار عليك، أو اعتداء الحيوانات، أو السِّباع، أو غير ذلك مما يضرك، فإن الله يحفظ العبد، من المكاره ومن الأخطار.

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] معه ملائكة يحفظونه من المخاطر، ومن المهالك، لولا حفظ الله لهذا الآدمي لهلك في أول خطرٍ، وفي أول مهلكة، ولكن الله جل وعلا هو الذي يحفظه، يحفظه في دينه، ويحفظه في بدنه، ويحفظه في ماله، فيبقى ماله ولا يصاب بالآفات والتلف والسرقة وتسلُّط اللصوص وغير ذلك، نتيجة أنه حفظ الله ﷻ.

«.. ولما وَثَبَ أحد الشيوخ وثبةً قوية، سألوه عن هذه القوة، قال: «تلك جوارحُ حفظناها في الصغر فحفظها الله لنا في الكِبَر»[1]، حفظناها في الصغر يعني عن المعاصي والسيئات، فحفظها الله لنا في الكبر، وهذا شيء مشاهد، فحفظ الله للعبد مرتب على حفظ العبد لله ﷻ، وعلى العكس، من ضيَّع أوامر الله وضيَّع طاعة الله، فإن الله يضيعه ولا يحفظه، لا في دينه ولا في دُنياه ولا في بدنِه، لأن الجزاء من جنس العمل.

الثانية: (احفظ الله تجدْهُ تُجاهَك) هذه أرفع من الأولى، تجده تُجاهك يعني: معك، وهذه المعيةُ خاصَّة؛ لأن الله جل وعلا مع عباده كلِّهم المسلم والكافر والبرِّ والفاجر، معيةً عامة، بمعنى أنه محيط

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب رحمه الله، شرح الحديث التاسع عشر، ص(٣٤٩).

بأعمالهم، يراهم ويسمعُهم ويُحصي عليهم أعمالهم ويراقبهم، هذه معيةٌ عامة معناها الإحاطةُ والعلم بكل شيء مما يصدر عنهم من خيرٍ أو شرٍّ، أما المعيةُ الخاصة فهي بمعنى النصر والتأييد والحماية والتوفيق.

قال تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

واجَهَ موسى وهارون أعتى جبارٍ على وجه الأرض، وهو فرعون، ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه] لأنه جبار، عنده قوةٌ، وعنده كل شيء، وهم اثنان فقط ولا شيء معهم، وقفا أمامه، قال الله لهما: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

وماذا كانت النتيجة؟ إنها إهلاكُ فرعون وجبروته، ونصرةُ موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، هذه معيةٌ خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، وهذا معنى قوله: **(احفظ الله تجده تجاهك)** يعني أمامَك.

الكلمة الثالثة: (وإذا سألتَ فاسألِ الله) إذا سألت حوائجَك فاسأل الله؛ لأن حوائجك كلَّها عند الله ﷻ عنده كلُّ ما تريد، قال الله جلَّت عظمته: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر]، فاسأل الله ﷻ، ولا تسألِ الناس، لأن سؤالَ الناس ذلةٌ وافتقار إلى الخلق، فاسأل الله كلَّ ما تريد من خيري الدنيا والآخرة، والله يفرح بسؤالك له، أما ابنُ آدم فإنه يبغضُك إذا سألته.

الله يَغضبُ إن تركتَ سؤالَهُ وبُني آدم حينَ يُسألُ يَغضَبُ

والله يحب السائلين والملحِّين، «وينزل إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيه؟»[1]، بيده ﷻ

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين...، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، برقم (٨٥٧).

كل شيء، وهو الغني وهو الجوادُ، وهو الكريم، فاسأله بإخلاص نية وإقبال على الله، والله قريبٌ مجيب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهذا فيه أن العبد يعلِّق رغبته بالله، ويتوجه إلى الله بحوائجه فلا يسأل الناس؛ لأنك إذا سألت الناس ذللت لهم، وصرتَ عبداً لهم، ومنُّوا عليك، وأيضاً سؤال الناس فيه افتقارٌ إلى الناس وذلةٌ، وقد ورد في إحدى الحِكَمِ: **اسأل من شئتَ تكن أسيره، واستغنِ عن مَنْ شئت تكن مثلَهُ**(١).

إذا اضطر الإنسان لسؤال الناس، يسأل بقدر الحاجة والضرورة، وكونه يستغني ولا يسأل أحسنُ، ولكن يباح السؤال عند الضرورة بقدر ما يدفع ضرورته، وكذلك سؤالُ أهلِ العلم، يجب أن يسأل عن كل أمور دينه، لا يترك أمراً يجهله إلا ويسأل عنه، هذا ليس فيه حياءٌ ولا منعٌ، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

والكلمة الرابعة: (وإذا استعنتَ فاستعن بالله)، الله جل وعلا هو المُعين، فإذا احتجتَ إلى إعانة فاستعن بالله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وطلب العون من الناس **على قسمين:**

الأول: طلب العون فيما لا يقدرُ عليه إلا الله، من شفاء المرضى، وحصول الولد، هذا يعتبر شركاً أكبر.

الثاني: سؤالُ الناس ما يقدرونَ عليه من المال، أو من الجاهِ، فهذا مباحٌ، ولكن تركُه والتعففُ عنه أحسن.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ٣٩): (فأسعد الخلق: أعظمهم عبودية لله. وأما **المخلوق** فكما قيل: احتج إلى من شئت **تكن أسيره**، واستغن عن من شئت **تكن نظيره**، وأحسن إلى من شئت **تكنْ أميره**).

والاستعانةُ كذلك، الاستعانةُ بالناس فيما لا يقدرُ عليه إلا الله، هذا شركٌ أكبر، كالذين يستعينون بالأمواتِ وبالمخلوقين في الأمور التي لا يقدرُ عليها إلا الله، هذا شرك أكبر.

أما الاستعانة بالناس فيما يقدرون عليه فلا بأس، يقول الله جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول النبي ﷺ: «**والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه**»، التعاون فيما ينفع هذا طيبٌ، وأما طلب الإعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا لا يجوز وهو شرك أكبر.

فهذه كلمات عظيمة، توجيهاتٌ نبوية لابن عباس، ولغيره من الأمة.

ولمزيد من التفصيل عن هذا الحديث، اقرأ ما ورد في (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحديث التاسع عشر[١].

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث في جامع العلوم والحكم: «.. وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدتُ أطيش، فوا أسفي من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه..».

من أسباب محبة الله لعباده

٦ ـ وعن سَهْلِ بن سَعْدٍ ﷺ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، دُلَّنِي على عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي الناسُ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عند الناسِ يُحِبُّكَ الناس»(١). رواه ابن ماجه وغيره وسنده حسن.

الشَّرح

هذا حديثٌ عظيم، وهو من جوامع الكَلِم، وهو من الأحاديث الأربعة التي تدور عليها قواعد الإسلام كما سبق.

هذا سهل بن سعد ﷺ يسأل النبيَّ ﷺ فيقول: (**دُلَّني**) أي: أرشِدْني إلى عمل (**إذا عملتُه أحبَّني الله، وأحبَّني الناس**) هذا كلام جامع، فقال له النبي ﷺ: (**ازهدْ في الدنيا يحبُّك الله، وازهدْ فيما عند الناس يحبُّك الناسُ**) كلمات جامعة مختصرة.

الزهد: معناه عدمُ الرَّغبة في الشيء، قال جل وعلا: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، قال شيخ الإسلام: الزهدُ: هو ترك ما لا ينفعك في الآخرة»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه في أبواب الزهد، باب الزهد في الدنيا، برقم (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣١٣)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر ﷺ في بلوغ المرام، وصححه الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٤) وقال: «وقد حسنه النووي والعراقي والبيهقي».

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢١)، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/ ٢٢١٧).

الزهد في الدنيا: معناه عدمُ تعلُّق القلب بها، والسير وراءَها، والطمعِ فيها، وإنما يأخذ المؤمن من الدنيا بقدر ما يُعينُه على دِينه، وقدرِ ما يغنيه عن الناس، أما التكثُّر من الدنيا فهذا مشغلةٌ للإنسان وربما يزاحم عمَلَ الآخرة، أو أنه يشغله عن عمل الآخرة، الدنيا ليس لها حدٌّ، ومطامعها كثيرةٌ، فإذا انفتح على الإنسان باب الطمع في الدنيا فإنه لا يقف عند حد، وقد يُبتلى بالمرض ولا يستطيع أن يأكل ويشرب من المرض، ويجري وراء الدنيا يخشى أن تضيع أمواله أو أن تخسر فتجده مشتغلاً بالدنيا وهو محروم من ملذاتها بمرض أصابه، أو ما عنده وقت يجلس للأكل والشرب والنوم والراحة لأنه يخشى أن تضيع أمواله أو تخسر أو تُسرق أو غير ذلك، فإذا فتح على نفسه باب الطمع انفتح عليه باب التعب والمشقة على نفسه، أما إذا زَهِد في الدنيا واقتنع بما يؤتيه الله منها فإنه يرتاح ويبارك له في رزقه ويتلذذ في طعامه وشرابه ونومه، هذه نتيجة الزهد يعني عدم المكاثرة في الدنيا وعدم الانجرار وراءها.

وأعظم من ذلك أن الله يحبُّه **(ازهدْ في الدنيا يحبُّك الله)** هذا فيه وصفُ الله بأنه يحبُّ جل وعلا، يحب العبادَ الصالحين، ويحب الأعمالَ الصالحة، يُوصفَ الله جل وعلا بأنه يحب، هذه من صفات الأفعال الثابتة لله ﷻ، وهي محبةٌ تليق بجلاله ليست كمحبةِ المخلوقين، كسائر صفاته ﷻ.

(وازهدْ فيما عندَ الناس) أي: لا تتعلَّقْ رغبتُك فيما عند الناس، بأموالِ الناس، إذا تعلَّقَ قلبُك فيما عند الناس، وتطلعتَ إليه، أبغضكَ الناس، فإذا تركتَ سؤالهم أحبوك، لأنهم ارتاحوا منك فيحبونك، فازهدْ فيما عندهم، ولا تعلَّق قلبك فيما عندهم من أجل أن يحبوك، وإذا أردت أن يبغضوك اطلب منهم أموالَهم واسألهم، تجد منهم الغضبَ والتضايق والتبرُّم.

فهذا الحديث من القواعد العامة المفيدة في الإسلام، إذا أردت أن تنال محبةَ الله فازهد في الدنيا، وإذا أردت أن تنال محبةَ الخلْق فازهد فيما عندهم، ولا تسألهم أموالهم[1].

(١) عن موسى بن عقبة قال: كتب أبو الدرداء إلى بعض إخوانه: (أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك الله لرغبتك فيما عنده، وأحبك الناس لتركك لهم دنياهم، والسلام) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٥/ ١٦٢).
* وعن محمد بن كعب القُرظي قال: (إذا أراد الله بعبد خيراً أزهده في الدنيا وفقَّههُ في الدين، وبَصَّره عيوبه، ومن أوتيهن فقد أوتي خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٣/ ٣٨٩).

من أسباب محبة الله للعبد

٧ ـ عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «... إنَّ اللهَ يُحِبُّ العبدَ التَّقيَّ، الغَنيَّ، الخفِيَّ»(١). أخرجه مسلم.

الشرح

(**سعد بن أبي وقاص**) أحدُ السابقين الأولين إلى الإسلام والمهاجرين، وأحدُ العشرة المبشَّرين بالجنة، ﵁.

(**إن الله يحبُّ العبد التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**) ثلاث صفات يحب الله صاحبَها، وهذا أيضاً فيه وصفُ الله بأنه يحب محبةً تليق بجلاله ﷻ.

الصفة الأولى: (**يحب التقي**) المتصف بالتقوى، وتقوى الله: هي فعلُ أوامره طمعاً في ثوابه، وتركُ ما نهى عنه خوفاً من عقابه، سُميت تقوى؛ لأنها تقي من عذاب الله، مأخوذة من الوقاية وهي ما يقي من المكروه، فطاعةُ الله ﷻ سُميت تقوى؛ لأنها تقي من عذاب الله ﷻ، وتقي من النار.

والتقوى: كلمةٌ جامعة تجمع كلَّ خصال الخير، وقد علَّق الله بها خيرات كثيرة، قال تعالى: ﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، فالتقوى علق الله عليها خيراتٍ كثيرة، وعلق عليها النجاة من النار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٥).

﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم]، فهي كلمة جامعةٌ وفوائدها عظيمة، وهي تعني أن يمتثل العبدُ أوامر الله راجياً ثوابَه، وأن يتجنب محارمَ الله خائفاً من عقابه، هذه هي التقوى، يحب الله المتقين، وهذا في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وكذلك يحب التوَّابين، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الصفة الثانية: (الغنيّ) المرادُ بالغنيّ: غنيُّ القلب، القنوعُ بما رزقه الله، الذي ليس له فيه جشعٌ، وليس فيه طمع كثير، قال ﷺ: «**ليس الغِنى عن كثرةِ العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى القلب**»(١). تجد بعض الناس غنياً وإن كان ماله قليلاً، إذا رُزق القناعة، وتجدُ من الناس فقيرَ القلب وإن كانت عنده أموالُ الدنيا.

الصفة الثالثة: (الخفي) الذي لا يحب أن يظهرَ أمامَ الناس بالأعمال، يُخفي أعمالَه، ويسرُّها إخلاصاً لله ﷻ، ولا يحب المدح، ولا يحب الثناءَ، يعمل الأعمال الصالحةَ، ويفعل الخيرَ، ولا يحب أن يراه الناس، يُخفي أعماله، هذا هو الذي يحبه الله ﷻ، لأنه بعيدٌ عن الرياء قريبٌ من الإخلاص لله ﷻ، لا يحب الظهورَ، ولا يحب المدح والثناء من الناس، وإنما يحبُّ رضا الله ﷻ وما يقرِّب إليه، هذا هو الذي يحبه الله ﷻ، وفي رواية **(الحفي)** بالحاء، وهو الذي يحتفي بأقاربه، ويحتفي بأرحامه ويكرمهم، ويحتفي بإخوانه المسلمين.

في الحديث وَصْفُ الله جل وعلا بالمحبة، وفيه فضلُ هذه الصفات: التقوى، وغنى القلب، والإخلاص لله ﷻ في الأقوال، والأعمال، والزهد في الثناء والمدح من الناس، لا يهمُّه مدح الناس أو ثناء الناس، وإنما الذي يهمُّه رضا الله ﷻ، وحتى لو سَخِطَ عليه الناس وذموه، فلا يهمه هذا.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، برقم (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، برقم (١٠٥١).

من حُسن إسلام المرءِ

٨ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ»[١]. رواه الترمذي، وقال: حسن.

الشَّرْح

وهذا أيضاً من الأحاديث الأربعة التي تدور عليها قواعد الإسلام.

(من حُسنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه) من العناية، وهي: الاهتمام، أي أن الإنسان يتركُ ما لا يهمه في دينه وآخرته، وإنما يهتم بأمور دينه وأمور آخرته[٢].

الإسلام: هو الاستسلامُ لله بالتوحيد والانقيادُ له بالطاعة، وهو يشمل خصالاً كبيرةً، كلُّ ما شرعه الله فهو من الإسلام، وما نهى عنه فاجتنابُه من الإسلام، فالإسلام: هو فعل الطاعات، واجتناب المعاصي والمنهيات، وفي الحديث: **«المسلمُ من سلم المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ، والمهاجرُ من هَجَرَ ما نهى الله عنه»**[٣].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، بابٌ برقم (٢٣١٧)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٦).

(٢) قال عمر بن عبد العزيز ﷺ من عد كلامه من عملِه قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه...» جامع العلوم والحكم حديث (١٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، برقم (١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، برقم (٤٠).

النهي عن الشبع والتنعُّم بالدنيا

٩ ـ عن المقدامِ بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما مَلأَ ابنُ آدَمَ وِعاءً شرّاً مِنْ بَطْنٍ»[١]. أخرجه الترمذي وحسنه.

الشَّرح

هذا فيه النهيُ عن الشِّبع والتنعُّم بالدنيا، **(ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرّاً من بطنٍ)** لأنه إذا ملأ بطنَه فإن هذا ضررٌ عليه في دينه، وفي صحته.

في دينه يثبِّطُه عن الطاعة ويكسِّلُه عن العبادة، ويجعله ثقيلاً وميالاً إلى النوم، ويؤثِّر على قلبه، ويُصابُ قلبه بالكسل والخمول وعدم التفكير والبلادة.

وفي صحته ذَكَرَ الأطباءُ أن التُّخمة تُورث أمراضاً كثيرة، أيضاً الإنسان إذا شبعَ فإن هذا يحمله على الأشَرِ والبَطَرِ، وأما إذا جاع فإن هذا يحملُه على التواضع والذِّلة والمسكنة، إذا قلّل من الطعام والشراب فإن هذا يحملُه على لين الجانب، ويحملُه على التواضع، أما إذا شبع فإن هذا يحملُه على الأشَرِ والبطرِ والتكبر، والجري وراءَ الشهوات، كل ما تشتهي نفسه يُحضره ويأكله، ولا همّ له إلا بطنه وشهواته، هذا مذمومٌ، وهذا يورث أمراضاً صحية، قد يحدث فيه مرضاً يقتله بسبب التخمة.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، برقم (٣٣٤٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٢٦٥)، وإرواء الغليل، برقم (١٩٨٣).

فالشبعُ ضارٌّ في الدين والدنيا والصحة، والنبيّ ﷺ يقول: «**بحسب ابن آدم لقيماتٌ**» تقليل وتصغير «**يُقِمنَ صُلبَه، فإن كان لا بدَّ فثلثٌ لطعامِهِ، وثلثٌ لشرابِهِ، وثلثٌ لنَفَسه**»، أما أنه يملأ البطنَ كله، ولا يجعل للشراب مجالاً، ولا للنفس مجالاً، فهذا شرٌّ (**ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرّاً من بطنٍ**).

فعلى الإنسان أن يراعي هذا الأدبَ النبوي، ولا يُكثر من الطعام، ولا يكثر من الشهواتِ، وأيضاً إذا صار عنده شَرَهٌ في الأكل فربما لا يكفيه الحلال، يروح يطلبُ الحرامَ ليُشبع رغبته، فالشبع فيه مضارٌّ كثيرة، وفيه شرورٌ كثيرة، فعلى الإنسان أن يقلل من الطعام ولو كان يشتهيه، كما قال النبيُّ ﷺ: يجعلها ثلاثاً، **ثلثاً لطعامه، وثلثاً لشرابه، وثلثاً لنَفَسه**، هكذا أرشد النبي ﷺ.

❊ ❊ ❊

كُلُّ بَنِي آدم خطَّاء

١٠ ـ وعن أنس ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[1]. أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وسنده قوي.

الشَّرح

(**كل بني آدم خطاءٌ**) يعني يقع في الخطأ؛ لأن الإنسانَ بحكم ضعفه فإنه عُرضةً إلى الخطأ، ولا أحد يسلم من الخطأ.

الخطأ: هو المعصيةُ والذنوب، فيقع منه معصيةٌ، ويقع منه ذنوب، هذه طبيعةُ الإنسان، ولكن الله بمنِّه وفضله لعلمه بهذا الإنسان فتح له باب التوبة.

(**خيرُ الخطائين التوَّابون**)، فإذا وقع الإنسان في الخطأ فليبادر بالتوبة، والتوبةُ في اللغة: الرجوع، والمراد بها هنا: الرجوعُ إلى الطاعة، فهذا فيه أنه لا يوجد من يسلمُ من الخطأ من بني آدم، والأخطاء تختلف، ولكن على الإنسان أنه إذا حصل منه خطأ أن يبادر بالتوبة والاستغفار، والتوبةُ تجبُّ ما قبلها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] ليس الجهالةُ عدم العلم، وإنما الجهالة هنا المراد بها عدمَ الحِلْمِ.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥١)، وقال الألباني في هداية الرواة (٢/٤٤٩): (وإسناده حسن وصححه الحاكم (٤/٢٤٤)).

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجْهَلَ فوقَ جَهْلِ الجَاهلينا

فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ يعني بغُشْمٍ وعدمِ رؤية، وعدم تفكير، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] يتوب من قريب لا يؤخِّر التوبة إلى وقتٍ آخر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران].

كأن هذا الحديث فيه الخبرُ أن الوقوع في الأخطاء من طبيعة الإنسان، ولكنَّ بكرمه وفضله فتح له بابَ التوبة، وهذا علاج الأخطاء، التوبة إلى الله ﷻ.

الصَّمتُ حكمةٌ

١١ ـ وعن أنسٍ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وقليلٌ فاعِلُهُ»[(١)]. أخرجه البيهقي في (الشعب) بسند ضعيف، وصَحَّح أنه موقوف من قول لقمانَ الحكيم.

الشَّرح

(الصَّمتُ حكمةٌ وقليل فاعله) يروى عن النبي ﷺ، والراجح أنه مأثورٌ من قول لقمانَ الحكيم الذي ذكره الله في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]، وهو رجل حكيم، ورجلٌ أسود، يقال: إنه من الحبشة، آتاه الله الحكمة والعلمَ، وصار كلامه كلامَ حكمة، وذكر الله وصاياه لابنه في القرآن.

فالراجح ـ والله أعلم ـ أن هذا من كلام لقمانَ، وله مناسبة: **(يُروى أنه حضر عند داود ﵇، وكان داودُ يصنع الدروع من الحديد، ألان الله له الحديدَ فصار يصنع منها الدروع التي يلبسها المقاتلون لتقيهم من السلاح، جلس عنده وهو يشتغلُ بالحديد فأراد أن يسأله ما هو هذا الشغل؟ لكنه تصبَّر إلى أن فرغ داودُ ﵇ من صناعة الدرع ولبسه، فعرف**

---

(١) رواه البيهقي في (شُعب الإيمان) برقم (٤٦٧١)، وقال: (هذا هو الصحيح عن أنس أن لقمان قال: «**الصمت حكمة وقليل فاعله**»)، والحاكم (٢/ ٤٥٨)، وذكره الإمام القرطبي ﵀ في الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٤٧٠) طبعة مؤسسة الرسالة، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني برقم (٢٤٢٤).

لقمان المراد بهذه الصنعة، ولماذا كان داود ﷺ يشتغل بهذا الحديد؟ وقال عند ذلك: الصمتُ حكمةٌ وقليل فاعله)[١]، يعني أنه لما صبر إلى أن أتم داود ﷺ الدرعَ عرف المقصودَ منه بدون سؤال.

وفي هذا الأثر سواءً كان عن الرسول ﷺ أو عن لقمانَ فيه مشروعيةُ حفظ اللسان عن كثرة الكلام، وهذا جاء في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[٢]، إذا رأيت أن الكلام فيه فائدة، وفيه خير تكلَّمْ، وإلّا فاحفظ لسانك، وقال ﷺ لمعاذ: «**هل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم ـ أو قال: على مناخرِهم ـ إلا حصائدُ ألسنتهم**»[٣].

فالكلام لا شك أنه خطرٌ على الإنسان إلّا إذا توقى منه وحفظ لسانه، ولا يتكلم إلا بما فيه فائدة، الكلام قد يكون منه شركٌ، وقد يكون منه غيبةٌ ونميمة، وقد يكون منه شتمٌ وسبٌّ، فاللسانُ خطير، يقول النبي ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لَحييه وما بين رجلَيه أضمنُ له الجنة**»[٤].

(وقليلٌ فاعله) كثير من الناس لا يصبر، ولكن القليلَ من الناس هو

---

(١) سبق تخريجه ص(١٣٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير. . .، برقم (٤٧).

(٣) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٤).

الذي يصبرُ ويمسك لسانَه، فإذا رأى له مجالاً في الكلام، وللكلام فائدةٌ تكلم وإلا سكت[١].

فهذا فيه مشروعيةُ التقليل من الكلام إلا بما فيه فائدةٌ وما فيه خير[٢].

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا حفظَ اللسان، وأن يحفظنا من الكلام الذي يكون علينا لا لنا، ويجعل كلامنا فيما ينفعنا، وفيما يفيدنا في ديننا وآخرتنا إنه سميع مجيب.

---

(١) وروى الترمذي في كتاب صفة القيامة: (باب فليكرم ضيفه) برقم (٢٥٠١)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٥٩ و١٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو ﭭ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صمت نجا**». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (٩٥٠).

(٢) روى البيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٨٣): عن عائشة ﭭ قالت: «يتوضأ أحدكم من الطعام الطيب يأكله ولا يتوضأ من الكلمة العوراء يقولها».
وعن عمر بن الخطاب ﭬ قال: «من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن كثر مزاحه استُخف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه» شعب الإيمان للبيهقي (٨/ ٨٦).

بابُ الترهيب من مساوىء الأخلاق (١)

(الترهيب): هو التخويف والتفزيع والترويع، و(مساوئ الأخلاق): هي الأخلاق السيئة، كالغضب والبُخلِ والظلم، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة، لأن الله ﷻ أمَرَ بمحاسن الأخلاق والاتصافِ بالصفات الطيبة، هذه صفات أهلِ الإيمان، وأما الأخلاقُ السيئة والذميمة فهي صفاتُ المنافقين والكفار.

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد ص (٢٠٩):
(... أصل الأخلاق المذمومة كلِّها **الكِبْرُ والمهانة والدناءة**، وأصل الأخلاق المحمودة كلها **الخشوع وعلو الهمة؛ فالفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغي، والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والإعراض؛ وإباءُ قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة، وأن يُحمَدَ بما لم يفعل**... وأمثال ذلك؛ **كلها ناشئة من الكبر**.
وأما **الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة، والطمع والفزع والجبن والبخل والعجز والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير**... ونحو ذلك؛ فإنها من **المهانة والدناءة وصغر النفس**.
وأما الأخلاق الفاضلة؛ **كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجود والحلم والعفو والصفح والاحتمال، والإيثار وعزة النفس عن الدناءات والتواضع والقناعة والصدق والإخلاص والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس وترك الاشتغال بما لا يعنيه وسلامة القلب عن تلك الأخلاق المذمومة**... ونحو ذلك؛ فكلها ناشئة عن **الخشوع وعلو الهمة**).

إياكم والحسد

١ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فإن الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كما تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»(١).

أخرجه أبو داود.

ولابن ماجه من حديث أنسٍ نحوه(٢).

الشَّرْحُ

من مساوئ الأخلاق: الحسدُ، وقد حذَّر منه النبيّ ﷺ فقال: **(إياكم والحسد)** هذا تحذير، فهذه الصيغةُ صيغة تحذير، ثم بيَّن آفةَ الحسد فقال: إنه أهلَكَ الأممَ التي قبلنا.

والحسدُ: معناه تمنِّي زوالِ النعمةِ عن المحسود، إذا رأى على

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الحسد، برقم (٤٩٠٣)، والحديث ضعفه الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٩٣)، والشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم (١٩٠٢).

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحسد، برقم (٤٢١٠)، وضعفه العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٩٣)، وفي التحفة الكريمة ص(١٣٩).

فائدة: قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٧٩٣): «وكلاهما ضعيف لأن في إسناد الأول مبهماً لا يعرف وهو الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قاله الحافظ في التقريب (٨٥٨٤) وهو جد إبراهيم بن أُسيد، وفي الثاني عيسى بن أبي عيسى الخياط وهو متروك كما في التقريب (٥٣٥٢)» اهـ. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني رحمه الله رقم (١٩٠١).

أحدٍ نعمةً من الله فإنه يتمنى زوالها عنه، سواءً أرادها لنفسه أو أن تزول عن المحسود فقط، هذا هو الحسد، وأما أن يتمنى أن يكونَ عنده مثلَ ما عند المحسودِ من النعمة فهذا ليس حسداً، هذا يسمى بالغِبْطة، وقد قال النبي ﷺ: «**لا حسدَ إلّا على اثنتين: رجلٌ آتاه الكتاب فقام به آناء الليل. ورجلٌ أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار**»(١)، فيراه إنسانٌ مؤمن فيتمنى أن يكون مثله، فهذا ليس حسداً بل هذا محمودٌ أن الإنسان يتمنى أن يكون مثلَ أهل الخير، ويقتدي بهم.

والحسد: هو أولُ ذنب عُصِيَ الله به، وذلك أن إبليسَ لما حسد آدمَ، لأن الله جل وعلا فضَّل آدم، وقد خلقه بيدِه، وعلَّمه الأسماء كلها، فضَّله على الملائكة في العلم، وأمرَ الملائكة بالسجود له إكراماً له، لا عبادةً له، لأن العبادة إنما تكون لله، كما أن أبَوَي يوسفَ وإخوته خرُّوا له سجداً إكراماً له وتحية له، وهذا جائزٌ في شرع من قبلنا، أما نحن فنُهينا عن السجود للبشرِ مطلقاً، الحاصل أن الله لما فضَّل آدم حسده إبليس، وأبى أن يسجد له من باب الحسد، فعصى أمرَ ربه، فعاقبه الله ﷻ باللعنة والطرد والإبعاد لمَّا فَسَقَ عن أمر ربه وعصى، والذي حمله على ذلك الحسدُ.

والحسدُ هو الذي حمل ابن آدم على قتل أخيه، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، الذي لم يُتقبَّل منه قال للذي تقبَّل الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، برقم (٥٠٢٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين.. باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه... برقم (٨١٥).

* قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «المؤمن يغبط ولا يحسد، الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق» سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٣٧).

منه: لأقتلنك، حسده على نعمة الله ﷻ، قتل أخاه ظلماً وعدواناً بسبب الحسدِ، وهو أولُ قتلٍ على وجه الأرض، وهو أول من سنَّ القتل[١]، وذلك يكونُ عليه إثمٌ في كل نفس قُتلت ظلماً، وهذا بسبب الحسد.

وكذلك اليهود لما بُعثَ محمدٌ ﷺ، وكان من العرب حسدوه، حسدوا العربَ على هذه النعمة؛ لأنهم يريدون أن تكون النبوةُ في بني إسرائيل، ولا يريدونها أن تكونَ في غيرهم، فحسدوا نبينا محمداً ﷺ وكفروا به، حملهم الحسدُ أنهم كفروا به، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وكذلك الحسدُ هو الذي يسبب القتلَ والبغيَ والعدوان بين الناس، كله من جرَّاء الحسد، فالحسد خصلةٌ مذمومة، فيجب على المسلم أن يحذره، وإذا وجد في نفسه شيئاً منه، فليستعذ بالله، وليدفعه، ولا يتفاعل مع الحسد، بل يدفعه ويستعيذ بالله؛ لأن الحاسد يعترض على الله في قضائه وقدره، فهذا من مساوئ الحسدِ أنه اعتراضٌ على الله ﷻ.

ثم إن الحاسدَ لا يدرك شيئاً، إنما يحرقُ نفسه، ويقتله الحسدُ، ويتحسَّر لأنه لا يقدر على أن يمنع نعمة الله ﷻ، وهو يريد أن تزول عن هذا الشخص، فيتحسر ويأكله الحسد، ولهذا يقول الشاعر:

لله درُّ الحَسَدِ ما أعدَلَهْ   بدأ بصاحِبِهِ فقَتَلَهْ

وأيضاً أشدُّ من ذلك أنه يأكل الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطب

---

(١) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٨٣) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابنِ آدم الأول كِفل من دمها، لأنه أول من سن القتل»**. وانظر تفسير ابن جرير وابن كثير رحمهما الله للآيات (٢٧ ـ ٣١) من سورة المائدة.

كما قال النبي ﷺ، لأنه يعترض على الله ﷻ؛ لأنه يريد أن ينتقم من أخيه ويزيلَ عنه النعمة ولو بالقتل، فهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وهذا خطرٌ شديدٌ.

فهذا الحديث فيه ذمُّ الحسد وبيانُ ضرره على الحاسد، وفيه التحذير من هذه الخصلة[1].

(١) وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد ص (٢٠٣): «وللحسد حد: وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصِغر نفس، قال النبي ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس**» رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).
فهذا حسد منافسة يطالب الحاسد به نفسه أن يكون مثل المحسود، لا حسد مهانة يتمنى به زوال النعمة عن المحسود».

إنما القوي الذي يملك نفسه عند الغضب

٢ ـ وعنه ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إنما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»(١). متفق عليه.

الشَّرْح

ومن مساوئ الأخلاق أيضاً: الغضبُ، الغضبُ غريزة في الإنسان تثورُ عند أسبابٍ تهيِّجها، فيريدُ الانتقامَ من المغضوب عليه، فالذي يقوى على منعِ نفسه من الانتقام، هذا هو الشديدُ، يعني: القوي، (**وليس الشديدُ بالصُّرَعة**) الذي يصرعُ الناس بقوة بدنه، وإنما الشديد الذي يملكُ نفسَه عند الغضب، فلا ينفذ الغضب.

والغضب على قسمين:

الأول: إذا كان الغضبُ لله ﷻ ولُحُرماته، فهذا غضب محمود، أن يغضبَ لله ﷻ إذا انتهكت حرماته، كان النبي ﷺ يغضب إذا انتهكت حُرمات الله.

والثاني: الغضبُ الذي يكون سببُه حبَّ الانتقام من الناس إذا أساؤوا إليه، أباح الله لمن أُسيء إليه أن يقتصَّ، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ ولكنه رغَّب في العفو، وأن يكظم الإنسان غيظه، ويعفو، قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم (٦١١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب... برقم (٢٦٠٩).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصّلت]، فإذا غضب الإنسان على أحد في غير حُرُمات الله ﷻ فإن الواجبَ أن يعفو عنه، وأن يملك نفسه عن الانتقام، والله جل وعلا يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، هذا مدحُ العافين عن الغير، الكاظمين الغيظَ الذين يكظمون غيظهم وغضبهم، ولا يظهرونه.

وقد جاء علاجُ الغضبِ بأشياءَ:

الشيء الأول: الاستعاذةُ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٦]، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وتسابَّ رجلان عند النبي ﷺ، أو بحضرتِه وهو يراهم، فتأثر أحدُهما حتى احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال ﷺ: «**إني لأعلمُ كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجدُ: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم**»[1].

والشيء الثاني: أنه إذا غَضبَ يتوضأ أو يغتسل؛ لأن الغضبَ من الشيطان، والشيطانُ مخلوق من النار، والنارُ يطفئها الماء، فإذا غضبَ فليغتسل أو يتوضأ بالماء[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٨٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب... برقم (٢٦١٠).

(٢) قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﵀ في حاشيته على بلوغ المرام ص(٧٩٤): أخرج أبو داود برقم (٤٧٨٤) بإسناد حسن عن عطية السعدي ﵁ مرفوعاً: «**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**».

الشيء الثالث: إن كان قائماً فليقعد، وإن كان قاعداً فليضطجعْ حتى يزولَ عنه الغضب(١).

والنبيُّ ﷺ في هذا الحديث يُثني على الذي يملك نفسه عند الغضب، بأنه هو القوي، القوة المعنوية، وليس القويُّ قويَّ البدن، الذي إذا تصارع مع الناس يصرعُهم.

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى ما أخرجه أبو داود في أول كتاب الأدب برقم (٤٧٨٢)، وأحمد (٥/ ١٥٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**».
* وأخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٤٥ و١٢٢٠)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٣٩ و٢٨٣ و٣٦٥) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**».

الظلم ظلمات يوم القيامة

٣ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الظُّلمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ»(١). متفق عليه.

الشَّرْح

ومن مساوئ الأخلاق: الظلمُ، **والظلم**: وضعُ الشيء في غير موضعه، ويُطلقُ الظلمُ ويراد به النقصُ، كما قال تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣] يعني لم تنقص منه شيئاً.

والظلم على ثلاثةِ أنوع:

النوع الأول: ظلمُ الشرك، وهذا أعظمُ الظلم، سُمي ظلماً؛ لأنه وضعٌ للعبادةِ في غير موضعها، فهو أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] يعني بشركٍ، فهذا أعظم الظلم.

النوع الثاني: ظلمُ الناسِ في أعراضِهم، أو في أموالِهم، أو في أبدانِهم، بأن يتعدَّى عليهم بغير حق، وهذا ظلم خطيرٌ، والنبيّ ﷺ يقول: «**اتقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليسَ بينها وبين الله حجابٌ**»(٢)، حتى

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، برقم (٢٤٤٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٩).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وتُرد في الفقراء... برقم (١٤٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (١٩).

الكافر لا يجوزُ ظلمه، ولو دعا عليك وهو كافرٌ قُبلت دعوتُه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود]، وقال ﷺ: «**إنَّ الله يُملي للظالمِ حتى إذا أخَذَه لم يُفْلِتْهُ**»[(١)]، هذا ظُلم الناس.

وظلم الناس لا يسقُطُ عن الإنسان ولو تاب إلى الله، لا بدَّ أن يسامحوه، فإذا سامحوه سقط عنه الإثمُ، أو إذا ردَّ عليهم مظالمَهم، أو مكَّنهم من القصاص منه، المهم لا بد من أداء المظالِم إلى أهلها في هذه الدنيا، وإلا فإنها ستؤدى يوم القيامة من حسناته، كما جاء في الحديث أن الرجلَ يأتي بأعمالٍ صالحةٍ أمثالَ الجبال، «**ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناتِه، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يقضي ما عليه، أُخِذ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار**»[(٢)].

ولهذا قال ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلَّله منه اليومَ قبل أن لا يكونَ دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه**» يعني يوم القيامة[(٣)].

النوع الثالث: ظلمُ العبدِ لنفسه، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٣٦]، وذلك

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، برقم (٤٦٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨١).

(٣) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له... برقم (٢٤٤٩).

بالذنوب والمعاصي؛ لأن الواجب أن الإنسان يكرِمُ نفسه بالطاعة ويرفَعُها عن المعاصي، ويعرِّضها لطاعة الله ومغفرته وجنتِه، فإذا أساءَ إليها وتركها والمعاصي والشهواتِ المحرمة وأعطاها ما تشتهي فقد ظَلَمَها، ووضعها في غير موضعها، وجاء النهيُ والذم عن ظلم النفسِ في القرآن بكثرة، وذلك بالذنوب والمعاصي التي بينكَ وبينَ الله، فعليك أن تطهِّرَ نفسك، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس] يعني طهَّرها من الذنوب والمعاصي ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ يعني دنَّسها بالذنوب والمعاصي.

والظلمُ الأول ظلم الشرك هذا لا يغفره الله إلا بالتوبة. والنوع الثاني لا يغفره الله إلا إذا عفا أصحابُه، إذا تسامح أصحابه، أما الظلمُ الثالث فهو تحت المشيئة، ظلمُ العبد لنفسه تحت مشيئة الله إن شاء الله غفرَ له وإن شاء عذبه. وعلى كل حال فالظلمُ شنيع، ولهذا قال ﷺ: (**الظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة**).

يومَ القيامة أهلُ الإيمان يكونون في النور، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] أما أهلُ النفاق فإنهم يكونونَ في ظلماتٍ، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ انظرونا: يعني انتظرونا ولا تذهبوا عنا مِن ظُلم الكفرِ والشركِ والمعاصي، لا يرونَ تحت أقدامهم ولا يبصرون، يعطَونَ نوراً في أول الأمر ثم يطفأ والعياذ بالله، ويبقون في ظلمة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، فالظَّلَمة يكونون في هذه الظلمات يوم القيامة.

وهذا فيه التحذيرُ من الظلم، وأن الظالمَ يوم القيامة يكون في ظلمات لا يستطيع المشي ويقع في المهالكِ والأخطار.

التحذير من الشُّح

٤ ـ وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «اتقوا الظلمَ، فإن الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ، واتقوا الشُّحَّ فإنَّهُ أهلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُم»(١). أخرجه مسلم.

الشَّرح

هذا الحديث فيه النهيُ عن خَصلتين من خِصال مساوئ الأخلاق:

الخصلةُ الأولى: الظلمُ، وقد تقدم في الحديث الذي قبله الكلامُ عليه. وقوله: «اتقوا الظلم» أي: تجنَّبوه، اجعلوا بينكم وبينه وقايةً بطاعة الله ﷻ.

(**واتقوا الشحَّ**) الشحُّ، قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، ذكر الله ذلك في سورة (الحشر) في صفة الأنصار رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني قبل المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وفي الآيةِ الأخرى في آخر سورة (التغابن) ﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

والشح خصلة ذميمة، والفرق بينه وبين البخل:

أن البخلَ: أن تبخلَ بما عندك، **وأما الشحُّ**: فهو أن تبخلَ فيما عندك وتحرص على ما في يدِ غيرِكَ، تتطلع إلى ما في أيدي الناس، هذا هو

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٨).

الشح، أسوَأُ من البخل، لأنه بخلٌ وحرص شديد على أخذِ ما بأيدي الناس، والشح أهلَكَ من كان قبلَنا من الأمم، حملهم على أن يسفكوا دماءهم عند الأموال، حمَلَهم ذلك على أن يتقاتلوا، ويُهلِك بعضهم بعضاً.

فالنبي ﷺ حذَّر من الشح، فينبغي للإنسان أن يحذَرَ منه وإذا وجد في نفسه شيئاً، فليسألِ الله أن يقيه من الشح.

كان عبد الرحمن بن عوف ﷺ يُكثر في طوافه بالبيت وبالوقوف بعرفة أن يقول: اللهم قِنِي شُحَّ نفسي، يرددُ هذه الدعوة فسئل عن ذلك فقال: «إذا وقيت شح نفسي وقيت الظلم والبخل والقطيعة..»[1]، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فإذا وُقِيَ شُحَّ نفسِه كَفَّ عن الظلم، كفَّ عن الاعتداء، إذا وُقِيَ شُحَّ نفسه أخرَجَ الصدقة، أخرج الزكاةَ، أحسنَ إلى الناس، أما إذا كان شحيحاً فإن ذلك يمنعُه من الإنفاق ويدفعُه إلى ظُلم الناس في أموالهم، فالشح خصلةٌ ذميمة.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ﷺ في تفسيره (٢٢/ ٥٣٠)، وذكره الفاكهي في أخبار مكة برقم (٣٩٦)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٨٩).
قال الإمام ابن القيم ﷺ: [«.. **والفرق بين الاقتصاد والشُحّ**: أنَّ الاقتصاد خُلقٌ محمود يتولَّد من خلقين: عدل وحكمة. فبالعدل يعتدل في المنع والبذل، وبالحكمة يضعُ كل واحد منهما موضعَه الذي يليق به، فيتولَّد من بينهما الاقتصاد، وهو وسطٌ بين طرفين مذمومين كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان]، وقال: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]».
وأما الشحُّ، فهو خُلقٌ ذميم يتولَّد من سوء الظن وضعف النفس، ويُمِدُّه وعدُ الشيطان حتى يصير هالعاً. والهلَعُ: شدَّة الحرص على الشيء والشَّره به، فيتولَّد عنه المنعُ لبذله، والجزَعُ لفقده، كما قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ [المعارج] الروح (٦٦٦)].

ما جاء في ذم الرياء

٥ ـ وعن محمودِ بن لَبيدٍ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أخْوَفَ ما أخَافُ عليكم: الشِّرْكُ الأصْغَرُ: الرِّياء»[١]. أخرجه أحمد بإسناد حسن.

الشَّرْح

حدَّث النبيُّ ﷺ أصحابَه عن المسيح الدجال وفتنتِه وشرِّه، ثم إنه قام من مجلسه، فجعل الناس يتذاكرون المسيحَ الدجال وفتنته، فلما جاء إليهم الرسولُ ﷺ قال: «**ألا أخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشركُ الأصغر وهو الرياء**».

إن الإنسان يُرائي بأعماله، بأعمالِ الخير، يريد أن يمدحه الناس ويثنوا عليه، وهذا يتنافى مع الإخلاص لله ﷻ، هذا شركٌ؛ لأنه عملٌ للناس، الشرك معناه أنه يعبدُ غيرَ الله، وهذا موجودٌ في الرياء، فالمرائي عَبَدَ غيرَ الله؛ لأنه عَمِلَ من أجل الناس، لا من أجل الله ﷻ، وقد وصفَ الله المنافقين بأنّهم يراؤون الناس.

فالرياءُ من صفات المنافقين، وقد عدَّه النبي ﷺ من الشرك الأصغر، والشركُ الأصغرُ لا يُخرج من الملة، ولكنه وسيلةٌ إلى الشرك الأكبر، ويحبط العمل الذي وقع فيه، الشركُ الأكبر يحبط جميع الأعمال، أما الرياء فإنه يُحبط العمل الذي وقع فيه، ويصيرُ تعباً على صاحبه بلا فائدة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/٤٢٨، ٤٢٩)، **وقال الشيخ العلَّامة عبد العزيز بن باز** ﵀: «رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد الأنصاري بإسناد جيد». الدروس المهمة لعامة الأُمَّةِ ص(١٠).

الشركُ الأكبر يتجنَّبه المؤمن، ولكن المشكلة في الشرك الأصغر ما يتنبَّه له المؤمن، وهو من الشركِ الخفي، لأنه في القلب، ولا يعلمُ ما في القلب إلا الله ﷻ، ولذلك خافَهُ النبي ﷺ على أفضل الأمة وهم الصحابة، وخافه الصحابةُ على أنفسهم؛ لأنه قَلَّ من يسلمُ إلّا من سلَّم الله ﷻ، فعلى المسلم أن يخافَ من الرياء، ولا يزكي نفسه، وعليه بإخفاء أعماله مهما أمكنه ذلك، وعليه أن يخلص النيةَ لله في الأعمال كلها الظاهرة والخفية، وإذا وقع في خاطره حبُّ الثناء أو عرضَ له الرياء، فليدفعْ فإنه لا يضرُّه، أما إذا خطر معه واستمرَّ معه فإنه يبطل عمله، إنه خطير جداً؛ لأنه خواطرُ نفسية، والنفس مجبولةٌ على حب الثناء، وعلى حب المدح، فإذا دخل هذا في الأعمال والعبادات صار رياءً، قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون]، فوعدهم الله بالويل.

يقول الله جل وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] هذا يشمل الشركَ الأكبر والشرك الأصغر ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾، والله جل وعلا يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملاً أشركَ معي فيه غيري تركتُه وشركه**»[1]، لا يقبل الله من الأعمال إلّا ما كان خالصاً لوجهه، وصواباً على سُنة رسوله ﷺ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم (٢٩٨٥).

* قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «الرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا عليها» فتح الباري: (١١/ ٣٤٤).

* **قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد ص (٢١٩):**

«لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت.

فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا =

من علامات المنافق

٦ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ»(١). متفق عليه.

٧ ـ ولهُما من حديثِ عبدِ اللهِ بن عَمْرٍو: «وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢).

الشَّرْح

(آيةُ المنافق) الآية: معناها العلامة، أي: علامةُ المنافق.

النفاق في اللغة: مأخوذٌ من النافقة وهي قُصَعَةُ اليَربوع.

= استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص».

* وقال الإمام ابن القيم ﷺ: «... وتأمل كيف ضرب سبحانه المثل للمنفق المُرائي ـ الذي لم يصدر إنفاقه عن الإيمان ـ بالصفوان الذي عليه التراب، فإنه لم ينبت شيئاً أصلاً، بل ذهب بذره ضائعاً لعدم إيمانه وإخلاصه، ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصاً نيته لله ثم عرض له ما أبطل ثوابه بالجنة التي هي من أحسن الجنان وأطيبها وأزهاها ثم سلط عليها الإعصار الناري فأحرقها، فإن هذا نبت له شيء وأثمر له عمله ثم احترق، والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق فتبارك من جعل كلامه حياةً للقلوب وشفاءً للصدور وهدى ورحمة..» طريق الهجرتين ص (٨١٢).

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، برقم (٥٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، برقم (٥٧).

اليربوع: حيوانٌ صغير يحفرُ له جُحراً فيجعلُ له باباً يدخل منه، وهو القاصعاء، ويجعل له باباً آخرَ خفياً يسمَّى النافقاء، غير نافذ، ويترك عليه قشرة رقيقة، إذا دهمه أحدٌ ضرب القشرة التي في الباب الخلفي، وهرب، هذا الباب يُسمُّونه النافقاء، والمدخل الرسمي يسمى القاصعاء، فالمنافق كذلك يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.

ومنه نفاقُ السلع في الأسواق، نفاقها يعني أنها تُشتَرى، تَخرجُ من يد صاحبها المُنفِّقِ سلعته، والمنفِّق يعني الذي يروج سلعته باليمين الفاجرة، ينفق يعني يخرجها من يده إلى الزبائن، فالنفاق في اللغة: الخروج والإخراجُ.

أما في الشرع فالنفاق: هو إبطان الشرِّ وإظهارُ الخير، كأن المنافق أخفى شيئاً وأظهرَ شيئاً خدعةً مثل خدعةِ اليربوع، يجعلُ باباً خفياً يخرج منه، فالنفاقُ هو إبطان الشرِّ في القلب وإظهارُ الخير.

والنفاق على قسمين:

١ ـ **نفاقٌ اعتقادي:** وهو كفرٌ أكبر، وهذا نفاقُ المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، الذين هم في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار، هذا نفاق اعتقادي، لأنهم لم يسلموا ولم يؤمنوا إلا ظاهراً فقط، وأما في قلوبهم فهم كفارٌ، وهم شرٌّ من الكفار الأصليين؛ لأن الكفار الأصليين عُرفوا وأُخِذ الحذرُ منهم، وأما هؤلاء فخَدَعوا الناس، يظنونَهم مسلمين وهم ليسوا بمسلمين، فهم شرٌّ من الكفار، ولذلك قال الله في المنافقين: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] يكونون تحت الكفرة يوم القيامة تحت عبدةِ الأوثان؛ لأنهم مخادِعون، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة].

٢ ـ **النوع الثاني**: هو النفاق العَمَلي، وهذا يكون عندَ المؤمن، المؤمنُ يؤمن بالله ظاهراً وباطناً، ولكن قد يتصفُ بصفة من صفات المنافقين، فيكون هذا نفاقاً فيه، ولكنه ليس اعتقادياً وإنما هو نفاق عمليٌّ، لا يخرجه من المِلة، ولكنه يُنقصُ دينه، وينقص إيمانَه، هذا يقال له النفاق العملي، ومنه هذه الحديث **(آية المنافق ثلاث)** أي: العلامة التي يعرف بها نفاقُ المنافق ثلاثة:

الأولى: (إذا حدَّثَ كذبَ)؛ لأن الله أمرَ المؤمنين بالصدق في الحديث، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة]، والكذبُ من صفات المنافقين، فالذي يكذبُ على الناس فيه نفاقٌ، إما اعتقاديٌّ وإما عمليٌّ، فالكذب حرامٌ، وقد توعد الله الكاذبين بالنار، قال تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

الثانية: (إذا وَعَدَ أخلَفَ) إذا وعد لا يفي، هذه صفة المنافق، أما المؤمن إذا وَعَدَ فإنه يفي بوعده، ولا يُخلِفُ وعده، وهو يقدر على الوفاء به، وإنما إخلافُ الوعود من صفات المنافقين، فيجب على المسلم أن يحذَرَ من هذه الخصلة الذميمة، وهي: إخلافُ الوعود ولا يتساهل بها؛ لأنه إذا أخلف الوعود صارَ من المنافقين، وقد اختلف العلماءُ هل الوفاء بالوعد واجب؟ هذا قولُ طائفة من أهل العلم لهذا الحديث، والجمهورُ على أنه ليس بواجبٍ ولكنه متأكدٌ استحبابُه، فهو مستحب مؤكد وليس بواجب.

الثالثة: (إذا اؤتُمِنَ خان) يخون في الأمانةَ، إذا أودعْتَ عنده شيئاً خان فيه وجَحَدَه، إذا أمَّنته على سرٍّ أفشاه، إذا ولَّيتَه على عمل لم يقم به، فيخون الأمانات، ولقد أمر الله جل وعلا بإداء الأمانات فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٨﴾ [المؤمنون] هذا من صفات المؤمنين.

الرابعة: (**وإذا عاهدَ غَدَرَ**) العهدُ: هو الميثاقُ الذي يكون بينَك وبين ولي الأمر، أو بينَكَ وبين الناس، يجب الوفاءُ بالعهود، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، وقال ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، فيجب على المسلم أن يفي بالعهدِ إذا عاهد، ولا يغدِرَ في عهده حتى ولو مع الكافر، لا يجوز الغدرُ بالعهود مع الكفار فكيف مع المسلمين، فيجب الوفاءُ بالعهد فيما بينه وبين الله، فيما بينَه وبين ولاة الأمور، فيما بينه وبينَ الناس، يكون وافياً بعهده.

الخامسة: (**إذا خاصَمَ فَجَرَ**) من علامات المنافق أنه يكذبُ في الخصومات عند الحكام، فيحلفُ كاذباً إذا توجهتْ إليه اليمين، ويدلي بشهاداتٍ كاذبةٍ شهادات زورٍ، لأجل أن يكسب القضيةَ ويأخذَ أموال الناس، فمن صفات المنافقين أنهم يخاصمون عند القضاة بالخُصومات الفاجرة، ويدلون بالشهادات الباطلة، ويحلفون على الكذبِ ويستعملون الرُّشوةَ، كل هذا من الفجور في الخصومات، والواجب على المسلم إذا خاصم أن يصدُقَ، ولا يدلي بحجةٍ باطلة، أو يحلف بيمينٍ كاذبةٍ، فيكون صادقاً في خصومته، لئلا يأكل أموال الناس بالباطل[١].

فهذه صفاتٌ قبيحة يجب على المسلم أن يتجنَّبها، وإذا لم يتجنبها وكثُرتْ فيه ربما تجرُّه إلى النفاق الأكبر الاعتقادي.

---

(١) أخرج أبو داود في سننه، في كتاب القضاء، باب في الشهادات، برقم (٣٥٩٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٧٠)، والبيهقي في السنن (٨/ ٣٣٢) من حديث عبد الله بن عمر ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع...**». انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ﵀ (٧/ ٣٤٩).

النهي عن سباب المسلم وقتاله

٨ ـ وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «سِبابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ، وقِتالُهُ كفْرٌ»(١). متفق عليه.

الشَّرح

هذا من الخصال الذميمة ومساوئ الأخلاق:

الخصلة الأولى: (**سِبابُ المسلم**) يعني شتمُ المسلم، كأنك تقول: يا خبيثُ قبَّحك الله، لعنَكَ الله، يا فاسقُ، يا عدوَّ الله، وما أشبه ذلك، هذا سباب، وهذا لا يجوز في حق المسلم؛ لأن المسلم له حق وله حرمةٌ، فلا يجوز أن تسبَّه، وقوله: (**فسوقٌ**) الفسوق: يعني الخُروج عن الطاعة، أي: خروج عن طاعة الله ﷻ.

الخصلة الثانية: (**وقتالُه كفرٌ**) سفكُ دمه كفرٌ، أو ضربُه بغير حق؛ لأن هذا يشملُ الاعتداء على النفس، ويشملُ الاعتداءَ على البدن، وعلى الطَّرفِ من المسلم، فلا يجوز لأحد أن يعتدي عليه في نفسه، قال ﷺ: «**كلُّ المسلمِ على المسلم حرامٌ دَمُهُ ومالُهُ وعرضُه**»(٢).

(**وقتاله كفر**) هكذا منكَّرٌ، فيكون من الكفر الأصغر لا يُخرج من

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، برقم (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» برقم (٦٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم... برقم (٢٥٦٤).

الملة؛ لأنه نكرَةٌ وقال: **(كفر)** ولم يقل: الكفر، المعرَّف بالألف واللام، وقيل: معناه كفرُ النعمة، وإذا استحلَّ دَمَه صار من الكفر الأكبر، يخرج من الملة.

فهذا الحديث فيه حرمةُ المسلم في عرضه، وفي دَمِه، وأن الاعتداء عليه في عرضه بالسب والشتم وغير ذلك فسوقٌ، أي: خروج عن طاعة الله، وقتالُه كفر، فهو محرمٌ في كلتا الحالتين.

يقول الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، فنهى سبحانه عن هذه الأمور.

وقال سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ يلمزُ الناس ويهمزهم تنقصاً، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ تنقُّصاً لهم وازدراءً، ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾ [المطففين].

الظن أكذب الحديث

٩ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ»[١]. متفق عليه.

الشَّرْحُ

(**الظنُّ**): هو الترددُ بين شيئين أحدهما أرجحُ من الآخر، بخلاف الشكِّ، الشكُّ: هو الترددُ بين شيئين لا مرجِّحَ لأحدهما على الآخر.

وفي هذا الحديث أن المسلم يجبُ عليه أن يحسن الظنَّ بأخيه المسلم، ولا يسيءَ الظنَّ بأخيه المسلم؛ لأن الأصل في المسلم العدالةُ والخير، فلا يتهم أخاه المسلم من غير قرينةٍ أو دليل على ما اتهمه به، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

ولهذا قال ﷺ: (**فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث**) يعني حديث النفس، إذا حدثتكَ نفسُك بسوء الظن بأخيك فكذّبها ولا تصدقها، واحمل أخاك على الخير، وعلى الزكاةِ، وعلى البرِّ، ولا تتهمهُ بما لا يثبت.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابر، برقم (٦٠٦٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، برقم (٢٥٦٣).

جزاء من مات وهو غاشٌّ لرعيته

١٠ ـ وعن مَعْقِلِ بن يسارٍ ﷺ قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مِنْ عبدٍ يَسترْعِيهِ اللهُ رعيَّةً، يَمُوتُ يومَ يَمُوتُ وهو غاشٌّ لرعيَّته إلّا حَرَّم اللهُ عليه الجنَّة»[1]. متفق عليه.

الشَّرْح

هذا الحديث رواه معقلُ بن يسارٍ لعبد الله بن زيادٍ والي العراق من قِبَل معاويةَ وابنِهِ يزيدَ، فإن عبد الله بن زياد كان عنده ظلم وقسوةٌ، فهذا الصحابي الجليلُ ذكَّره بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ، فهذا فيه النصيحةُ لولاة الأمور وتذكيرُهم بالرفق وتركِ الظلم، وإذا ظهر عليهم ملاحظةٌ فإنهم ينبَّهون عليها، فهذا من النصيحة لهم، ولكن توصلُ إليهم هذه النصيحة مشافهةً أو كتابةً، ولا تكون في المجالس[2]، أو في غيبتهم، بل تُوصل إليهم مباشرةً بأي طريقة.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، برقم (٧١٥٠) و(٧١٥١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، برقم (١٤٢).

(٢) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى قول النبي ﷺ: **«من أراد أن ينصح لذي سلطان في أمر فلا يبده علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه»**. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، باب كيف نصيحة الرعية للولاة، برقم (١١٣٢)، وحسنه العلامة الألباني في ظلال الجنة.

فهذا معقل بن يسار صحابي، صاحب رسول الله ﷺ، ناصَحَ هذا الوالي، وذكر له ما يُروى عن رسول الله ﷺ، فهذا من نشرِ العلم وتبليغِ العلم لاسيما عند الحاجة.

(ما من عبد) ما: هذه نافية، بمعنى ليس، أي: ليس هناك عبدٌ، والعبد: كلُّ الخلقِ عباد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم]، حتى وإن بلغ الإنسان ما بلغ من المرتبة والرفعة فإنه عبدُ الله ﷻ، الملائكةُ والرسلُ، وجميع الخلق عبادٌ لله ﷻ.

(يسترعيه الله رعيةً) رعية: المراد بهم الناس أو المسلمون، عامةُ الناس يقال لهم رعية، يسترعيه اللهُ رعية من الناس: يولِّيه شؤونهم، الناس بحاجة إلى الرُّعاة بلا شك، ولا يصلح الناس بدون ولاية، هذا شيء ضروري، وهذا يشمل الرعيةَ الكبيرة والرعيةَ الصغيرة، فكل مسؤول عن شؤون الناس، فإنه راعٍ، سواءً كان السلطان، وهو الراعي العام، أو كان نائبَ السلطان وهو الأمير، أو كان موظفاً، يتولّى أمورَ الناس ومعاملاتهم، هذا مسترعًى، أو كان صاحب أسرة، فإنه راع.

قال ﷺ: **«كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته، الإمامُ راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده، ومسؤول عن رعيته،... وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»**[(١)].

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... برقم (١٨٢٩)، وأحمد في مسنده (٢/١٢١).

(يموتُ يومَ يموت وهو غاشٌ لرعيته)، الغش معناه: الخيانة وعدمُ النصيحة، وهذا الغش حرام، قال ﷺ: «... **من غشَّنا فليس منا**»[1]، فمن مات وهو غاش للرعية التي ولاه الله عليها فإنه يحرِّم عليه دخول الجنة، التحريم معناه المنع، أي: ويمنعه من دخول الجنة، وهذا وعيدٌ شديد، يدل على أن الغش كبيرةٌ من كبائر الذنوب، ويدل على أن من تابَ قبل أن يموت تاب الله عليه، أما إذا مات وهو غاشٌّ ولم يتب فإن الله يحرِّم عليه دخول الجنة.

فيجبُ على من تولى أمر المسلمين أيّاً كان هذا الأمر ـ كبيراً أو صغيراً ـ أن يقومَ به على الوجه المطلوب، وأن لا يَبْخَسَ منه شيئاً، وأن يؤديه على الوجه المطلوب، فإن نَقَصَ منه شيئاً أو قصَّر في شيء من أمور رعيته فهذا غشٌّ، يجب أن يتوب إلى الله قبلَ أن يموت، فإن ماتَ وهو لم يتب لاقى هذا الوعيدَ الشديدَ، وليس معنى هذا أنه يكفُرُ، ولكن معنى هذا الوعيدُ الشديدُ على من يغش الرعية، توعَّده الله بهذا الوعيد، وهو تحت المشيئة إن شاءَ الله غفرَ الله له، وإن شاء عذَّبه، ولكن مظالم العباد لا بد من القصاص فيها، بأن يرد المظالمَ ما دام على قيد الحياة، فإن لم يردَّها حتى ولو تاب تبقى المظالم عليه، فلا بد مع التوبة من أن يردَّ مظالم العباد، أو أن يستبيحهم منها، فالأمر شديد جداً، فهذا تعظيمُ المسؤوليات، تعظيمُ الإمارة، وتعظيمُ السلطة، وتعظيم تولي شؤون الناسَ، لا يتساهل الإنسان فيها، ينظرُ إلى ما فيها من الرغبةِ له والرئاسةِ والترفعِ، ولا ينظرُ إلى المسؤولية والحساب يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»، برقم (١٠١).

يقول عمر رضي الله عنه: **«لو عثَرَتْ دابةٌ في المشرِقِ لرأيتُ أنِّي مسؤولٌ عنها، حيث لم أسهِّلْ لها الطريق»**(١).

لو عثرت دابة في المشرق صار عمرُ مسؤولاً عنها حيث لم يسهل لها الطريق، **فالمسؤوليةُ عظيمة، ولا ننظرْ إلى السلاطين، وننسى أنفسنا،** كلٌّ واحد راعٍ، ومسؤول عن رعيته، أنت لا تُسأل عن رعية فلان، وإنما تُسأل عن رعيتك أنت يومَ القيامة.

---

(١) وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٣): (وعن داود بن علي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله ﷻ سائلي عنها يوم القيامة»).
وانظر كتاب: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعلامة المحدث يوسف بن الحسن بن عبد الهادي المعروف بـ (ابن المبرد) (٢/ ٧٣٤)، طبعة الجامعة الإسلامية الباب السابع والخمسون: في «ذكر خوفه رضي الله عنه من الله ﷻ».

الجزاء من جنس العمل

١١ ـ وعن عائشةَ ﵂ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**اللهم من وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئاً فَشَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه**»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرْحُ

وهذا أيضاً كالحديث الذي قبلَه، فالذي قبله فيه تحريمُ غشِّ الرعية، أياً كانت هذه الرعيةُ كبيرةً أو صغيرةً، وهذا الحديثُ فيه تحريم أن يشق الإنسان على مَنْ ولَّاه الله عليهم، وعليه أن يرفق بهم، دعا النبي ﷺ ربَّه فقال: «**اللهمَّ من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفَقَ بهم، فارفُقْ به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشَقَّ عليهم فاشقُقْ عليه**».

والمشقة: هي أن يحمِّلَهم ما يشقُّ عليهم، والمشقة ضد الرفق، فيجب على كل من تولى أمراً من أمور المسلمين أن يرفقَ بهم، ويسهلَ لهم أمورهم، ولا يتعبهم في قضاء حوائجهم أو يحتجب عنهم، بل يباشر المسؤولية ولا يتكل على غيره، لأنه المسؤول فيباشر المسؤولية ويقضي حوائج الناس وينجز معاملاتهم.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية...، برقم: (١٨٢٨).

١٢ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا قَاتَلَ أحدُكُم، فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهِ»(١). متفق عليه.

الشَّرْحُ

(إذا قاتلَ أحدكم) المقاتَلَةُ معناها: المضارَبةُ، مفاعَلَةٌ من الضرب، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [القصص: ١٥] يعني يتضاربان ويتشاجران، ومنه قوله ﷺ في الذي يمرُّ بين يدي المصلي: «**فإن أبى فليقاتله**»(٢)، يعني يضربه.

فالمراد بالمقاتَلَة هنا المضاربة، فإذا ضَرَبَ أحداً بحق، كأنْ ضربه بحدٍّ أو تعزيرٍ، أو ضربه لدفعِ أذاه فليتق الوجه، لأن الوجه مجمعُ الحواس الدقيقة، وهو الذي تحصلُ به المواجهَةُ، فربما أن الضرب يعطل شيئاً من الحواس، أو أن الضرب يؤثر في الوجه أثراً سيئاً، فيكون مظهرُ الإنسان فيه تشويه، جعل الله هذا الوجهَ محل المواجهة ومجمع الحواس، من البصرِ والشمِّ والذوق وغير ذلك من الحواس، فيتجنب الوجه حتى ولو كان الضربُ بحقٍّ كالتعزير وإقامة الحد، أو كان الضربُ لدفع أذى الإنسان عنه، فله أن يضربَ من ضَرَبه لأجل أن يدفعه عنه، ولكن يتقي هذا الوجه.

ومثلُ الوجه المحلاتُ الحساسة من الجسم، كالأعضاء التناسلية، وغير ذلك من الأشياء الحساسة لا يضربُها بل يتجنبها. وكذلك ضربُ

---

(١) رواه البخاري في كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليتجنب الوجه، برقم (٢٥٥٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، برقم (٢٦١٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب يرد المصلي من مر بين يديه، برقم (٥٠٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب منع المار بين يدي المصلي، برقم (٥٠٥).

التأديب، إذا ضَرَب ولده أو زوجتَه الناشزَ، فإنه يتجنبُ الوجه في جميع أنواع الضرب، ولو كان هذا الضربُ مأذوناً به شرعاً، فإنه لا يجعلُه في الوجه، حتى الدواب لا تضربها في الوجه، ونُهي **عن كيِّ الدواب وسمِها في الوجه**[١].

❀ ❀ ❀

(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٤٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٣١٢) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ نهى عن الوسم في الوجه...).
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/ ٦١٤) الحديث رقم (٣٠٥).

وصية جامعة: لا تغضب

١٣ ـ وعنه ﷺ أن رجلاً قال: يا رسولَ الله، أوْصِنِي، قال: «لا تَغْضَبْ»، فردَّد مِراراً، قال: «لا تَغْضَبْ»(١). أخرجه البخاري.

الشرح

هذا الحديثُ فيه أن رجلاً طلبَ من النبي ﷺ أن يوصِيَه، أن يقول له كلمةً مختصرةً يوصيه بها، فقال: «لا تغضب»، فكأن الرجل تقالَّ هذه الكلمة أو هذه الوصيةَ، فأعاد على الرسول ﷺ، فأعاد الرسولُ عليه قوله: «لا تغضبْ» ثلاثَ مرات، نهاهُ عن الغضب.

أوتي الرسول ﷺ جوامعَ الكلم، هذه كلمةٌ جامعة؛ لأن الإنسان إذا غضبَ فيحمله الغضبُ على أشياء كثيرةٍ، قد يحمله على القتل، قد يحمله على الضرب، قد يحمله على طلاق زوجته، قد يحمله على السبِّ والشتمِ والكلام البذيء، فالغضب يجمع شُروراً، فإذا ملك الإنسان نفسَه عند الغضب سَلِمَ من شرورٍ كثيرة، فهذه وصيةٌ جامعة.

والغضب قد يكونُ محموداً إذا كان الغضبُ لأجل الله ﷻ، الذي يغضبُ لأجل الله، ولمحارم الله ﷻ، يغضبُ لغضبِ الله ويرضى لرضا الله، هذا غضبٌ محمودٌ. وقد يكون مذموماً، إذا كان الغضبُ للدنيا أو للنفس ونحو ذلك، فالغضبُ غريزةٌ جعلها الله في الإنسان، **فكيف يقول الرسول ﷺ: «لا تغضب» مع أنه غريزةٌ فيه؟**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم (٦١١٦).

الجواب عن هذا من وجهين:

الوجه الأول: (لا تغضبْ) يعني تجنَّب أسبابَ الغضب، تجنبِ الجِدالَ، والمخاصَمَة لئلا يُفضي ذلك إلى أنك تغضب.

والجواب الثاني: (لا تغضب) يعني: إذا غضبتَ فلا تنفذ غضبك، بل امنعْ نفسك، لا تنفذ ما يطلبه منك الغضبُ من الانتقام، فعليك أن تمنع نفسكَ من الانتقام، وهذا معنى قوله: «**ولكن الشديدَ الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1].

والله جل وعلا يقول: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، من صفات المؤمنين المحسنين أنهم إذا غضبوا يغفرون[2].

---

(١) سبق تخريجه ص(١٤٢).

(٢) قال أبو حاتم ﷺ: «الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد ما تهواه نفسه، أن يذكر كثرة عصيانه، وتواتر حلم الله عنه، ثم يسكن غضبه ولا يزري بعقله بالخروج إلى ما لا يليق بالعقلاء في أحوالهم، مع تأمل وفور الثواب في العُقبى، بالاحتمال ونفي الغضب». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٢٣٦) طبعة دار الباز.

المال مسؤولية جعله الله لمصالح العباد

١٤ ـ وعن خَولةَ الأنصاريَّةِ ﵂ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ رجالاً يتخوَّضُونَ في مالِ الله بغيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النارُ يومَ القِيامةِ»[1]. أخرجه البخاري.

الشرح

المالُ جعلهُ الله ﷻ لمصالح العبادِ، فهو نعمةٌ من الله، سمَّاه الله خيراً في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: مالاً، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات].

المال خيرٌ ونعمة من الله ﷻ، جعلهُ الله لكم قياماً تقومُ به مصالحكم، وهو مالُ الله ﷻ أعطاكم الله إياه لمصالحكم، وليبتليكم به.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] فهو أعطاك المال لتنتفعَ به، وتنفع غيرَك، نعمةً من الله، وأيضاً هو ابتلاءٌ ليظهر تصرفك في هذا المال، هل هو تصرفٌ حسن أو تصرف سيئ، وهو مالُ الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

---

(١) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾، برقم (٣١١٨).

(يتخوَّضون في مال الله) يتخوَّضون: من الخوض، كالذي يخوضُ في الماء، يعني يتصرَّفون فيه تصرفاً سيئاً، المال مسؤولية، لا تقول: هذا مالي، وتسيء التصرفَ فيه، قال ﷺ: «**لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربع**»، ومنها: «**عن مالِهِ من أينَ اكتسَبَه وفيمَ أنفقَهُ**»[1]، المال مسؤولية، فتصرف فيه بحسب ما شَرَعَ الله لك، من الإنفاق على نفسِك، والإنفاقِ على منْ تلزمُكَ نفقتهم، وإخراجِ الزكاة الواجبة فيه، والتصدقِ منه على المحتاجين، والوصية منه بعدَ موتك في أعمال البر أو الوقف الذي توقُفه، فيكون صدقةً جاريةً، هذه تصرفات حسنةٌ تؤجرُ عليها.

أما إذا تصرفتَ به في المعاصي والشهواتِ المحرَّمة، فهذا تخوُّضٌ في مال الله بغير حق، أو أسرفتَ في الإنفاقِ والتبذير هذا من التخوض، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء]، وقال جل وعلا: ﴿... وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء].

فالبذخ والإسرافُ تخوُّضٌ في مال الله بغير حق، وكذلك المعاملات المحرَّمة، تستعملُ المالَ في الربا، وفي الرشوة، وفي الميسر والقمار، هذا كله من التخوُّض في مال الله بغير حق، وهو مسؤولية عظيمة.

والعاقبةُ **(لهمُ النارُ يوم القيامة)** هذه العقوبةُ والعياذ بالله، وبئس ما جرُّوا على أنفسهم، فالمسألة لها محاسبةٌ ومناقشة ومعاقبة يوم القيامة،

---

(١) سبق تخريجه ص(٧٦).

وهؤلاء الرجالُ الذين يتخوَّضون في مال الله، يشملُ الوليَّ على بيت مال المسلمين، ويشمل التاجرَ في ماله الخاصِّ، ويشمل من تولى على مصالح المسلمين وتخوَّض فيها بغير حق، فالأموال مسؤولية، سواء كانت أموالاً عامةً للرعية أو أموالاً خاصة للشخص، والنبي ﷺ نهى عن إضاعة المال[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥] أموالكم يعني أموالهم، لا تعطوا السفهاء أموالهم، وأضافها إلى المخاطبين من باب الحرصِ على حفظها، قال: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ مع أنها أموال القُصَّار؛ لأجل أن يحافظوا عليها كما يحافظون على أموالهم.

فالله جل وعلا أمرَ بحفظِ هذا المال والتصرفِ فيه بالحق، والإنفاق المعتدل، والإنفاق في سبيل الله ﷻ، وفي القربات والطاعات، هذا هو المقصودُ من المال، ما أُعطيتَ المالَ من أجل أن تبذَخَ وتسرفَ وتبذِّر وتعطي نفسَك ما تشتهي، تقول: هذا مالي، هذا ليس مالك، هذا مالُ الله ﷻ، وأنت مبتلًى بهذا المال وممتحَنٌ، وإلا فهو مال الله جلا وعلا.

❀ ❀ ❀

(١) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»**. رواه البخاري برقم (٥٩٧٥)، ومسلم برقم (١٧١٥).

نداءٌ من الله سبحانه لجميع الناس

١٥ ـ وعن أبي ذَرٍّ ﷺ عن النبيِّ ﷺ فيما يرويه عن رَبِّه، قال: «يا عبادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محرَّماً فلا تَظَالَموا...»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرْح

هذا حديث عظيمٌ، وهو حديثٌ طويل اقتصر منه المصنفُ على جملة، حديثُ أبي ذر المشهور الذي يرويه النبيُّ ﷺ عن ربه، كان أبو مسلمٍ الخولاني رحمه الله إذا حدَّث به جَثَا على ركبتيه خوفاً من الله تعالى.

وفيه هذه الجملة: [**أن الله تعالى يقول**]، هذا فيه إثباتُ الكلام لله ﷻ، أن الله تعالى يقول: (**يا عبادي**) هذا نداءٌ من الله تعالى لجميع الناس، (**إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي**) أي: منعتُه، ونزَّهت نفسي منه، نزَّه الله جل وعلا نفسه عن الظلم، وامتنع سبحانه عن الظلم، مع أنه قادر تعالى، الله قادر على كل شيء، ولكنه مَنَعَ نفسه جل وعلا من الظلم؛ لأن الظلم نقصٌ، والله منزَّهٌ عن النقص.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، لا يظلمُ الله جل وعلا أحداً.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧).

والظلم: هو وضعُ الشيء في غير موضعِهِ، وهو ثلاثة أنواع كما أسلفنا[1]:

١ ـ ظلمٌ بين العبد وبين ربه، وهو الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٢ ـ وظلمٌ بين العبد وبين الناس، وهو التعدِّي على الناس، التعدي على أموالهم ودمائهم وأعراضِهم.

٣ ـ وظلمُ العبدِ نفسَه، بالمعاصي والسيئات.

فالظلم محرَّمٌ، وهو كبيرةٌ من كبائر الذنوب.

(**حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّماً**) هذا فيه تحريم الظلم بين الناس (**فلا تظالموا**) هذا تأكيد لقوله: (**وجعلته بينكم محرَّماً**) فالظلم قبيح شرعاً وعقلاً، وقد توُعِّد عليه بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

---

(١) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يُغفر، وظلم لا يُغفر، فأما الظلم الذي لا يُغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يُغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يُترك فظلم العباد فيقتص الله بعضهم من بعض...**»، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٢٢٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٠٩). وحسنه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٩٢٧).

الغيبة كبيرة من كبائر الذنوب

١٦ ـ وعن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ؟»، قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ؟ قال: «إن كان فيه ما تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لم يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرْح

من ظُلْم الناس: الغِيبةُ، وهذا ظلمٌ في الأعراض، وقد قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

وفسَّر النبي ﷺ الغيبةَ فقال: (**الغيبة ذكرُكَ أخاك بما يكره**) هذا سيأتي قريباً إن شاء الله، قالوا: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (**إن كان فيه ما تقولُ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقولُ فقد بهتَّه**).

فالغيبة محرمةٌ، وهي أن تذكر أخاكَ في حال غيبته، بما يكرهُ من عيب في خَلقه، أو عيب في خُلُقه، أو غير ذلك من أنواع التنقُّص، وكثير من الناس لا يتورَّعون عن الغيبة، بل إنما تعمرُ مجالسهم ويتفكهون بأعراضِ الناس، ولا حولَ ولا قوة إلا الله، وهذا شأنها، وهذا خطرها.

وفيه تحريمُ الغيبة وأنها كبيرةٌ من كبائر الذنوب، وهي محرَّمةٌ

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، برقم (٢٥٨٩).

بالكتاب والسنة والإجماع، لأنها من ظلم الناس في أعراضِهم.

وقد استثنوا من الغيبة أشياء تجوز إذا كانت لمصلحةٍ راجحة:

أولاً: المتظلِّم الذي ظُلم ويذهب إلى ولي الأمر ويشتكي ويقول: فلان ظَلَمَني، أكلَ مالي، وما أشبه ذلك، قال ﷺ: «**لَيُّ الواجِدِ**» يعني الغنيَّ «**ظلمٌ**». **لَيُّه**: يعني مَطْلَه «**ويُحلُّ عرضَهُ وعقوبتَه**»[(١)]، فيجوز للمتظلم أن يشتكي، ويذكر الظلمَ الذي وقع عليه، وأن فلاناً يماطل، وأنه مخادعٌ، ولا يعطيني حقي، ففي هذه الحالة يجوز دفعاً للضرر، هو غيبة ولكن فيه دفعٌ للضرر، فيجوز لدفع الضرر.

ثانياً: المُستفتي، إذا استفتى عن شخص وذكَر ما فيه من العيب، وكيف يتصرفُ معه، يسأل المفتي كيف يتصرفُ مع هذا الشخص، كما جاءت هندُ بنت عتبةَ رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقالت: إنَّ أبا سفيان ـ تعني زوجها ـ رجلٌ شحيح، لا يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم..»، فهي ذكرت أنه شحيحٌ، هذه غيبةٌ، ولكن ليس قصدها تنقُّصَ الرجل، وإنما قصدها الوصولُ إلى حقها، قال: «**خُذي ما يكفيكِ وولَدَكِ بالمعروفِ**»[(٢)]، هذه فتوى من الرسول ﷺ.

ثالثاً: كذلك تجوز الغيبةُ في حالة الاحتساب، إنكار المنكر، بأن تذهب إلى وليِّ الأمر أو إلى رجال الحسبة، فتقول لهم: فلان لا يصلي،

---

(١) رواه داود في كتاب القضاء، باب في الدين هل يحبس به، برقم (٣٦٢٨)، وابن ماجه في كتاب الأحكام، باب الحبس في الدين والملازمة، برقم (٢٤٢٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٢٢)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، برقم (١٤٣٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف، برقم (٥٣٦٤)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب قضية هند، برقم (١٧١٤).

فلان يتعرضُ للنساء، فلان يغازلُ في الأسواق. هذه غيبةٌ، ولكن المقصودَ منها إنكارُ المنكر، فهذا لا بأس به؛ لأن المصلحة راجحةٌ في هذا على المفسدة، لأجل أن يأخذوا على يده.

رابعاً: وكذلك إذا كان هذا من أجل تحذير الناس من شرِّ شخص، تذكر لهم صفاتِه الذميمةَ من أجل أن يحذروه ولا ينخدعوا به، وذلك مِثْلُ المبتدعِ إن كان عندهُ بدعةٌ، تحذِّر الناسَ منه لئلا ينشرَ بدعتَه على الناس.

خامساً: ومن هذا أيضاً الجرحُ والتعديلُ لحفظِ سنة الرسول ﷺ من أن يدخلَ فيها شيء من الكذب أو من التساهل، فيجوز أن يقال: في الراوي كذا، فيه ضعفٌ، وفيه غفلةٌ، وفيه كذا وكذا، سيئ الحفظ، أو يقول: كذاب، أو وضَّاع، أو صاحب مناكير، ليس هذا هو من أجل تنقُّص الشخص، وإنما هو من أجل صيانة أحاديث الرسول ﷺ أن يكون فيها راوٍ لا تقبل روايته، هذه المصالحُ فيها راجحةٌ، فيجوز أن تذكر معائبَ الشخص وهو غائب؛ لأجل المصلحة الراجحة، والتوصل إلى الحق، وأما ما عدا ذلك فالغيبةُ محرمةٌ، إذا لم يترتب عليها مصلحةٌ، أو كانت مضرتُها أكثر فإنها محرمةٌ وكبيرةٌ من كبائر الذنوب.

وقوله ﷺ: **(إن كان فيه ما تقولُ فقد اغتبتَه)** إذا كان فيه العيبُ والنقصُ الذي ذكرتَه في غيبتِه، هذه غيبةٌ كبيرة من كبائر الذنوب **(وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه)** يعني كذبتَ عليه، قد جمعتَ بين جريمتين: **جريمة الغيبةِ، وجريمة الكذب**(١).

---

(١) **فائدة: قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين** رحمه الله: «... المهمُّ يا إخواني، فنصيحتي لنفسي ولكم أن تتجنبوا الغيبة وأن تتجنبوا الخوض في مساوئ ولاة الأمور من العلماء والأمراء والسلاطين وغيرهم.
وإذا كنتم تريدون الخير والإصلاح، فالباب مفتوح والطرق موجودة، اتصلوا مباشرة بأنفسكم، ثم إذا أديتم الواجب سقط عنكم ما وراء ذلك، ثم اعلم يا أخي هل غيبتك هذه ـ للعلماء أو للأمراء ـ تُصلح من الأمور شيئاً؟ أبداً بل هي =

التحذير من مساوئ الأخلاق

١٧ ـ وعنه رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى ها هنا»، وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مرات «بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[١]. أخرجه مسلم.

الشَّرْحُ

هذا حديثٌ عظيم فيه عدةُ أمور نهى عنها الرسولُ ﷺ؛ لأنها من مساوئ الأخلاق: قال ﷺ: «**لا تحاسدوا**»، والحسدُ سَبَق بيانه أنه تمنِّي زوال النعمة عن المحسود، وقد تقدم أنه يأكلُ الحسنات كما تأكلُ النار الحطب، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، فعلى المسلم أن يتجنَّب الحسدَ.

(**ولا تباغضوا**) التباغضُ معروف، الواجبُ على المسلمين أن يتحابوا فيما بينَهم وأن لا يتباغضوا؛ لأنهم إخوةٌ، والبغضاء تُحدِث بينهم الشرَّ والقطيعةَ، فعليك أن لا تُبغضَ أخاك المسلمَ، البغضُ إنما يكون

= إفساد في الواقع ولا تزيد الأمر إلا شدة ولا ترتفع بها مظلمة، ولا يصلح بها فاسد، نسأل الله أن يحمي ويحفظ ألسنتنا مما يكرهه، وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح...». شرح رياض الصالحين، طبعة دار الوطن (٦/١٠٨).

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم (٢٥٦٤).

لأعداء الله، أما المؤمن فإنه يحبُّ في الله ﷻ، الحبُّ والبغضُ في الله من أوثق عُرَى الإيمان.

(**ولا تناجشوا**) النَّجْشُ هو: أن يزيدَ في السلعة مَن لا يريدُ شراءَها، وإنما يريد أن يرفَع قيمتَها على الزبائن؛ لأجل أن ينفعَ صاحبَ السلعة بزعمه، فلا يجوزُ لمن لا يريد شراءَ السلعة أن يزيدَ فيها؛ لأنه يضرُّ بالزبائن، ولا ينفعُ صاحبَ السلعة، بل يضرُّه أيضاً؛ لأنه أدخلَ عليه مالاً حراماً، فالناجشُ آثمٌ سواءً كان شريكاً في السلعة أو كان أجنبياً، لا يجوز للإنسان أن يزيدَ في السلعة إلا إذا كان يريدُ شراءَها.

أما المزايدةُ لمن يريدون فلا بأسَ، هو طيِّبٌ، قال النبي ﷺ: «**من يزيدُ؟**»[1]، أما المزايدةُ لمن لا يريدُ الشراء هذا حرام وكبيرة من كبائر الذنوب.

(**ولا تَدَابَروا**) التدابرُ: هو أن يُدْبِرَ الإنسانُ عن أخيه، يولِّي عنه، ولا يُقبِلُ عليه، فالواجب على المسلمين أن يتلاقوا ويتصافحوا ويبشّ بعضُهم لبعض، ولا يُعرض بعضُهم عن بعضهم الآخر عند اللقاء، بل يلقى أخاه بوجهٍ طليقٍ، هذا من المعروف كما قال النبي ﷺ: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[2].

(**ولا يبِعْ بعضُكُم على بيعِ بعضٍ**) سبق أن البيعَ على البيع هو أن يأتي إلى إنسانٍ قد اشترى سلعةً بعشرة مثلاً، ثم يقول: (دعها أنا أعطيك مثلها أو أحسنَ منها بتسعةٍ، ليفسخَ البيع مع الأول، ويشتري من الثاني،

---

(١) جزءٌ من حديث رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، برقم (١٦٤١)، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب بيع المزايدة، برقم (٢١٩٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦).

هذا لا يجوز، إذا رأيتَه اشترى من أخيك فلا تكدِّر على أخيك بيعتَه، ولا تعتدي عليه، وأيضاً لا يخطِبُ على خطبة أخيه، كلُّ ما يُدخلُ الضررَ على أخيكَ تجنبهُ.

(**وكونوا عباد الله إخواناً**) هذا أمر منه ﷺ بالأخوة بين المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، أخوة الإيمان أقوى من أخوة النسب، بل قد يكون أخوك في النسب وهو عدوٌّ لك، ولا يجوز محبتُه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

المحبة إنما هي بالإيمان، وأما المحبة لغير الإيمان فإنها محبة غيرُ صحيحة، إذا اجتمع إيمان وقرابةٌ ورحم، لا شك أن هذا آكدُ، قريبك المؤمن له حقوق عليك، ولكن إذا كان قريبك كافراً أو محادّاً لله ورسوله، لا تجوز لك محبتُه.

(**المسلمُ أخو المسلم**)، الأخوَّةُ تكون بالإسلام والإيمان (**لا يظلمُه**) عرفنا الظلم فيما سبق: لا يتعدّى عليه في ماله أو عرضِه أو نفسه، جميع أنواع الظلم.

(**ولا يخذلُه**) يعني عندما يحتاجُ أخوك إلى نُصرةٍ فإنك لا تخذُلُه، بل تنصرُه بالحق وتدافع عنه؛ لأنه أخوكَ، وإذا رأيتَه وقع في مذلةٍ وأن أحداً يريدُ أن يظلمه فعليك أن تُناصرَه، وأن تدفعَ عنه الظلم، أما إذا تركتَه فقد خذلتَه «**انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً**»[1].

(**ولا يحقِرُه**) لا يستصغر شأنَ المسلم، المؤمنُ عند الله عظيم[2]،

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، برقم (٢٤٤٣).

(٢) شأن المؤمن عند الله عظيم!! روى ابن ماجه رحمه الله في سننه عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وما أطيب** =

لا تحقِرْ أخاكَ المسلم، لا تصغِّر شأنه، بل هو عظيمٌ عند الله ﷻ وإن كان فقيراً، وإن كان دميماً في خلقِهِ، قال ﷺ: «**رُبَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسَمَ على الله لأبرَّه**»[1]، فلا تحقِرْه لدمامة جسمه، أو تحقره لفقره، أو تحقره لضعفِ قوَّتِه، فإنه عظيم عند الله ﷻ بالإيمان والإسلام.

ثم قال ﷺ: (**بحسبِ امرئ من الشرِّ**) بحسب معناه: يكفي، أي: يكفي المرءَ من الشر (**أن يحقِرَ أخاه المسلم**) هذا شر عظيم، احتقارُ المسلمين واستصغار شأنهم (**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرام: دمُه**) فلا يعتدي عليه في دمه ويقتلُه بغير حق، احترم أخاك، واحترم حياته، اسعَ في بقائه، في علاجه إذا احتاج إلى علاج وأنت تقدرُ، أنقذْه إذا وقع خطرٍ، ساعدْه على بقاء حياته.

(**ومالُه**) ماله حرامٌ عليك لا تأخذه بسرقةٍ، ولا بخيانةٍ، ولا بغشٍّ، ولا بخديعةٍ، مالُه كمالك.

(**وعِرضُه**) وكذلك العِرضُ، لا تقعْ في عرضِ أخيكَ بغيبةٍ أو نميمةٍ أو سبٍّ أو شتمٍ أو غيرِ ذلك.

ثم قال ﷺ (**التقوى ها هنا**) ويشيرُ إلى صدره ﷺ، يعني التقوى في القلب، ويظهرُ أثرُها على الجوارح، فإذا كان في القلب إيمان وتقوى ظهر أثرُ ذلك على تصرفات الشخص الخارجية، وإذا كان الشخصُ ليس

= **ريحك؟ ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم حرمة منك، ماله ودمه وأن تظن به إلا خيراً..**»، قال الألباني: صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٤٢٠).

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، برقم (٢٦٢٢).

فيه تقوى ظهرَ ذلك على أعمالِ الإنسان وتصرُّفاته بالسوء، كما قال ﷺ: **«ألا وإنّ في الجسد مُضغة إذا صَلَحَتْ صلح سائرُ الجسد، وإذا فسدت فسدَ سائرُ الجسد»**[1]، فليست التقوى بالمظاهر وإنما التقوى في القلوب، ويظهر أثرها على الجوارح، أما الذي يتصنَّع عند الناس، ويتظاهر وقلبه فاسدٌ، فهذا لا ينفعه شيءٌ.

بعض الناس إذا نُهي عن المعصية، عن حَلْقِ اللحية أو شُربِ الدخانِ أو عن تركِ الصلاة مع الجماعةِ يقول: التقوى ها هنا ما هي...، ويستشهد بالحديث على غير معناه، والعياذُ بالله، وهذا من قلبِ الحقائق، ومن تفسير قولِ الرسول ﷺ بغير معناه.

❊ ❊ ❊

(١) سبق تخريجه ص (١٠١).

ما جاء في الاستعاذة من بعض المنكرات

١٨ ـ عن قُطْبَةَ بنِ مالِكٍ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلاقِ والأعمال وَالأَهْوَاءِ وَالأَدْوَاءِ»[١].

أخرجه الترمذي، وصحّحه الحاكم واللفظ له.

الشَّرْح

هذا دعاءٌ من الرسول ﷺ أنه قال: (**اللهمَّ جنِّبني**) يعني باعدني (**منكرات الأَخْلاقِ والأعمالِ والأهواءِ والأدواءِ**) أربعة أشياء: (**منكرات الأَخْلاق**): كالسبِّ والشتمِ والغيبةِ والنميمةِ، وقولِ الزور، كلُّ الكلام المحرم والكلام السيئ فهو من محرَّمات الأعمال.

ومحرمات (**الأعمال**): كالشركِ والمعاصي كلِّها.

(**والأهواء**): المراد بها الشهوات، ما تشتهيه النفوسُ، والنفوسُ في الغالب أنها أمّارة بالسوء، وتهوي الشرَّ إلا ما رحم ربي، وأخطرُ شيء على الإنسان هواهُ، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقد يتخذ الإنسان الهوى إلهاً، قال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] يأمره هواه فيفعل ما يأمره، وينهاه هواه فيترك ما نهاه، فيكون هواهُ هو الذي يأمر وينهى عنده، ليس الله هو الذي يأمرُ وينهى، نسأل الله العافية.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، برقم (٣٥٩١)، والحاكم (١/ ٥٢٣) واللفظ له، وصحّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٤٧٣)، وفي هداية الرواة (٣/ ٢٣).

(ومن منكرات الأدواء) الأمراض، الأدواء: جمع داء وهو المرض، الأدواء: هي الأمراض المستعصية كالبَرَص والجُذام والسرطانِ والأدواء التي لا علاج لها، فالرسولُ ﷺ يسأل الله السلامة منها.

النهي عن المراء والمزاح وإخلاف الوعد

١٩ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ ولا تُمَازِحْهُ ولا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ»(١). أخرجه الترمذي بسند فيه ضعف.

الشَّرْح

هذا الحديث فيه النهيُ عن أشياءَ بين الإخوة المؤمنين، لأن المؤمنين إخوةٌ بموجبِ الإيمان، وإن لم يكونوا إخوةً بموجب النسب فهم إخوةٌ في الإيمان، ولهذا نهى ﷺ في هذا الحديث عن ثلاثةِ أشياء تكدِّر هذه الأخوة وتؤثر عليها.

الشيء الأول: قال: **(لا تمار أخاك)** يعني لا تجادلهُ؛ لأن الجدال يثيرُ النفسَ، فيترك الجدالَ الذي ليس فيه فائدة، لأنه يسبب أثراً سيئاً بين الإخوان، وأيضاً إذا جادلته فكأنك تنقَّصْتَهُ.

الشيء الثاني: **(لا تمازحْهُ)** المراد المزاح الكثير؛ لأنه يدل على الاستخفاف، وأما اليسير الذي ليس فيه تنقُّصٌ لأحد، فلا بأس به، وكان النبي يمزح، ولا يقول إلا حقاً(٢).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المراء، برقم (١٩٩٥). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٦٢٧٤). وفي هداية الرواة برقم (٤٨١٨).

(٢) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشيرُ إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: **«إني لا أقول إلا حقاً..»**. أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، برقم (١٩٩٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٦٥).

والشيء الثالث: (**لا تعده وعداً فتخلفه**) هذا أشدُّ الوفاء بالوعد من صفات المؤمنين، وإخلافُ الوعد من صفات المنافقين، فالمنافقُ كما في الحديث إذا وَعَدَ أخلف، أما المؤمن إذا وعد صَدَقَ في وعده، فإذا وعدت أخاك وعداً فاصدُقْ فيه **أولاً**: لأن الوفاء بالوعد من صفات المؤمنين.

وثانياً: لأن فيه تقويةً للأخوَّة؛ لأنك لو أخلفته صار في نفسه شيء عليك، فإخلاف الوعد مذموم لا سيما إذا كان بين المؤمنين.

ما جاء في ذم البخل وسوء الخلق

٢٠ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ في مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»[١].

أخرجه الترمذي، في سنده ضعف.

الشَّرْح

(**خَصلتان لا تجتمعان في مؤمنٍ**) يعني كاملَ الإيمان، فإذا اجتمعتا فيه فإيمانه ناقصٌ.

الصفة الأولى: (**البخل**) والبخل مذموم؛ لأنه يبغّض الإنسانَ إلى الناس، حتى إلى أقاربه، والكرمُ محمود ويحبّبُ الإنسان حتى إلى أعدائِهِ.

وأيضاً البخل يحملُ على منع أداء الواجبات كالزكاة والنفقةِ الواجبة، ويمنعُ من حقوق كثيرة؛ لأن البخيل لا يحبُّ أن يخرج شيئاً، فهو صفة ذميمة، وقد قال جل وعلا: ﴿... وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد].

فالمؤمن لا يتصف بالبخل، بل يتصف بالكَرَم، وبأداءِ الواجبات المالية التي عليه.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في البخيل، برقم (١٩٦٢). والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٨٢). وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم (١١١٩).

والخصلة الثانية: (سوءُ الخُلُق) فحسنُ الخُلُق: ما يتحلَّى به الإنسان من كرمِ النفسِ، وحسنِ الطِّباع، وعكسُه: سوءُ الخلق، وأثنى النبي ﷺ على محاسنِ الأخلاق[1]، وأثنَى الله جلا وعلا على نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

ولقد ذهب حسن الخلق بخَيْرَي الدنيا والآخرة، وأما سوءُ الخلق فإنه يُبغِّضُ الإنسانَ إلى الناس؛ فيجب على الإنسان أن يتصف بحسن الخلق مع الناس، ولا سيما إذا كان مسؤولاً من المسؤولين، فإنه يحسِّنُ أخلاقَه مع الناس، وكذلك إذا كان يدعو إلى الله من أجلِ أن تُقبَلَ دعوتُه ويُستجاب له.

---

(١) **يشير الشيخ حفظه الله** إلى قول الرسول الكريم ﷺ: «**إن الله يُحبُ معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها**»، رواه الطبراني في معجمه الكبير برقم (٢٨٩٤)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ﷺ، الحديث رقم (١٦٢٧).

ليس المُؤمن بالسَّبَّاب

٢١ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «المُسْتَبّانِ ما قالا، فعَلَى البادئ، ما لَمْ يَعْتَدِ المظلُومُ»(١). أخرجه مسلم.

الشَّرح

(**المُسْتَبَّان**) من السِّباب وهو الشتم وسوء الكلام، هذا منهي عنه، ليس المؤمن بالسَّبَّاب، يُكرمُ المؤمن لسانَه ويصونُه عن أن يكون سبَّاباً يسب الناسَ ويشتِمُهم، ويُسيء إليهم بالقول، فإذا حدث أن أحداً سبَّ أحداً من الناس، فالمسبوبُ له أن يردَّ على السابِّ بمثل ما سبَّه به من باب القصاص والعدل، ويدفعُ البغيَ عن نفسه، له ذلك، وإذا عفا عنه وكفَّ لسانه عنه فهو أحسنُ، ولكن له أن يقتصَّ منه وأن يردَّ عليه بمثل ما قال في حقه، ويكون الإثمُ على البادئ.

(**المستبانِ ما قالا**) من الكلام السيئ (**فعلى البادئ**) يعني عليه الإثمُ؛ لأنه هو الذي سبَّب هذا الشيءَ، فيكون الإثم عليه، إلّا إذا اعتدى المظلومُ المسبوب، سمَّاه مظلوماً، إذا اعتدى: يعني زادَ عن ما قال في حقه السابُّ، فإنه لا يؤذَنُ له بذلك، هذا ظلمٌ ويكون إثمُ الاعتداءِ والزيادةِ عليه، فلا يجوزُ للإنسان أنه يزيدَ في الرد على من سبَّه، بل يردُّ عليه بمثل ما قال، فإن زاد فهو معتدٍ ويكون الإثمُ عليه لا على البادئ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن السباب، برقم (٢٥٨٧).

لا يجوز للمسلم أن يضرَّ أخاه المسلم

٢٢ ـ وعن أبي صرمةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «من ضارَّ مُسلِماً ضارَّهُ اللهُ، ومَن شَاقَّ مسلماً شَقَّ الله عليه»(١). أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب القضاء، باب في القضاء، برقم (٣٦٣٥)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الخيانة والغش، برقم (١٩٤٠)، وابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، برقم (٢٣٨٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٥٣) وحسنه الترمذي.

* **قال الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان** حفظه الله عند تخريجه لهذا الحديث في كتابه «منحة العلام في شرح بلوغ المرام» (١٠/ ٢٦٢):

«هذا الحديث رواه أبو داود في كتاب الأقضية (أبواب القضاء) والترمذي وأحمد من طريق الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن لُؤلؤة عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«من ضارَّ ضارَّ اللهُ به، ومن شاقّ شاقّ الله عليه»**، هذا لفظ الترمذي، وليس في المصادر المذكورة لفظة **(مسلماً)**.

وذكر الشارح أنه جاء في رواية (انظر: عون المعبود ١٠/ ٦٤). قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب)، وفي سنده لؤلؤة وهي مجهولة ذكرها الحافظ الذهبي في المجهولات (ميزان الاعتدال (٤/ ٦١٠)».

وضعّف هذا الحديث ابن القطان لأنه يرى ضعف لؤلؤة لتفرد محمد بن حبان بالرواية عنها، والمستدرك الذي يُقبل خبره هو من روى عنه أكثر من واحد، أما من لم يرو عنه أكثر من واحد فلا يُقبل. (بيان الوهم والإيهام (٣/ ٥٥٠). اهـ.

* وانظر: إرواء الغليل للمحدث الألباني رحمه الله (٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤).

الشَّرْحُ

(من ضارَّ مسلماً) يعني أوقَعَ به الضررَ، فلا يجوزُ للمسلم أن يضُرَّ أخاه المسلم، فإذا ضارّه يعني أوقَعَ عليه الضررَ في نفسه، أو في ماله، فإن الله جل وعلا يضرُّه جزاءً له وعقوبةً له، وينتصرُ لعبده الذي وقع عليه الضرر، وهذا وعيدٌ شديد أنه لا يجوزُ للمسلم أن يضرَّ أخاه المسلم بأي نوعٍ من أنواع الضرر، بل قال ﷺ: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرار**»(١).

الواجبُ على المسلم نحو أخيه المسلم أن يبذُلَ له النفعَ والخيرَ، أما أن يكون على العكس، ويلتمس له الضررَ فهذا يخالف الأخوَّةَ الإسلامية.

(ومن شاقَّ مسلماً شقَّ الله عليه) يعني حمَّلَ مسلماً مشقّةً، فإن الله يشقُّ عليه جزاءً له؛ لأن الجزاءَ من جنس العمل، فهذا فيه الحثُّ على الرفق بإخوانكَ المسلمين، بأن لا تشقَّ عليهم، لا سيما إذا كان لك سلطةٌ، وقد مرَّ حديثُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**اللهمَّ من ولِيَ من أمرِ أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه**»(٢)، إذا كان للإنسان سلطة فلا يشقَّ على من تحت يدِهِ بل يرفق بهم، لأن المشقةَ فيها ضررٌ على أخيك المسلم.

فهذا الحديث فيه أن الجزاءَ من جنس العمل، وفيه تحريمُ الإضرار بالمسلمين، وتحريمُ تحميل المؤمنين المشقةَ، وفيه مشروعيةُ الرفق بالمسلمين.

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر جاره برقم (٢٣٨٤)، وأحمد في مسنده (٥/٣٢٦ ـ ٣٢٧) و(١/٣١٣). وصححه العلاّمة الألباني رحمه الله في: إرواء الغليل (٣/٤٠٨ ـ ٤١٣) بمجموع طرقه.

(٢) سبق تخريجه ص (١٦٣).

إن الله يُبغِض الفاحش البذيء

٢٣ ـ وعن أبي الدرداءِ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيء»[١]. أخرجه الترمذي وصحّحه.

الشَّرْح

(**إنَّ الله يُبغضُ الفاحشَ البذيءَ**) هاتان صفتان مذمومتان، الفُحش والبذاءَةُ.

(**إن الله يبغضُ**) هذا فيه أن الله يوصَفُ بهذا الوصف أن الله يُبغض على الأعمال السيئة، وهذا البغضُ يليق بجلاله، ليس كبُغض المخلوقين، إنما هو من صفاتِ الله ﷻ أنه يُبغضُ، وأنه يغضبُ، وأنه يَمْقُتُ، وأنه يكرَهُ، وأنه يسخَطُ على أهل المعاصي وأهلِ المخالفات، فهذا من جملةِ صفات الله ﷻ أنه يغضب، قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] وصف نفسه بأنه يغضب.

و**الفاحش**: هو الذي يأتي الفُحشَ من القولِ والعملِ.

و**الفُحشُ**: هو المكروهُ البيِّنُ الذي يبين للناس من الأفعالِ القبيحةِ، ومن الأقوالِ القبيحة.

وأما البَذيءُ: فالبذاءةُ تكون بالكلام، البذيءُ بلسانه: الذي يتطاولُ على الناس بلسانه بالسبِّ والشتم والغيبةِ والنميمةِ، هذا كله بذاءةٌ. وكله شرٌّ، والله يبغض أصحابَ هاتين الخَصلتين.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم (٢٠٠٢)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٣)، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٨٧٦).

ليس المؤمن بالطَّعَّان

٢٤ ـ وله من حديثِ ابنِ مسعودٍ ﷺ رَفَعَهُ: «ليسَ المُؤمنُ بالطَّعَّانِ، ولا اللَّعَّانِ، ولا الفَاحشِ، ولا البذيءِ»[١]. رواه الترمذي وحسَّنه، وصحّحه الحاكم، ورجَّح الدارقطني وقفه.

الشَّرْح

(ليس المؤمن) يعني كاملَ الإيمان، لا يتصفُ المؤمنُ بهذه الصفات، فإن اتصف بشيءٍ منها فإنه يكون ناقصَ الإيمان.

(الطعَّان) الذي يطعُنُ في الناس، يطعُنُ في أنسابهم، ويطعنُ في أخلاقهم، ويطعنُ في أمورهم، لا يجوز للمسلم أن يطعَنَ في إخوانه المسلمين، وإذا عَثَرَ على شيء فإنه يستُرُهُ، ويناصحُ مَن فَعَلَهُ دون أن يطعنَ فيه ظاهراً أمام الناس، بل يستُر على أخيه، ويناصحه.

(ولا اللَّعَّان) يعني: كثير اللَّعْنِ، الذي يستعملُ اللعنَ، ويعوِّد لسانَه اللعنَ، ويلعنُ كلَّ شيء، قد يلعن نفسَه، ويلعن زوجتَه، ويلعن أولادَه، ويلعن دابتَه، هذا ناقصُ الإيمان ليس بمؤمن، يعني لم يحجزْه إيمانه عن اللعن.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في اللعنة، برقم (١٩٧٧)، والحاكم (١/ ١٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٠٥ و٤١٦)، وحسنه العلامة الألباني ﷺ في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٣٢٠)، وانظر: هداية الرواة للحافظ ابن حجر بتخريج العلامة الألباني (٤/ ٣٨٤).

واللعن: هو الطردُ والإبعاد عن رحمة الله، فإذا دعا على أحد باللعنةِ، فقد قال ﷺ: «... **لَعْنُ المؤمنِ كقَتلِهِ**...»[١].

(**والفاحش والبذيء**) هذا سلف شرحه قريباً.

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه...، برقم (١١٠).

النهي عن سب الأموات

٢٥ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تسبُّوا الأموات، فإنَّهم قد أفْضَوْا إلى ما قَدَّمُوا»[١]. أخرجه البخاري.

الشرح

هذا فيه النهيُ عن سبِّ الأموات والوقيعةِ فيهم، وقد علَّل ذلك ﷺ بقوله: (**فإنَّهم قد أفضَوْا إلى ما قد عملوا**) انتهوا من هذه الدنيا، وواجهوا جزاءَهم عند الله، فلا فائدةَ من سبِّهم، وظاهرُ الحديث ولو كانوا كفاراً، الميتُ لا يُسَبُّ ولو كان كافراً؛ لأنه لا فائدةَ من سبه.

وأيضاً جاء تعليلُ ذلك بأنه يؤذي الأحياءَ، قد يكون هذا الميت له أولادٌ، له ذريةٌ، فإذا سببتَه أسأتَ إلى ذريته، فيتجنب المسلمُ الوقيعةَ في الأموات.

قالوا: إلا في مسألة التحذيرِ من داعيةٍ إلى الضلال، أو راوٍ غير مقبول الرواية في الحديث، فيبيَّن ما فيه من أجل معرفةِ حاله، وأن لا يغتر به أو بما روى من الحديث، فهذا لمصلحةٍ راجحةٍ، أما إذا كان سبُّ الميت ليس فيه مصلحة فإنه يتجنَّب، وقد انتهوا إلى أعمالهم وليس لنا فائدةٌ في الكلام فيهم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن سب الأموات، برقم (١٣٩٣).

لا يدخل الجنة قتّات

٢٦ ـ وعن حذيفةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»(١). متفق عليه.

الشَّرْح

(لا يدخل الجنة قتاتٌ) هذا وعيدٌ شديد، والقتاتُ: هو النمَّام، وقد جاء في رواية: **«لا يدخل الجنة نمَّامٌ»**(٢)، وهذا وعيد شديد، والقتات والنمَّام بمعنى واحد.

والنمَّام: هو الذي ينقُلُ الحديث بين الناس على وجه الإفساد والوشاية؛ لأجل أن يفككَ المجتمع، ويوقعَ العداوة بين المسلمين، هذا نمام، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝﴾ [القلم].

والنميمةُ من كبائر الذنوب، ويُعذَّب عليها في القبر، يُعذَّب النمامُ في قبره بالنميمةِ كما في الحديث، أن النبي ﷺ مرَّ على قبرين فقال: **«أما أنهما ليعذَّبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»**(٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، برقم (٦٠٥٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، برقم (١٠٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب الوضوء، بابٌ من الكبائر أن لا يستتر من بوله، برقم (٢١٦) و(٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم (٢٩٢). واللفظ له.

فدل على أن النمام يُعذَّبُ في قبره، وهذا وعيدٌ شديد، وأخبر الرسول ﷺ في هذا الحديث أنه لا يدخلُ الجنة، وهذا من باب الوعيدِ، وليس معناه أنه كافر، لكن هذا من باب الوعيد والزَّجر، وقد يتأخر دخولُه الجنة ويعذَّب في النار بكبيرته، فيتجنبُ المسلم النميمةَ، وقالوا: **إن النمام يفسدُ في ساعة ما يفسدُه الساحر في سنةٍ**، وقد عد النبي ﷺ النميمةَ أنها نوع من السحر؛ لأنها تفسدُ بين الناس أشدَّ مما يفسد السحر، قال ﷺ: «**ألا أنبِئُكُمْ ما العضْهُ؟ هي النميمةُ، القالةُ بين الناس**»(١).

العضْهُ معناه: السحرُ، النميمة نوع من السحر من ناحية أنها تُفسد مثلَ ما يفسد السحر في المجتمع، السحرُ يوجِدُ العداوةَ **بين الناس**، كما قال سبحانه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يوقعون العداوة بين الزوج وزوجه حتى يتفارقا، ويهدمُ الزوجيةَ، وهذا من أثر السحر، وكذلك النميمةُ قد يأتي نمام ويفسدُ بين الزوج وزوجته، ويفسد بين الأبِ وابنه، ويفسد بينَ القريب وقريبه، ويفسد بين المسلمين، بل قد تقوم الحربُ بسبب النميمة، فخطرُ النميمة شديد، ولهذا توعَّد الله عليها أن صاحبَها لا يدخل الجنة.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، برقم (٢٦٠٦).

فضل كف الغضب

٢٧ ـ وعن أنس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَه، كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ» أخرجه الطبراني في (الأوسط)(١). **وله شاهد من حديث ابن عمرَ عند ابن أبي الدنيا(٢).**

الشَّرح

مر بنا أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني وأوجز، فقال له النبي ﷺ: **«لا تَغْضَبْ»** فكرر عليه، فقال: **«لا تغضب»**.

فالغضبُ سجيةٌ في الإنسان، يغضبُ الإنسان، ولكن إذا غضب فإنه يكفُّ غضبَه.

وهذا الحديث (**مَنْ كَفَّ غضَبَه**) يعني من غضبَ وكفَّ غضبه فإن الله جل وعلا وعده بالأجر والثواب، كفَّ الله عنه النار يوم القيامة، الجزاءُ

---

(١) أخرجه الطبراني في (الأوسط) برقم (١٣٢٠).

(٢) في كتاب الصمت وآداب اللسان، برقم (١٨)، وهو بلفظ: «**من كف لسانه ستر الله ﷻ عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله ﷻ عذابه، ومن اعتذر إلى الله ﷻ قبل عذره**». وقال العقيلي في الضعفاء (٢/ ٣٥٠): «.... وفي الغضب وحفظ اللسان أحاديث بأسانيد صالحة من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣٢): «وفيه عبد السلام بن هاشم البزار وهو ضعيف». والحديث ضعفه الألباني ﷺ في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم (١٩١٦).

* **وقال الشيخ العلَّامة عبد الله بن صالح الفوزان** في كتابه «منحة العلام في شرح بلوغ المرام» (١٠/ ٢٧٧): «والحديث له طرق أخرى كلها ضعيفة..».

من جنس العمل، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] فإذا غضب الإنسان فإنه لا ينفذ غضبَه، بل يمسك نفسه عن تنفيذ الغضب، فإذا كفَّ غضبه، كفَّ اللهُ عنه النار يوم القيامةَ، فهذا فضلُ كف الغضب.

وفي الحديث الصحيح أن النبيَّ ﷺ قال: «**ليس الشديدُ بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسَه عند الغضَب**»[1]، فالذي يملك نفسه ويمنعها من تنفيذ الغضب فهذا هو الشديدُ، وهذا هو القوي.

فهذا فيه الترغيبُ في أن الإنسان إذا غضبَ فإنه يصبرُ ولا ينفذ غضبه[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) سبق تخريجه ص(١٤٢).

(٢) قال الزبيدي ﷺ: «اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحِدَّة، فالعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حُسن الخُلق، ولا يُحَسن الخُلق إلا بضبط قوة الغضب وحفظها على حد الاعتدال»، إتحاف السادة المتقين (٩/٤٦٩).

ما جاء في بعض مساوئ الأخلاق

٢٨ ـ وعن أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«لا يدخُلُ الجنَّةَ خَبٌّ، ولا بخيلٌ، ولا سَيِّءُ المَلَكَةِ»**[١]. أخرجه الترمذي، وفرَّقه حديثين، وفي إسناده ضعف.

الشَّرح

(**لا يدخل الجنة خبٌّ**) هذا نفيُ دخول الجنة، وهذا من باب الوعيد، والخبُّ: معناه المخادعُ، الذي يخادع الناسَ، يخدعهم بكلامه، وفي معاملاته، والناس يصدقونه وهو يخدعهم ويكذب عليهم، فهذا توعده الله بأنه لا يدخل الجنةَ، وهذا وعيد شديد.

(**ولا بخيل**) تقدم الكلامُ عن البخل وذم البخل.

(**ولا سيِّء الملكة**) وهو الذي إذا مَلَكَ عبداً، أو ملك دابةً، أساءَ إلى مملوكِهِ، بأن يُحمِّلَه ما لا يطيق، أو يمنع عنه الطعامَ والشرابَ ويجوِّعه، ويعطشه، ويكلمه بكلام جارح، فهذا سيِّء الملكة، الذي يسيء إلى مملوكهِ سواءً كان آدمياً أو بهيمةً، قال النبي ﷺ: «... **إخوانكم وخَوَلُكُم** ـ يعني خدمكم ـ **جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن**

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الإحسان إلى الخدم، برقم (١٩٤٦) و(١٩٦٣)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب الإحسان إلى المماليك، برقم (٣٦٩١)، وضعفه الألباني في تعليقه على (هداية الرواة) (٣/ ٣٣٩).

كلَّفتموهم فأعينوهم عليه»[(١)]، أطعموهم مما تطعمون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تحمِّلوهم من العَمَل ما لا يطيقون.

فالمسلم يحسنُ الملكة، يحسن إلى مملوكه، سواءً كان آدمياً أو بهيمة، ولكن الآدميَّ حُرمتُه أشدُّ؛ لأنه أخوك، كذلك الدابة، الدابة لها إحساسٌ وتتألم من الضرب، تتألم من الحمل الثقيل، تتألمُ من الجوع، تتألم من العَطَش فأحِسنْ إليها، وقد جاء في الحديث: «**أن امرأةً دخلت النارَ في هرَّةٍ حبستها، فلا هي أطعمَتْها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[(٢)].

وكذلك جاء في الحديث: «**أن امرأةً بغيّاً من بني إسرائيل سقت كلباً لما رأته يلهثُ من شدة العطش، فغفر الله لها**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**»[(٤)].

فالمسلم إذا ملك بهيمة أو ملك آدمياً فإنه يحسنُ إليه ولا يشق عليه، وتوعَّد الله الذي لا يحسنُ المَلَكة بأنه لا يدخل الجنةَ، وهذا وعيد شديد[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العتق، باب قول النبي ﷺ: «**العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون**»، برقم (٢٥٤٥)، ومسلم في كتاب الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس...، برقم (١٦٦١).

(٢) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم (٢٣٦٥)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة، برقم (٢٢٤٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب برقم (٣٤٦٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم (٢٢٤٥).

(٤) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم (٢٣٦٣)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم (٢٢٤٤).

(٥) «ومن جميل ما يُذكر من أخلاق السلف الصالح في التعامل مع الحيوان وعدم تحميله ما لا يطيق: عن معاوية بن قرة ﷺ قال: كان لأبي الدرداء جمل يقال له دمون، فكانوا إذا استعاروه منه قال: لا تحملوا عليه إلا كذا، وكذا فإنه لا يطيق أكثر من ذلك، فلما حضرته الوفاة قال: يا دمون لا تخاصمني غداً عند ربي فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تُطيق»، أورده العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في =

ما جاء من الوعيد في تسمُّع حديث الآخرين

٢٩ ـ وعن ابن عباسَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَسمَّعَ حديثَ قوم، وهُمْ لَهُ كارِهُونَ، صُبَّ في أُذُنَيهِ الآنُك يوم القِيامةِ»[(١)] يعني الرَّصاصَ. أخرجه البخاري.

الشَّرح

هذا الحديث فيه تحريمُ الاستماع إلى كلام الناس الذين لا يحبونَ أن يُستمع إليهم، الذي يَتَنَصَّتُ على الناس، على الجيران، وعلى المتحدِّثين ماذا يقولون؟ من أجل أن يخبرَ عنه، هذا عليه وعيد شديدٌ.

(تسمَّع ـ أي استَمَعَ إلى ـ حديث قوم) يعني كلامَ الناس و**(هم له كارهون)** يكرهون أن أحداً يسمعهم، أما إذا صار الحديثُ علانيةً، ولا

= الصحيحة برقم (٣٠) وقال: أخرجه أبو الحسن الإخميني في حديثه (ق/ ٦٣/ ١).

* وعن أبي عثمان الثقفي قال: «كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغلٍ له، يأتيه بدرهم كل يوم، فجاء يوماً بدرهم ونصف، فقال: ما بالك؟ قال: نفقت السوق، قال: لا، ولكنك أتعبت البغل».

قال العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٠): «أخرجه أحمد في الزهد بسند صحيح...». وانظر: موسوعة الأخلاق لفضيلة الشيخ عثمان بن جمعة الخرَّاز ص (٤٩٣ ـ ٥١٠) ط: مكتبة أهل الأثر بالكويت.

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم (٧٠٤٢) بلفظ: «من تحلَّم بحلم لم يره كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صُب في أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صوَّر صورة عُذِّب وكلِّف أن ينفخ فيها، وليس بنافخ».

يكرهون أن يسمعه الناس، لا بأس، إنما إذا كانوا يكرهون هذا، لا يريدون أن يسمعهم أحد، فمن خَدَعهم وتسمَّع إليهم، وهم لا يدرون، من أجل أن يفشي سرَّهم، وينقل كلامهم **(فإنه يُصَبُّ في أذنيه الآنُكُ)**، وفسَّره الراوي بأنه الرصاص، وقيل: الرصاص المُذاب، والعياذُ بالله، وهو شديدُ الحرارة.

الأذنان اللتان خانتا في الدنيا واستمعتا إلى حديث الناس الذين لا يحبون أن يسمعَ كلامهم، يصبُّ في أذنيه اللتين سمعتا هذا الكلام الآنُكُ، وهذا في النار والعياذ بالله.

وعدٌ كريم لمن شغلهُ عيبه عن عيوب الناس

٣٠ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عيبُهُ عن عُيوبِ الناسِ»[(١)]. أخرجه البزارُ بإسناد حسن.

الشَّرح

(طوبى) شجرةٌ في الجنة، تكون لمن شَغَلَهُ عيبُه عن عيوب الناس، ينظر في عيوبِهِ هو ويصلحُها، ويحاسبُ نفسَه، ولا يشتغل بعيوب الناس، ويغفل عن عيوبِه، فالذي يشتغل بعيوبه ويترك عيوبَ الناس، هذا له هذا الوعدُ الكريم أن له طوبى، وهي شجرة في الجنة، يسيرُ الراكب في ظلها مسيرةَ مائة عام، أو كما جاء[(٢)]، وقيل: طوبى هي الجنة.

هذا الحديث فيه فضيلةُ الإنسان الذي يشتغل بعيوب نفسِهِ ويصلحُها، ولا يشتغل بعيوب الناس، وفيه ذمُّ العكس وهو الذي يشتغل بعيوبِ الناس، وينسى عيبَ نفسه.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٢/ ٣٤٨)، وابن عدي في الكامل (٨/ ٣٦٥) في ترجمة الوليد بن المهلب (الأزدي) وقال: «أحاديثه فيها بعض النكرة»، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان (١٥/ ٩٧)، وضعف الألباني ﷺ إسناده في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩/ ٢٩٩).

(٢) يشير فضيلته حفظه الله إلى ما رواه ابن حبان ﷺ في صحيحه، برقم (٧٤١٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال له رجل: ما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**». قال العلَّامة الألباني ﷺ في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ٤٠١): حسن لغيره.

تحريم الكِبرَ والخُيلاء وإعجابُ المرء بنفسه

٣١ ـ وعن ابن عمرَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تعاظَمَ في نَفْسِهِ، واختَالَ في مِشْيتِهِ، لقيَ اللهَ وهو عليهِ غَضبانُ»[(١)].

أخرجه الحاكم، ورجاله ثقات.

الشَّرْح

هذا في ذم الكِبْر (من تعاظَمَ في نفسِه) يعني: أُعجب بنفسه وتكبَّر.

(واختال في مِشْيتِهِ) المِشية نوع من الكبر، فعطْفُه عليه من عطف الخاص على العام، وهو نوعٌ من الكبر، الذي يتعاظم في نفسِه، ويرى أنه كبيرٌ وأنه فوق الناس، وإذا مشى يمشي مشيةَ المتكبرين، فهذا عليه وعيد شديد (لقي الله وهو عليه غضبان) غضبُ الله ﷻ لا يقوم له شيءٌ، فهذا وعيد شديد على من تكبَّر وتعاظَمَ في نفسِه على الناس، والواجب على الإنسان التواضعُ مع الناس ومع إخوانه؛ لأنه ضعيفٌ، كيف يتعاظم وهو ضعيف مثل الناس أو أقل منهم، قد يكون في الناس مَنْ هو خيرٌ

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٦٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٨)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٥٤٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٥٤٣)، وقال ﷺ عقب تخريجه للحديث: (... وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووقع في التلخيص «على شرط مسلم»، وكذا نقل المنذري في الترغيب (٤/ ٢٠) عن الحاكم، وكل ذلك وهم فإنه على شرط البخاري فقط، لأن يونس بن القاسم لم يخرج له مسلم). انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٨٢).

منه، من هو أحسنُ منه، يستصغرُ الإنسان نفسَه، ولا يُعْجَبُ بنفسه، وإذا مشى يمشي مِشيةَ المتواضعين، ويرفُق في مشيته، لأن الاختيالَ في المشية مظهرٌ من مظاهرِ التكبر، على الإنسان أن يتواضع، ومَن تواضَعَ لله رفعه، ومن تعاظَمَ في نفسه غضب الله عليه.

وفي هذا الحديث إثباتُ الغضب لله ﷻ، وأنه صفة من صفاته، وفيه تحريم الكِبر وإعجاب المرء بنفسه[1].

(١) **قال الإمام ابن القيم** ﷺ في كتابه الروح (٢/ ٦٦٢): «.. وأما الكِبر فأثر من آثار العُجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحَّلت منه العبودية، ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس شزر، ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار، لا الإيثار ولا الإنصاف، ذاهب بنفسه تيهاً، لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه، لا يسعهم خُلقُه، لا يرىٰ لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، ويرى فضله عليهم، لا يزداد من الله إلا بُعداً، ولا من الناس إلا صغاراً وبُغضاً..».

ما جاء في ذم العجلة

٣٢ ـ وعن سَهْلِ بن سعدٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «العَجَلةُ من الشَّيطانِ»[١]. أخرجه الترمذي، وقال: حسن.

الشَّرْحُ

(**العَجَلةُ من الشيطان**) العَجَلة: يعني التسرُّع في الأمور، فالمؤمن لا يتسرَّعُ في الأمور وإنما يتأنى، لأن التسرُّع ربما يؤدي إلى الضرر، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات].

قد يستعجل الإنسان، فتكون عجلتُه ندامةً، ولو أنه تأنى وتروَّى في الأمور لكان في ذلك الخير، فالعجلة مذمومة، إلّا في أمورِ العبادات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١].

فأمور العبادات لا تحتاج أنْ يتأنى فيها الإنسان، بل تحتاج إلى المبادرة لئلا تفوتَ، أما غيرُ أمور العبادات فعلى الإنسان أن يتأنى فيها، ولا يستعجل.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التأني والعجلة، برقم (٢٠١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤) بلفظ: «**التأني من الله والعجلة من الشيطان**». وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٧٩٥).

وقد أثنى النبي ﷺ على أشجِّ عبد القيس، وقال: «**إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله ورسوله: الحِلْمُ والأناة**»[١]، **الحِلْم**: ضد الغضب، **والأناة**: التأني في الأمور، وعدمُ العَجَلة في الأمور[٢].

وكذلك حتى في أمور نفسِك الخاصة في البيع والشراءِ والمعاملات، إذا تأنيتَ وتروَّيتَ يكون هذا أحسن من العجلة[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١١١٧٥).

(٢) عن مصعب بن سعد عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**التُؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة**». رواه أبو داود (٤٨١٠).

(٣) قال الإمام ابن القيم ﷺ في كتاب الروح: (٢/ ٧١٧ ـ ٧١٨): «.. **الفرق بين المبادرة والعجلة**: أنَّ المبادرةَ انتهازُ الفرصة في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلَبَها. فهو لا يطلب الأمورَ في أدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتُها بادر إليها، ووثب عليها وثوبَ الأسد على فريسته. فهو بمنزلة مَن يبادر إلى أخذ الثمرة وقتَ كمال نُضجها وإدراكها.
والعجلة: طلب أخذ الشيء قبل وقته، فهو لشدَّة حرصه عليه بمنزلة مَن أخَذَ الثمرة قبل أوان إدراكها.
فالمبادرةُ وسطٌ بين خُلُقين مذمومين: أحدهما: التفريط والإضاعة، والثاني: الاستعجال قبل الوقت.
ولهذا كانت العجلة من الشيطان، فإنها خِفَّة وطيش وحدَّة في العبد تمنعه من التثُّبت والوقار والحلم، وتوجب له وضعَ الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعاً من الشرور، وتمنعه أنواعاً من الخير. وهي قرينُ الندامة، فقلَّ مَن استعجل إلا ندم، كما أنَّ الكسل قرينُ الفوت والإضاعة».

ما جاء في ذم سوء الخُلق

٣٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الشُّؤْمُ سوءُ الخُلُق»[١]. أخرجه أحمد، وفي إسناده ضعف.

الشَّرْح

مرَّ بنا سوءُ الخلق وأنه لا يتصفُ به المؤمن، يتصفُ المؤمن بالخُلُق الطيب، وفي هذا زيادة أن سوءَ الخلق سوءٌ يعني يوقعُ الإنسان في المكروه، والشؤم: هو توقُّع المكروه، فإذا ساءَ خلقُ الإنسان توقَّع المكروه وتشاءم[٢].

إذا ساءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ ... وصَدَّقَ ما يَعتادُهُ من توهُّمِ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٨٥)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢١١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٦) وقال: رواه الطبراني وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٢/ ٢٠٧).

(٢) «جمع بعضهم علامات سوء الخلق، فقال: «أن يكون قليل الحياء، كثير الأذى قليل الصلاح، كذوب اللسان، كثير الكلام قليل العمل، كثير الزلل كثير الفضول، لا براً ولا وصولاً، ولا صبوراً ولا شكوراً، ولا حليماً، ولا رفيقاً، ولا عفيفاً، ولا شفيقاً، لعّاناً، سبّاباً، نمّاماً، مغتاباً، عجولاً، حقوداً، بخيلاً، حسوداً، غضوباً، نكداً يُحب في شهواته ولا يبغض فيها، فهذا هو سوء الخلق». انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/ ٤٦٥١).

بيان الوعيد الذي على اللعَّان

٣٤ ـ وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّعَّانينَ لَا يكونُونَ شُفَعاء، ولا شُهداءَ يومَ القِيامةِ»[١]. أخرجه مسلم.

الشَّرح

مرَّ حديثُ: «**المؤمنُ ليس بالطعَّانِ ولا باللعَّانِ**»[٢]، فنفَى عنه كمالَ الإيمان في ذلك الحديث، وفي هذا الحديث بيانُ الوعيد الذي على اللعَّان، وأن اللعان لا يكون شهيداً، قيل: لا يكون شهيداً في الدنيا، يعني لا تُقبَلُ شهادته؛ لأنه يكون فاسقاً، والفاسق لا تقبل شهادته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

وقيل: لا يكون شهيداً يومَ القيامة على الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] في أنَّ الرسلَ بلَّغوهم، لأنكم وجدتم في القرآن قصةَ قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، قصَّ القرآن عليكم خبرَ الأمم، والقرآن من عند الله ﷻ، فأنتم تشهدون على الأمم أن رسلهم بلَّغوا[٣]، ولكن اللعَّان

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٨).

(٢) سبق تخريجه ص (١٩١).

(٣) لعل فضيلة الشيخ حفظه الله يشير إلى قوله صلوات الله وسلامه عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب. فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، يقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فتشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾**» رواه البخاري برقم (٣٣٣٩).

لا يكون شهيداً يوم القيامة، وهذا فيه فضلٌ لهذه الأمة كونهم شهداءَ على الناس، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عُدولاً خياراً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، ولكن اللعان لا يكون مع الأمةِ في هذا الشيء، وهذا من باب العُقوبةِ، فهو لا يكون شهيداً لا في الدنيا، ولا في الآخرة، حتى يتوبَ إلى الله ويتركَ اللعن، وكثيرٌ من الناس لا يُبالي باللعن، واعتاد لسانُه ذلك، بل يلعنُ مَن يحبُّ أحياناً يقول: هذا من باب المزاح، والصداقة بيننا، هذا والعياذُ بالله خُلُقٌ سيِّئ.

(ولا يكون شفيعاً) ولا يكون شفيعاً يومَ القيامة، لأن أهلَ الإيمان يشفعونَ يوم القيامة في أصحابِ الكبائر، الشفاعةُ معناها: الوَسَاطة في الخير، فيومَ القيامة تكون هناك شفاعةٌ عند الله بشرطين:

الشرط الأول: إذنُ الله للشَّافع أن يشفع.

الشرط الثاني: رِضا الله عن المشفوعِ فيه بأن يكون من أهلِ الإيمان، إذا استحقَّ إنسانٌ مؤمن دخولَ النار أو دَخَلَها بكبيرة أو كبائر فعلها، يشفع له الشفعاءُ يومَ القيامة فيخرج من النار، ومن جُملة الشُّفعاء: المؤمنون. فالأنبياء يشفعونَ، والأولياء يشفعون، والأفراطُ ـ وهم الذين ماتوا صغاراً من أولاد المسلمين ـ يشفعون لآبائهم يوم القيامة، فهذا اللعَّان الذي كان يلعن في الدنيا ويشتم ويسبُّ، هذا لا يكون شافعاً عند الله يوم القيامة إهانةً له، فهذا وعيدٌ شديد على هذه الجريمة، وهي جريمة التفوُّه باللعن، وهذا يتساهل فيه كثير من الناس[1].

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «لأن اللعن إساءة بل من أبلغ الإساءة، والشفاعة إحسان، فالمسيءُ في هذه الدار باللعن، يسلبه الله الإحسان في الأُخرى بالشفاعة، فإن الإنسان إنما يحصد ما يزرع والإساءة مانعة =

التحذير: من عيّر الشخص بذنبه

٣٥ ـ وعن معاذ بنِ جَبَل ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «من عَيَّرَ أخاهُ بذَنْبٍ، لم يَمُتْ حتى يَعْمَلَهُ»[(١)] . أخرجه الترمذي وحسَّنه، وسنده منقطع.

(من عيَّرَ أخاه بذنب) يعني تنقَّصَ أخاه بذَنْبِهِ، وذكر ذَنْبَه، بينما الواجب سترُ المسلم مع مناصحتِه، أما إذا عيَّره وتنقَّصه ونبذه بهذا الذنب، فإن الله يبتليه في أن يقعَ في مثل هذا الذنب عقوبةً له، فهذا فيه تحريمُ تعيير المسلمين بذنوبهم، وذكرِ عيوبهم.

الواجبُ على المسلم أن يستر أخاه المسلم قال ﷺ: **«منْ سَتَرَ مسلماً ستَره الله في الدنيا والآخرة»**[(٢)]، ولكن مع النصيحة فيما بينَكَ وبينه إشفاقاً عليه، ورحمةً به.

= من الشفاعة التي هي إحسان، وأما منع اللعن من الشهادة فإن اللعن عداوة وهي منافية للشهادة، ولهذا كان النبي ﷺ سيد الشفعاء وشفيع الخلائق، لكمال إحسانه ورأفته ورحمته بهم ﷺ». بدائع الفوائد (٣/ ١١٦٨).

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق باب الورع عن رسول الله ﷺ، برقم (٢٥٠٥)، وقال: «هذا حديث غريب وليس إسناده متصل وخالد بن معدان لم يدرك معاذ بن جبل». وقال ابن الجوزي ﷺ في كتابه «الموضوعات» (٣/ ٢٧٧): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ».

(٢) سبق تخريجه ص(٩٢).

التحذير من الكذب ليضحك الناس

٣٦ ـ وعن بهزِ بن حكيم، عن أبيهِ، عن جَدِّه، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ويلٌ للذي يُحدِّثُ فيكذبُ، ليُضْحِكَ به القومَ، ويلٌ لَهُ، ثمَّ ويلٌ له»[١]. أخرجه الثلاثة، وإسناده قوي.

الشَّرْح

(بهز بن حكيم) بن معاويةَ بن حَيْدَةَ، ومُعاويةُ بن حَيْدَةَ، صحابي.

(ويلٌ للذي يحدِّثُ فيكذبُ، ليُضحِكَ به القوم، ويلٌ له، ثم ويلٌ له) وويل: كلمةُ عذاب، وقيل: وادٍ في جهنم.

لا يجوز الكذب، وهو كبيرةٌ من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، فلا يجوزُ للإنسان أن يكذب ويقول خلافَ الحقيقة، والواجبُ على المؤمن الصدق، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة] المؤمن صادقٌ فيما يقول، وفيما يَعِدُ، وفيما يعاهِدُ، وفيما يتحدثُ عند الناس، فلا يخبر الناسَ بأخبار مكذوبة من أجل أن يضحكهم.

لا يجوزُ الكذبُ إلّا في ثلاثة مسائلَ فقط، المصلحةُ فيها راجحة، هو كذبٌ ولكن يجوز لأجل المصلحةِ الراجحةِ فيها:

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، برقم (٤٩٩٠)، والترمذي وحسَّنه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب فيمن تكلم بكلمة يُضحك بها الناس، برقم (٢٣١٥)، وأحمد في مسنده (٥/٣) وحسنه العلّامة الألباني ﷺ في غاية المرام، برقم (٣٧٦).

الأُولى: الإصلاحُ بين الناس، فيكذب الإنسان من أجل أن يصلحَ بين المتنازعين، يأتي واحداً ويقول له: فلان يُثني عليك، ويمدحُك، ونادم على ما حصل منه في حقك، ويريدُ المصالحةَ معك، ويذهب للثاني ويقول مثل هذا، فيجمعُ بين الاثنين، ويصلحُ بينهما، هذا الكذب من أجل الإصلاح بين الناس، والمصلحةُ فيه راجحةٌ، فيجوز هذا.

الثانية: في الحربِ، الحربُ خُدعة، فيجوز الكذبُ في الحرب لأجل خديعة العدو.

الثالثة: بينَ الزوجين؛ لأجل إصلاح العِشْرة، فالزوج يكذب على زوجتِه، والزوجةُ تكذبُ على زوجها من أجل إصلاح العشرةِ بينهما، يقول: أنا أحبك، وأنا أقدرك، وتقول هي كذلك: أنا أحبك وأنا راغبةٌ فيك، وما أشبه ذلك، ولو كان ذلك غير صحيح من أجل إبقاء العِشرة بينهما، فالمصلحةُ راجحة في هذا.

وما عدا هذه الثلاث[1]، الكذب حرام، ويدخل في هذا أصحاب التمثيليات الذين يُضحِكون الناس بالهزليَّات، ويأتون بشيءٍ ليس واقعاً، وإنما هو كذبٌ من أجل أن يُضحكون الناس.

---

(١) يشير فضيلة الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٠٤) عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها، قالت: «ما سمعت رسول الله ﷺ يُرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الرجل يقول القول في الحرب، والرجل يُحدث امرأته والمرأة تُحدثُ زوجها..». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله، برقم (٥٤٥).

كفارة الغيبة

٣٧ ـ وعن أنسٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «كفَّارةُ منْ اغْتَبْتَهُ أنْ تَستَغْفِرَ لهُ»(١). رواه الحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف.

الشَّرح

الغِيبةُ حرام كما سبق، وهي كبيرةٌ من كبائر الذنوب، **والغيبةُ**: ذكرُكَ أخاك بما يكره في حال غَيبتِه، تتحدثُ عنه في المجالس، تذكر مساوئهُ، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

فإذا وقع منك غيبةٌ في أخيك، ثم ندمتَ وتُبتَ، فإن هذا لا يكفي؛ لأن هذا حقُّ آدميٍّ، وحق الآدمي لا يسقطُ إلّا بمسامحته، قال ﷺ: **«من كانَ عنده لأخيه مظلمةٌ من مالٍ أو عرضٍ فليتحلَّلْهُ منه اليوم»**(٢)، فإذا اغتبتَ أحداً، وأردت التوبةَ، فإنك تطلبُ المسامحةَ منه **إلا في حالتين**:

الحالة الأولى: إذا ماتَ، أو إذا انتقل ولا تقدرُ على طلب المسامحة منه، هذا تستغفرُ له وتُثني عليه في المجالس التي اغتبتهُ فيها.

الحالة الثانية: إذا كان إذا أخبرتَهُ يغضَبُ، ولا يقبَلُ أن يعفو عنك، بل يغضبُ وتشتدُ العداوة بينك وبينه، فدَرْءُ المفاسِدِ مقدَّم على جلب المصالح، ففي هذه الحالة تستغفرُ له وتثني عليه.

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في (بغية الباحث)، برقم (١٠٨٧)، وضعّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، برقم (١٥١٩).

(٢) سبق تخريجه ص(١٤٦).

أبغضُ الرجال إلى الله!!

٣٨ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أبغَضُ الرِّجالِ إلى الله الألدُّ الخَصِمُ»(١). أخرجه مسلم.

الشَّرح

(الألد): هو الذي يخاصِمُ بالباطل، هو الذي يشتدُّ في الخصومة، ولا يَرْعَوِي، قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وقال سبحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

يُبغض اللهُ جل وعلا هذا الصنفَ من الناس، وإذا خاصم الإنسانُ فإنه يخاصِمُ بالطرق الشرعية، ليتوصَّل إلى حقِّه، ولا يشتدُّ في الخصومة، ويرتكبُ الحيل من أجل أن يتغلبَ على خصمه، بل يخاصمُ إن كان عنده بيِّنةٌ، وإن لم يكن عنده بيِّنةٌ يرضى بيمين المدعَى عليه، ولا يلجأ إلى خصوماتٍ ومنازعات، وهو يعرفُ أنه ليس على حق، هذا هو ألدُّ الخصام، هذا يبغضُه الله يوم القيامة.

يجب على الإنسان إذا تبين له الحكمُ الشرعي أن ينقادَ ويرضى، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، برقم (٢٤٥٧)، ومسلم في كتاب العلم، بابٍ في الألد الخصِم، برقم (٢٦٦٨).

باب الترغيب في مكارم الأخلاق

لما ذكر رَحِمَهُ اللهُ في الباب السابق الأخلاق السيئةَ التي يجب تجنُّبها، ذكر في هذا الباب الأخلاقَ الطيبةَ الحسنة التي يجب على المسلم أن يتحلَّى بها.

(**الترغيب**): تفعيل من الرغبة، وهي طلبُ الشيء، فالرغبةُ في الشيء: طلبُه، والرغبةُ عن الشيء: تركُه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، يعني من يترك ملةَ إبراهيم إلا سفيه.

(**والمكارم**): جمع مكرمة، والشيءُ الكريم: هو الشيء النفيسُ الطيبُ.

(**والأخلاق**): جمع خُلُق، وهو ما يتحلَّى به الإنسان من الصفاتِ الحميدةِ.

الخُلُق بخلاف الخَلْق، الخَلْق هذا للصورة الظاهرة، وأما الخُلُق فهو للصورة الباطنة للإنسان، **قد يكون الإنسان حَسَن الخَلْق وحَسَن الخُلُق، هذا أطيبُ ما يكون، وقد يكون سيِّئَ الخَلْق وسيِّئَ الخُلُق وهذا أسوأ ما يكون، وقد يكون سيِّئَ الخِلْقةِ ولكنه حَسَن الخُلُق، وهذا طيِّب، العبرة ليستْ بالصورة الظاهرةِ، العبرة بالصورةِ الباطنةِ والتعاملِ الطيب والسلوك الحسن**[1].

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**». وفي رواية له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

الصدق من خِصال الخُلق الطيب

١ ـ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «عليكُم بالصِّدْقِ، فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجَنَّةِ، وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتى يُكتَبَ عندَ اللهِ صِدِّيقاً، وإياكُم والكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يهدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ الرجلُ يكذبُ، ويتحرَّى الكَذِبَ حتى يُكتَبَ عندَ الله كذَّاباً»[١]. متفق عليه.

الشَّرح

وفي هذا الحديث أنَّ من خصال الخُلق الطيبِ الصِّدقَ، ومن خصال الخُلق السيئ الكذبَ، وقد أثنى الله على أهل الصدقِ والصادقين ووعدَهم بجزيل الثواب، وتوعَّد الله أهلَ الكذب والكاذبين بأليم العقابِ، والصدقُ يكون مع الله جل وعلا فيما بين العبد وبين ربّه بإصلاح النية، وحُسنِ العبادة، والتزامِ طاعة الله، وتركِ معصية الله، ويكونُ الصدق أيضاً مع الناس في حُسنِ التعامل، وتحمُّل الأذى وبذلِ الخير.

وحثَّ النبي ﷺ في هذا الحديث على الصدق فقال:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وما يُنهى عن الكذب، برقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧).

(عليكم بالصدق) عليكم: هذه كلمةُ حثٍّ وإغراءٍ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المائدة: ١٠٥] هذا حثٌّ على إصلاح النفوس، **(عليكم بالصدق)** أي: الزموا الصدق في أقوالكم وأفعالكم وعباداتكم وجميع شؤونكم.

ثم علَّلَ ﷺ هذا الأمر وهذا الحث بقوله: **(فإن الصدقَ يهدي إلى البرِّ)** البر: كلمة جامعة تجمعُ كلَّ خصال الخير، فإن الصدق يهدي: يعني يدلُّ إلى البر.

(والبر يهدي إلى الجنة) البرُّ وهو فعلُ الطاعات، وتركُ المحرمات، والتزامُ الخير، يهدي إلى الجنة، يعني يدلُّ على أعمال الجنة ويوصلُ إلى الجنة، فالصدقُ وسيلة إلى البر، والبر وسيلةٌ إلى الجنة.

(ولا يزالُ الرجل يصدقُ ويتحرَّى الصدق) يصدق فيما يقولُ وفيما يفعل، ويتحرَّى الصدقَ، فلا يتساهل في أمر الصدق بل يتحرَّاه ويلتزمُه في جميع أعماله وأقواله، فما كان صدقاً فَعَلَهُ، وما كان غير صدق تَرَكَه.

(حتى يُكتَبَ عندَ الله صديقاً) الصِّدِّيق: البالِغُ في الصدق مع الله ومع الخَلْق، ودرجةُ الصِّدِّيقين بعد درجة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء]، هذه منزلة عاليةٌ، منزلة عظيمة بعد منزلة الأنبياء، والمؤمنُ يكتسبها بلزوم الصدق، ومن ذلك سُمي أبو بكر رضي الله عنه بالصدِّيق؛ لأنه كان كثيرَ الصدق، ولم يُجرب عليه الكذب رضي الله عنه[1].

---

(١) قال سماحة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر في كتابه =

والصدقَ على قسمين: سَجيَةٌ يجعلها الله في الإنسان ومكتَسَبٌ؛ لأن الإنسان يعوِّد نفسه على الصدق، ولا يتساهل في الكذب، بل يترك الكذب نهائياً حتى ولو كان مازحاً، فإذا عوَّد نفسه الصدقَ صار صديقاً.

(**وإياكم والكذبَ**) والكذب: هو الإخبارُ بخلاف الواقع، فإذا طابق الخبرُ الواقعَ صار صدقاً، وإذا خالف الخبرُ الواقعَ صار كذباً.

(**فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور**) الفجور: هو الخُروج عن طاعة الله ﷻ، فالفاجرُ والفاسق كلاهما خارجٌ عن طاعة الله جلّ وعلا.

(**وإن الفجورَ يهدي إلى النار**) كما أن البرَّ يهدي إلى الجنة، فالفجورُ يهدي إلى النار؛ لأنه يحمِلُ صاحبَه على فعل المعاصي وفعل السيئات، ويكذبُ فيما بينه وبين الله، ويكذبُ فيما بينه وبين الناس، فتكون أعمالُه كلُّها كذباً، ويكون من أهل النار.

(**ولا يزالُ الرجلُ يكذب ويتحرى الكذبَ حتى يُكتَبَ عند الله كذاباً**) فإذا كان الإنسان لا يتحاشى الكذبَ، ولا يخافُ من الكذب، فهذا يصير

= (من كنوز القرآن الكريم) ص (١٥٥) عند تفسيره لسورة الفاتحة: «**وقد استدل شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بسورة الفاتحة على صحة خلافة أبي بكر** ﵁ فقال في كتابه (أضواء البيان) (١/ ٥١): «يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق ﵁ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم ـ أعني الفاتحة ـ بأن نسأله أن يهدينا صراطهم، فدل ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وهو في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وقد بيّن الذين أنعم عليهم فعدَّ منهم الصدِّيقين، فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم، الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم، فلم يبق لبس في أن أبا بكر ﵁ على الصراط المستقيم وأن إمامته حق».

الكذبُ سَجيةً له، ويُعرفَ به عند الناس، ويكون عندَ الله كذاباً، يُكتب عند الله كذاباً من الكذابين، فهذا فيه التنفيرُ من الكذب، وهو من مساوئ الأخلاق، وأن على الإنسانِ أن يبتعدَ عن الكذب، ولا يَتساهلَ فيه، فإنه إذا تساهَلَ فيه فإنه يكون سجيةً له، ويخرجُ من دائرة الصدق إلى دائرة الكذبِ والفجور فيكون من أهل النار(١).

---

(١) قال العلامة ابن القيم ﷺ في كتابه (الفوائد) ص (١٩٧): «إياكَ والكذبَ؛ فإنه يُفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه، ويُفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس!.
فإن الكاذب يُصور المعدوم موجوداً والموجود معدوماً، والحق باطلاً والباطلَ حقاً، والخير شراً والشر خيراً؛ فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبةً له. ثم يُصوِّر ذلك في نفس المخاطب المغترِّ به الراكن إليه؛ فيُفسِدُ عليه تصوره وعلمه.
ونفس الكاذب مُعْرِضةٌ عن الحقيقة الموجودة، نزَّاعةٌ إلى العدم، مُؤثِرةٌ للباطل.
وإذا فسدت عليه قوة تصوره وعلمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي؛ فسدت عليه تلك الأفعال، وسَرى حكم الكذب إليها، فصار صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان؛ فلا ينتفع بلسانه ولا بأعماله. ولهذا كان الكذبُ أساسَ الفجور؛ كما قال النبي ﷺ: «**إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار**».
وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيُفسِده، ثم يسري إلى الجوارح فيُفسدُ عليها أعمالها كما أفسد اللسان أقواله، فيَعُمُّ الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد ويترامى داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدقِ يَقلَعُ تلك المادة من أصلها.
ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأضدادها من الرياء والعُجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجُبن والمهانة وغيرها أصلها الكذبُ؛ فكل عمل صالح ظاهرٍ أو باطنٍ فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسدٍ ظاهرٍ أو باطنٍ فمنشؤهُ الكذبُ.
والله تعالى يعاقب الكذابَ بأن يُقعِده ويُثبِّطه عن مصالحه ومنافعه، ويُثيب الصادقَ بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته؛ فما استُجلبَت مصالحُ الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدُهما ومضارُّهما بمثل الكذب».

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديثِ»[١]. متفق عليه.

تقدم هذا الحديث، وسلف شرحه هناك فلينظر[٢].

---

(١) سبق تخريجه وشرحه ص(١٥٨).

(٢) قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «فليس لك أن تظن بالمسلم شرّاً، إلا إذا انكشف أمرٌ لا يحتمل التأويل، فإن أخبرك بذلك عدل. فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذوراً، لأنك لو كذبته كنت قد أسأت الظن بالمُخبِر، فلا ينبغي أن تُحسن الظن بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حينئذ بسبب ذلك.

ومتى خطر لك خاطر سوءٍ على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يُلقي إليك خاطر السوء خيفةً من اشتغالك بالدعاء والمراعاة. وإذا تحققت هفوة مسلم، فانصحه في السر.

واعلم أن من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهي عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم» مختصر منهاج القاصدين ص (١٧٢).

الحذر من الجلوس في الطرقات إلا بحقها

٣ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إياكُم والجُلوسَ على الطُّرُقات»، قالوا: يا رسولَ الله، ما لَنا بُدٌّ من مجالِسنا نتحدثُ فيها، قال: «فأمَّا إذا أَبَيتُم، فأَعْطُوا الطَّريقَ حَقَّهُ» قالوا: ما حَقُّه؟ قال: «غَضُّ البَصَر، وكَفُّ الأَذَى، ورَدُّ السَّلامِ، والأمرُ بالمَعْروفِ، والنَّهيُ عن المُنْكَرِ»[١]. متفق عليه.

الشَّرح

وهذا أيضاً من محاسنِ الأخلاق، أن الإنسان لا يجلسُ في طرُقات الناس التي يتردَّدون فيها، وأما الجلوس فيها فهو من سُوء الخلق، ولهذا حذَّر النبي ﷺ فقال: **(إياكم)** هذه كلمةُ تحذيرٍ **(والجلوسَ بالطرقات)** يعني: طرقاتِ الناس التي يسلكونها؛ لأنه يمرُّ فيها النساءُ، ويمر فيها مَن لا يرغبُ أن يطلع عليه أحدٌ، والناسُ يطلبون السترَ، والذي يجلسَ على الطرقات يكتشف أسرارَ الناس، ويطلع على ما لا يرغبون الاطلاعَ عليه.

والشيء الثاني أنه يعرِّضُ نفسَه للفتنة والنظرِ المحرَّم عند مرور النساء؛ لأن الطرقات يمرُّ فيها الكبارُ والصغار والرجالُ والنساء والأغنياءُ والفقراء، فالسلامةُ أن لا يجلس الإنسانُ فيها، ولهذا حذَّر منه ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصُّعدات، برقم (٢٤٦٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، برقم (٢١٢١).

فلما قالوا: يا رسولَ الله، مجالسنا ما لنا منها بدٌّ، يعني: إلى أين نذهبُ؟ نحتاجُ إلى أن نتجمعَ ونتآنَسَ فيما بيننا، ويكون بيننا اتصالٌ، وهذا لا يمكن إلا في الطرقات، ما لنا مكانٌ يجتمع فيه الجيران، ويجتمع فيه الناسُ إلا على الطرقات، على حافةِ الشوارع، ما لنا منها بدٌّ، أي: ليس لنا عنها غِنًى؛ لأنهم لا يريدون الجلوسَ في بيوتهم دائماً وأبداً، ولا يرى بعضُهم بعضاً.

فقال ﷺ: (**فأما إذا أبيتُم**) يعني امتنعتُم من ترك الجُلوس في الطرقات، قالوا: هذا دليلٌ على أن النهي منه ﷺ ليس للتحريم، لو كان النهي للتحريم لتجنَّبوه بدون مجادلة، وكونُهم راجعوا الرسول ﷺ هذا دليل على أن النهي هنا ليس للتحريم، وإنما هو للكراهة وخلافِ الأولى. (**فأعطوا الطريقَ حقَّه**) إذا أعطيتَ الطريق حقَّه جاز لك أن تجلس فيه، وإذا لم تُعطِهِ حقَّه لم يجز لك أن تجلس فيه.

قالوا: (**وما حقُّه يا رسولَ الله؟**) هذا فيه سؤالُ أهل العلم عما أَشْكَلَ، فذكر ﷺ أربعةَ حقوق من حقوق الطريق:

الأول: (**غضُّ البصر**) يغضُّ الإنسان بصره عن ما لا يجوز النظر إليه، عند مرور النساء، لا ينظر إليهن عملاً بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، أما الذي يجلس في الطريق يلاحق النساء، وينتظر مرور النساءِ هذا آثم، وحرامٌ عليه هذا الفعل، **ومن هنا نعلم أن هؤلاء الذين يخرجون إلى الأسواقِ وإلى الشوارعِ لملاحقةِ النساء والنظر إليهن ومعاكستهن، يرتكب إثماً؛ لأن هذه أمورٌ محرَّمة، إذا كان الرسول ﷺ قد نهى عن مجردِ الجلوس في الطريق، فكيف بالذي يذهبُ ويتابع النساءَ ويقصد هذا، ويذهب إلى تجمعاتِ النساءِ ويغازلهن! هذا أشد شرّاً وإثماً والعياذ بالله.**

الثاني: (**كفُّ الأذى**) كفُّ الأذى عن المارة، فلا تؤذ المارَّة بأن

تتكلمَ عليهم بكلامٍ يجرح شعورَهم، ولا تلقِ شيئاً يعثر المارُّ به، وكذلك الأذى يكون بالكلام، فالذي يضحَكُ على الناس أو يستهزئ بهم أو يسخرُ من المارَّة، فعله هذا أيضاً من أعظم الأذى للمارة.

الثالث: (ردُّ السلام) إذا مرَّ بك المسلمُ وسلَّم وجب عليك ردُّ السلام، البداءةُ بالسلام سُنَّةٌ، وردُّه واجب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء]، أقل شيء أن تردَّ مثلَ ما سلَّم، والأحسنُ أنك تزيدُ ردَّ السلام.

الرابع وهو مهم جداً: **(الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر)** فإذا كنت جالساً في الطريق أو كنتَ مع أصحابك جالسينَ في الطريق، ورأيتم منكراً وجب عليكم إنكاره.

إذا رأيتم امرأةً سافرةً وجب عليكم الإنكارُ عليها وأمرُها بالحجاب أو تبليغُ رجال الحسبةِ عنها، إذا رأيتم رجلاً أو سفيهاً يؤذي النساءَ ويتعرضُ لهنَّ، وجب عليكم الإنكارُ عليه أو إعطاءُ البلاغ عنه، هذا النهيُ عن المنكر، قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّرهُ بيده، فإن لم يستطعْ فبِلسانِه، فإن لم يستطيع فبقلبه**»[(١)].

إذا رأى الجالس على الطريق إنساناً يتكاسلُ عن الصلاة، ولا يذهب للمسجد بعد الأذان فهو ينكرُ عليه، يأمره بالصلاة، وإذا لم يمتثل يبلغ عنه، ولا يسكت عنه ما دام أنك رأيت منكراً يلزمك إنكارُه.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩).

فضلُ التفقُّه في الدين

٤ ـ وعن مُعاوية ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «منْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ»[١]. متفق عليه.

الشرح

التفقه في الدين من أعظم مكارم الأخلاق.

(عن معاوية) أي: معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

(من يُردِ الله به خيراً يفقههُ في الدين) من يُرد الله: هذه إرادةٌ كونية؛ لأن الإرادة من الله على نوعين: إرادة كونية وإرادة شرعية، المرادُ هنا الإرادة الكونية، يعني: من أراد الله له الخير وفقه للتفقه في الدين.

والتفقه في الدين: هو تفهُّم الأحكام الشرعية من كتاب الله، ومن سنةِ رسول الله ﷺ.

والفقهُ عند الأصوليين هو: معرفةُ الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وأما عند أهل اللغة فالفقه معناه: الفهمُ، ومعناه في الاصطلاح: فهمُ الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة.

ووجودُ هذا في الإنسان علامةٌ على أن الله أراد به الخيرَ، فإذا رأيت الرجل يتفقَّهُ في أمور دينه، فاعلم أن الله أرادَ به خيراً، ومفهوم

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم (٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧).

ذلك أن الرجل إذا لم يتفقه في دين الله أن الله أراد به شراً، هذا مفهومُ المخالفة، فالإعراضُ عن دين الله لا يتعلَّمه ولا يتفقه فيه، هذا علامةٌ على أن الله أراد به شراً.

والتفقهُ في دين الله له ضوابط، بأن يتعلمَ الإنسانُ قواعدَ الاستدلال، وقواعدَ الاستنباط المدونة في أصول الفقه، فإذا فهم هذه القواعد، وهذه الضوابط، فإنه يكون متأهلاً للفقه في الكتاب والسنة، أما إذا لم يعرف هذه الضوابط وهذه القواعد فإنه لا يستطيعُ التفقه، وكذلك أصول الحديث الذي هو علم المصطلح، يجب على طالبِ العلم أن يتعلمَ هذه الأشياء حتى يتسنَّى له ويتيسَّرَ له التفقه في دين الله.

وكذلك من التفقه في دين الله قراءةُ كتب الفقه، لا سيما فقه المذاهبِ الأربعة، فيقرأ كلامَ أهل العلم وما استنبطوه من الأحكام؛ لأنها تُعينه على التفقه في دين الله[١].

***

(١) **قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذا الحديث:

«هذا الحديث العظيم يدلنا أن من علامات السعادة ومن دلائل الخير ومن براهين العاقبة الحميدة: أن تكون فقيهاً في الدين متبصراً في الدين عارفاً بشرع ربك عَزَّ وَجَلَّ.

هذه من الدلائل العظيمة والبراهين الواضحة أن الله سبحانه أراد بك خيراً حيث وفقك للفقه في الدين وأن المتفقه في دين الله على طريق نجاة وأن الله سبحانه متى رزقه الفقه في الدين والبصيرة في الدين فذلك من علامات أن الله سبحانه أراد به خيراً أما من أصيب بالإعراض والغفلة عن الله والدار الآخرة وعن طلب العلم: فذلك من علامات ودلائل أن الله أراد بالعبد شراً ولا حول ولا قوة إلا بالله». انظر حديث المساء لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ ص(٢٩).

أثقل شيء في الميزان: الخُلُق الحسن

٥ ـ وعن أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «ما مِنْ شيءٍ في الميزانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»[(١)]. أخرجه أبو داود، والترمذي وصححه.

الشَّرْح

هذا فيه فضلُ حسن الخُلُق، وحسن الخُلق صفة يؤتيها الله جل وعلا مَن شاء من عباده، فيتعاملُ مع الناس بالرفق، ويتعاملُ معهم باللين واللطف، والرحمةِ، ويتقبل منهم ويصبرُ على مشقة استقبالهم وإجابةِ سؤالهم، هذا كلُّه من حسن الخلق، وهذا ثقيلٌ في الميزان عند الله ﷻ، ولهذا أثنى على نبيِّه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فحسن الخلق يحتاج إليه العالمُ والداعي إلى الله والآمرُ بالمعروف، والناهي عن المنكر، ويحتاج إليه أيضاً كلُّ مسلم، الذي يتعاملُ مع الناس بالمداينات بالبيعِ والشراءِ يحتاج إلى حسن الخلُق معهم، كل مسلم بحاجة إلى حسن الخلق حتى مع زوجته، حتى مع أولاده، وأهل بيته بحاجة إلى حسن الخُلق.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، بابٌ في حسن الخلق، برقم (٤٧٩٩)، والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم (٢٠٠٢)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٤٦ و٤٤٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٨٧٦).

الحياء من الإيمان

٦ ـ وعن ابنِ عمرَ ﵄ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الحَياءُ مِن الإيمانِ»(١). متفق عليه.

الشَّرْح

(الحياءُ من الإيمان) الحياء: صفةٌ تحمِلُ الإنسانَ على فعل الخير وتُجنِّبه الشرَّ، فهو خَصلَةٌ عظيمة من خصال الإيمان.

(الحياءُ من الإيمان) أي: من خِصال الإيمان؛ لأن الإيمان شُعَبٌ كما قال النبي ﷺ: **«الإيمان بضعٌ وسبعونَ ـ أو بضعٌ وستُّون ـ شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»**(٢).

الذي يستحي هذا فيه صفةٌ عظيمةٌ؛ لأن الحياء يمنعه مما لا يليقُ، ويحملُه على فعلِ ما يجمِّلُه ويزينُه، أما الذي لا يستحي فهذا يأتي في الحديث الذي بعده: **«إذا لم تستحِ فاصنَعْ ما شئتَ»**، فالحياءُ خصلة عظيمة، ومن رُزق الحياء فقد رُزق خيراً كثيراً.

هذا الحياءُ الذي هو بهذه الصفة، أما الحياءُ الذي يمنع الإنسانَ من قولِ الحق أو يمنعُ الإنسانَ من سؤال أهلِ العلم، هذا ليس حياءً هذا خَجَلٌ وعجزٌ وذلٌّ وانكسارٌ، وهو صفة سيئةٌ وهو مذموم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، برقم (٢٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم (٣٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم (٣٥).

الحياء من تُراث الأنبياء

٧ ـ عن أبي مسعودٍ البدري عقبة بن عمرو ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناس من كَلَامِ النُّبُوَّةِ إذا لم تَسْتَحِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ»[1]. أخرجه البخاري.

الشَّرح

(**إنَّ مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى**) أي: من كلام الأنبياء السابقين عليهم وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام (**إذا لم تستح فاصنع ما شئتَ**) فهي كلمةٌ مأثورة عن الأنبياء وغيرُ منسوخة، مُجْمَعٌ عليها[2]، فدلَّ هذا على أن الذي ليس فيه حياء أنه ليس فيه شيء يمنعه من فعل الرذائلِ وفعلِ القبائحِ، فهذا فيه ذمُّ عدم الحياء وآثارُ عدم الحياء.

ومن العلماء من يقول: إن معنى الحديث: أنكَ إذا أردت أن تفعل شيئاً فانظر إن كان مما يُستَحيا من فعلِه فاتركه، وإن كان مما لا يستحيا من فِعْلِه فافعله.

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، برقم (٣٤٨٤).

(٢) كما قال الإمام ابن الملقن ﷺ في شرحه لهذا الحديث: «ومعنى الحديث أن الحياء أمره ثابت منذ زمان النبوة الأول، فإنه ما من نبي إلا وقد ندب إلى الحياء وبُعث عليه، ولم يُبدل منها وذلك أنه أمر قد علم صوابه وبان فضله ولم يُنسخ فيما نسخ من شرائعهم». انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٩/ ٦٥٧) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر.

ما جاء في فضل المؤمن القوي

٨ ـ وعن أبي هريرةَ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ من الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ ولا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كذا كان كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرْحُ

(المؤمنُ القويُّ) القويُّ في إيمانه، والقوي في عزيمتِهِ ونيَّته، يكون عندهُ عَزْمٌ، ويكون عنده قوةٌ وصرامة في الحق، وهو خيرٌ من المؤمنِ الضعيفِ، ضعيفِ العزيمة، وضعيفِ الإرادة.

(وفي كلٍّ خيرٌ) المؤمن القوي، والمؤمن الضعيف كلاهما فيه خيرٌ، ولكنَّ الخيرَ عند المؤمن القوي أكثرُ من الخير عند المؤمن الضعيف؛ لأن المؤمن القوي يتعدى نفعُه، ونفعُ إيمانه إلى غيره، وأما المؤمن الضعيفُ فإيمانه قاصرٌ عليه لا يتعدى نفعُه إلى غيره، هذا وجه المفاضَلَة بين الاثنين، فهما استويا بالإيمان، لكنَّ الذي إيمانُه قوي أفضل؛ فمثلاً عمر ابنُ الخطاب ﵁ في قوَّتِه وصرامتِه وقوةِ عزيمته، استفادَ المسلمون منه فائدةً كبيرة، لقوة إيمانه، وكان إذا مشى من طريق يسلك الشيطانُ طريقاً

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

آخر[١]، لا يجتمعُ هو وعمر في طريق واحد، لقوةِ إيمانِه رضي الله عنه وقوةِ عزيمتِه وصرامته، ولذلك فتحَ الفتوحَ ونشر الإسلامَ في مشارق الأرض ومغاربها بفضل الله ثم بقوته، وقوةِ عزيمتِه رضي الله عنه.

وكم استفاد المسلمون من قوة إيمان أبي بكر الصديق، لما توفي الرسولُ ﷺ ثبت ثبوت الجبال، ولم يتضعضع لقوة إيمانه، ولما حصلت الرِّدةُ وارتد العربُ بعد الرسول ﷺ، ثبتَ وصمَّم على قتالهم حتى أخضَعَهم لدين الله، هذا كله من قوةِ إيمانه رضي الله عنه، حتى وطَّد الله به الإسلام، ولما جهَّزَ النبيُّ ﷺ في آخر حياتِه جيشَ أسامة بن زيد رضي الله عنه، وقبل أن يغادِرَ الجيشُ المدينة توفي الرسول ﷺ، فقال الصحابةُ لأبي بكر: لا تجعل الجيش يذهب، اجعله عندَ المسلمين ينتفعون به، قال: واللهِ، لا أُحِلُّ لواءً عقدَه رسولُ الله ﷺ، فصمَّم على أن يمضي الجيشُ، فذهب الجيشُ بقيادة أسامةَ الشاب الصحابي الجليل، وما مر بحيٍّ من أحياء العربِ إلا وأصابهم الذلُّ لما رأوا الجيشَ، وقالوا: ما جاء هذا الجيش إلا من قوة، ولما علمتِ الرومُ بقدوم هذا الجيش انخذلوا ورجعوا على أعقابهم، ثم رجع الجيشُ غانماً سالماً، هذا من قوةِ إيمانِ أبي بكر رضي الله عنه وعزيمتِه وثباتِه[٢]، وهذا معنى قوله ﷺ: **(المؤمنُ القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ)**.

ثم قال ﷺ: **(احرصْ على ما ينفعك)** هذا فيه فعلُ الأسباب، وأن

---

(١) **يشير فضيلة الشيخ حفظه الله** إلى الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في مناقب عمر رضي الله عنه، برقم (٣٦٨٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٦) في كتاب فضائل الصحابة، في باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «... **والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك..**».

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب استتابة المرتدين. . .، باب قتل من أبى قبول الفرائض، برقم (٦٩٢٤)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، برقم (٢٠).

الإنسان يفعل الأسباب المباحَةَ، ولا يعجزُ ويتكاسل، ويجلس ويترك الأسباب (**احرِصْ**) زيادة تأكيد على أنك تحرصُ على ما ينفعك، فتعمل بالأسباب، بطلب الرزق، ولا تقتصرْ على السبب، بل استعنْ بالله ﷻ، مع فعلك للأسباب لا بد من التوكل على الله، تستعينُ بالله ﷻ ولا تعتمد على السبب الذي فعلته ولو كان السببُ قوياً، فلا تعتمدْ عليه، واستعن بالله.

(**ولا تعجَزْ**) هذا نهيٌ عن العجز الذي هو الخَوَرُ والضعفُ، ولهذا استعاذ **النبي ﷺ من العجزِ**، قال: «**اللهم إني أعوذُ بكَ من العجْزِ والكَسَل، والجُبْنِ والبُخلِ، وغَلَبةِ الدَّين، وقَهْرِ الرجالِ**»[1]، فالعجزُ الذي هو الكسلُ والخَوَرُ هذا منهي عنه، أما العجز الذي هو عدمُ الاستطاعة فهذا معفوٌّ عن صاحبه.

ثم بعد ذلك إذا فعلتَ السبب، وتركتَ العجزَ والخورَ، ولم يتحقق ويحصل ما أردت، وأصابك شيء تكرهه فلا تلومَنَّ نفسَك، ولا تجزع مما أصابك، ولا تقل: (**لو أني فعلتُ كذا كان كذا وكذا، بل قلْ: قَدَرُ الله وما شاءَ فعل**) أنت فعلتَ الأسباب ولم تقصِّر في شيء، وأما حصول النتيجةِ فهذا أمر من الله ﷻ، فإذا لم تحصلِ النتيجةُ فلا تحزن، ولا تعُدْ على نفسك باللوم (**لا تقلْ: لو أنّي فعلتُ كذا، كان كذا وكذا، ولكنْ قلْ: قَدَرُ اللهُ وما شاءَ فعلَ**) لو أنه مقدرٌ لي هذا الشيء حصل، ولكن لما لم يقدِّر الله تعالى لم يحصل، ولا يثنيكَ هذا عن مواصلة الطلب، بل استمرَّ في طلب الخير، وطلبِ الرزق، هذا سبيلُ أهل الإيمان فإنهم يبذلون الأسبابَ ويتوكلونَ على الله، ويستعيذون به، وإذا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، برقم (٢٨٩٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، برقم (٢٧٠٦).

لم يحصلْ لهم شيءٌ آمنوا بقضاء الله وقَدَرِه، واستمرُّوا في طلب الرزق وطلبِ الخيرِ، ولا ييأسون ولا يقنطون من رحمة الله ﷻ.

أما أهلُ النفاق وضعافُ الإيمان فهم إذا لم يحصل لهم مقصودُهم عادوا باللوم، وعادُوا بالتسخُّط كما قال المنافقون لما قُتل مَن قُتل في واقعة أُحد ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨]، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦]، كذا هذا عدمُ إيمان بالقضاء والقدر، وهذا إذا كانت (لو) تتضمن التسخط للقضاء والقدر، أما إذا كانت (لو) بمعنى التأسُّف على فوات الخير، فهذا لا بأس به، قال النبي ﷺ: **«لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لما سُقْتُ الهدي»**[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت»**، برقم (٧٢٢٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام...، برقم (١٢١١).

مَن تواضَعَ لله رفعه

٩ ـ وعن عياض بن حمارٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إليَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، ولا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ»(١). أخرجه مسلم.

الشَّرح

(إنَّ الله تعالى أوحى إليَّ) الوحيُ: هو الإعلامُ بسرعةٍ وخفاءٍ، ويكون ذلك بواسطةِ المَلَك وهو جبريلُ عليه الصلاة والسلام.

(أن تواضَعُوا) هذا أمرٌ من الله جل وعلا لعبادِه بالتواضع، والتواضعُ: هو عدم الكِبْر والترفعِ على الناس، وأن يرى أن له منزلةً فوقَ غيرِه من الناس، بل يرى أنه من سائرِ الناس أو من أقلِّهم، قد يكون غيرُه أفضلَ منه وهو لا يدري، فيتواضع ويتذكر أصلَه وأنه من تراب، وأنه مخلوقٌ من عدم.

ويتذكر أيضاً أنه لا ينال المنزلةَ عند الله إلا بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فيتذكر هذا ليلتزم بالتواضع، فالتواضع له أسباب منها: أن يتذكَّر الإنسانُ حالتَه، ويتذكَّرَ ضعفَه وفقرَه وحاجتَه إلى الله ﷻ.

(حتى لا يبغيَ أحدٌ على أحد، ولا يفخرَ أحدٌ على أحد) التواضع

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).

يُكسب الإنسانَ هاتين الصفتين العظيمتين: **أنه لا يبغي على الناس، والبغي: هو التعدي.**

ولا يفخرُ بنسبهِ أو بمالِهِ أو بجاههِ، لا يفتخرُ على الناس، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، الفخر والخُيلاء آفتان، **فإذا سلم الإنسانُ من هاتين الخصلتين الذميمتين: البغي على الناس، والتعدي عليهم في أنفسهم أو في أموالهم أو في أعراضهم، وأيضاً لا يفخر على الناس بمالِهِ أو بجاهه أو بعلمِه أو بنسبِه، دَلَّ هذا على أنه عنده تواضعٌ.**

فهذا الحديث فيه الأمرُ بالتواضعِ، وأن التواضعَ يُكسب الإنسانَ الكفَّ عن **العدوانِ على الناس**، والكفَّ عن **الافتخارِ على الناس**(١).

---

(١) قال الإمام ابن القيم ﷺ في كتاب الروح (٢/٦٥٨ ـ ٦٥٩): («والتواضع المحمود على نوعين:

أحدهما: تواضع العبد عند أمر الله امتثالاً وعند نهيه اجتناباً، فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره، فيبدو منها نوع إباء وشراد هرباً من العبودية، وتثبت عند نهيه طلباً للظفر بما منع منه، فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية.

النوع الثاني: تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالىٰ وتفرده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه، وتطامن لهيبته وأخبت لسلطانه، فهذا غايةُ التواضع وهو يستلزم الأول من غير عكس، والمتواضع حقيقة من رُزِق الأمرين، واللهُ المستعان»).

فضل الذبِّ عن عرض المسلم

١٠ ـ عن أبي الدَّرداءِ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بالغَيْبِ، رَدَّ الله عن وَجْهِهِ النَّارَ يوم الْقِيَامَةِ»(١).
أخرجه الترمذي وحسنه.

١١ ـ ولأحمد، من حديث أسماءَ بنتِ يزيد نحوه(٢).

الشَّرْحُ

(من ردَّ عن عرضِ أخيهِ بالغيبِ) يعني: في حال غَيبةِ أخيه، إذا حضر مجلساً يُذكرُ فيه أخوه المسلم بذنبٍ أو تنقُّص فإنه يُدافع عنه كما يدافع عن عرضِه؛ لأن عرضَ أخيه مثلُ عرضه، فيدافع عن عرضِ أخيه؛ بأن ينكر على المغتابين ويمنَعَهم من الاسترسال في عرض أخيه المسلم، ولا يستسلمُ ويسكت ويتركهم يغتابون، هذا هو واجبُ المسلم، ولا يجوز له أن يسكت ويسالم، فإنه يأثم بذلك ويكون شريكاً لهم في الإثم؛ لأنه رأى منكراً فلم يغيِّرْه وهو يقدرُ، فكيف إذا شاركهم بالفعل وجعل يغتابُ معهم، هذا أشدُّ.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذَّب عن عرض المسلم، برقم (١٩٣١)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٥٠)، قال العلامة عبد الله بن صالح الفوزان حفظه الله في كتابه «منحة العلام» (١٠/ ٣٥٠): «وليس عند الترمذي ولا أحمد لفظة (بالغيب)».

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٤٦١)، وصححه الألباني لشواهده في غاية المرام (٢٤٦) ولفظه: «**من ذبَّ عن لحم أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار**».

أما إذا ردَّ عن عرض أخيه، ومنعهم من غيبة أخيه، فإن الله جل وعلا يجَزِيه بأن يردَّ النار عن وجهه يوم القيامة، وهذا فضلٌ عظيم؛ لأنه في يوم القيامة تبرُزُ النار، قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] فيرونها، وقال جل وعلا: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، ويكون لها حرٌّ ولهيب، ولا يقي منها إلّا الأعمالُ الصالحة، **ينظر الإنسان عن يمينه فلا يرى إلّا ما قدّم، وينظرُ عن شماله فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أمامه، فلا يرى إلا النار**[1]، فعليه أن يستعد لهذا الموقف، ومن الاستعداد لهذا الموقف أن يكفَّ عن أعراض المسلمين وأن يدافع عنهم.

فهذا فيه الترغيبُ في الدفاع عن أعراض المسلمين التي تُنتهك في المجالس أو في الكتاباتِ، إذا رأيتَ من يكتبُ في مسلم وفي العلماء خاصةً، وفي ولاةِ أمور المسلمين، فعليك أن تدافع عنهم، هذا من الردِّ عن أعراض المسلمين[2].

---

(١) **يشير فضيلة الشيخ حفظه الله** إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (٢٣٤٨) في صحيحيهما عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة...»**.

(٢) **قال الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان** في «منحة العلام» (١٠/ ٣٥١): «... وهذا من مهمات الآداب وحقوق الإسلام التي يجب على حاضر مجلس الغيبة أن يتحلى به، وذلك لأن المغتاب ظالم لأخيه آكل لحمه، والواجب هو ردع الظالم ونصرة المظلوم...».

ثلاثُ خصال من مكارم الأخلاق

١٢ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ، وما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ الله»[(١)]. أخرجه مسلم.

الشَّرْح

هذه ثلاثُ خصال من مكارم الأخلاق، ذكرها النبيُّ ﷺ، كلُّ خصلةٍ يترتب عليها جزاءٌ حسنٌ وخيرٌ.

* (ما نقصَ مالٌ من صدقة) فإن الصدقة وإن نَقَصَتْ المالَ حِسّاً إلا أنها تزيده معنًى، تزيده بركةً، تزيده نماءً، تزيده طهارةً، بل ربما تزيده حساً في أن يوفقه الله للكسبِ الطيب ونموِّ المال، وكثرةِ المال.

فالصدقة فيها فضائل عظيمة؛ لأن بعض الناس يشحُّ بالمال، ويظن أن الصدقة تنقصُ ماله، ويقول: لو تصدقتُ على هذا وهذا فني ما عندي، ولا يدري أن الصدقة لا تأتي إلا بخير، فإن الله يكتبُ له الأجرَ والثواب، ويدفع عن مالهِ الآفاتِ والمتلفات، يحميه بالصدقةِ، ويباركُ فيه بسبب الصدقة، سواءً كانت الصدقةُ واجبةً كالزكاة، أو مستحبةً كالصدقة على المحتاجين وفي وجوه الخير.

ولهذا جاءت الآياتُ الكثيرة والأحاديث الكثيرةُ في الحث على

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٨٨).

الصدقة، وذمِّ البخلِ والشحِّ؛ لأن الصدقة فيها نفع متعدٍّ ينفع المحتاجينَ وينمِّي المشاريعَ الخيرية، وفيه إعانةٌ للناس في أمورهم، ففيها خير كثير، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

أما البخلُ فإنه على العكس، هو الذي ينقصُ المالَ، وينزعُ البركةَ منه، ويسلط عليه الآفات، فإذا بخل بالزكاة فإن الله يسلطُ على ماله التلفَ والهلاكَ.

* **(وما زادَ اللهُ عبداً بعفوٍ إلّا عزّاً)** ما عفا رجلٌ مِن مظلمة إلا زاده الله عزّاً، القصاصُ وأخذُ الحق جائزٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى]، ولكن العفوَ أحسنُ، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، تكفَّلَ اللهُ لك بالأجر، فما عفا رجل عن مظلمة يُظلَم بها إلّا زاده الله بها عزاً ورفعةً؛ لأن بعضَ الناس يظن أنه إذا لم ينتقم ولم يأخذْ بحقِّه أن هذه ذلة، في حين أن الواقع هو العكس، أنه إذا عفا زادَهُ الله بها عزّاً، عند الله وعند خلقه.

* **(وما تواضعَ أحدٌ لله إلا رفَعَهُ الله ﷻ)** هذا فيه فضلُ التواضع كما سبق، وأن التواضع ليس ذلةً، وإنما هو عزٌّ، بعض الناس يظنُّ أنه لا يرتفع إلا بالتكبر والخُيلاءِ في حينَ أن العكسَ هو الصحيح، التواضع هو الذي يعزُّ الله به الإنسانَ ويرفعه به.

من أسباب دخول الجنة

١٣ ـ وعن عبد الله بن سلام ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يا أيها الناسُ! أفشُوا السَّلامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وأطعِمُوا الطعامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةِ بِسَلامٍ»[1]. أخرجه الترمذي، وصحَّحه.

الشرح

(**عبد الله بن سلام** ﵁) كان من أحبارِ اليهودِ في المدينة، ومن علمائهم الكبار وهو من ذُرية يوسفَ بن يعقوبَ بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، فلما قدم النبيّ ﷺ إلى المدينةِ مهاجراً واجتمع الناسُ عليه، ذهب عبد الله بن سلام ينظرُ إلى هذا الرجل الذي جاء واجتمع عليه الناسُ، فلما رأى وجهَ الرسول ﷺ قال: عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب، وأولُ حديث سمعه هذا الحديث: (**أيها الناس! أفشوا السلام...**).

(**أفشُوا السلام**) انشُروا السلام بينكم، إذا مررتَ بأخيك فسلِّم عليه، وإذا سلَّم عليك فردَّ عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وإفشاء السلام ينشر المحبةَ بين الناس، قال ﷺ: «**لا تدخلون الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا،**

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ برقم (٢٤٨٥)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل، برقم (١٣٣٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤١٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٥٦٩)، وانظر: إرواء الغليل (٣/ ٢٣٩).

أوَ لا أدلُّكم على شيء إذا فعلتُموه تحاببتم؟ أفشُوا السلام بينكم»[١].

يورث السلامُ المحبةَ بين المسلمين، وتركُ السلامِ يورث الوَحْشَةَ، وهذا شيء تجده من نفسك، إذا مرَّ عليك أحدٌ وسلَّم عليك تجد ارتياحاً له ومحبةً، بينما لو مرَّ واحد ولم يسلِّم عليك وجدت نفرةً، ووجدتَ في نفسك عليه شيئاً من التشكك في أمره، وهذا شيء واضح، فدل على أن السلام له أهمية عظيمة، وفي الحديث: **«وتقرأ السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف»**[٢]، وهذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.

(أطعِموا الطعامَ) للمحتاجينَ والضيوف والجيران، هذا من الخصال الطيبة التي توجب دخولَ الجنة، وتجدون الذين يطعمون الطعام في المجتمع لهم ميزة، ولهم مكانة عند الناس، وتجدون أرزاقهم دارَّةً عليهم، وفي الحديث فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه: **«أنفِقْ أُنفِقْ عليكَ»**[٣]. وقد قال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر: **«لا توعي فيوعي اللهُ عليك»**[٤].

فمن أراد أن يدرَّ الله له الرزق فلينفق مما أتاه الله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، أما إذا أمسك فإن الله يمسكُ عنه، فإطعام الطعام له ميزةٌ عظيمة، خصوصاً

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم (٥٤).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، برقم (٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، برقم (٣٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، برقم (٤٦٨٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، برقم (٩٩٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة فيما استطاع، برقم (١٤٣٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء، برقم (١٠٢٩).

الذين على الطُّرقات، والذين في البر ويمرُّ بهم الضيوف والمحتاجون، فهؤلاء إذا أطعموا الطعام صارَ لهم فضلٌ عظيم، لاسيما في الأماكن التي فيها حاجة.

(صِلُوا الأرحامَ) الأرحام: جمع رَحِم، والمراد بهم: القرابةُ الذين يجتمعون معك لقرابةٍ من جهة الأم أو من جهة الأب.

من جهة الأم: **كالأخوالِ والخالاتِ والأجدادِ والجداتِ وأبناء الأخوال**، ومن جهة الأب: **كالإخوةِ والأخواتِ والأعمام، والعماتِ وأبناءِ الأعمام** إلى غير ذلك، هؤلاء هم الأرحامُ، يقول الله جل وعلا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١] أي: اتقوا الله واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد ورد في كثير من الآيات الأمرُ بصلة الأرحام، وفي آيات أخرى ورد الوعيدُ على من قطع رَحِمَه، قال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد]، وقال أيضاً: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، ومما أمر الله به أن يوصل الأرحام، الرحمُ له حق يأتي بعد حقِّ الوالدين، ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فصلة الأرحام هذه ميزةٌ عظيمةٌ، وهي سببٌ لدخول الجنة، وقطيعتُها سبب اللعنة والطردِ من رحمة الله ﷻ[(١)].

(صلُّوا بالليل) هذا يشملُ صلاة الفريضة: صلاةَ العشاء وصلاةَ الفجر، ويشمل قيامَ الليل؛ لأن الليل وقتٌ ينام فيه، فإذا قام يصلي فهذا

---

(١) كما قال النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من قطع رحماً أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت**»، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة، برقم (١١٢١).

دليلٌ على إيمانه حيثُ آثرَ الصلاة على النوم وعلى الراحة، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] مع أنهم **في حاجةٍ إلى النوم، وبحاجة إلى الدفءِ في الشتاءِ، ويكون بحاجةٍ إلى زوجته أيضاً**، فيترك ذلك كله ويقومُ للصلاة، صلاةِ الليل وصلاة الفريضة، هذا الذي يصلي بالليل والناسُ الكُسالَى نيامٌ على فُرُشهم، فرقٌ بين من هو نائم وبين من هو قائم يصلي، (**صلوا بالليل والناس نيام**) لا ينامُ مع الناس بل يقومُ، هذا دليلٌ على إيمانه وعلى رغبتِه في الخير.

من عملَ هذه الخصالَ الأربع: **أفشى السلامَ، وأطعمَ الطعامَ، ووصلَ الأرحامَ، وصلَّى بالليل والناسُ نيام، دخل الجنةَ بسلام**، كما قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحجر]، وقال: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤﴾ [ق] هذا جزاؤهم؛ لأن الجزاءَ من جنس العمل، وهذا جزاءٌ عظيم، ودخول الجنة ليس بعدَه مطمَعٌ، هو أعظمُ المطامع، وأعظمُ المطالب، وهو يسير على من يسَّره الله عليه.

والجنةُ لا يَعلمُ ما فيها من الخير والنعيم واللذةِ والسرورِ إلا الله ﷻ، ولا تتطلب منك سوى أعمال سهلة، كما قال ﷺ، لما قال له رجلٌ دُلَّني على عمل يُدخلُني الجنة، ويباعدني من النار، قال: «**لقد سألتَ عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسَّرَهُ الله عليه: تعبُدُ الله لا تشركُ به شيئاً...**»[1] إلى آخر الحديث.

فهذه الخصالُ عظيمة، وهذا الحديثُ حديث عظيم، وهو من مكارم الأخلاق؛ **لأن إفشاء السلام، وإطعامَ الطعام، وصلةَ الأرحام، هذه خصال يتعدى نفعُها إلى الناس، وأما صلاةُ الليل والناس نيام هذه نفعها يقتصرُ على صاحبها.**

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم (٤١٣).

الدِّين النصيحة

١٤ ـ وعن تميم الداريِّ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحةُ» ثلاثاً. قلنا: لمنَ هيَ يا رسولَ الله؟ قالَ ﷺ: «لله، ولِكِتَابِهِ، ولِرَسُولِهِ، ولأَئِمَّة المسلِمينَ وعامَّتِهم»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرْح

(**تميم الداري**) هو أبو رقيةَ بن أوسٍ الداري ﷺ، والداري نسبة إلى جدِّه دار، وقيل: الديري، تميمُ بن أوس الديري نسبة إلى الدَّير وهو معبدُ النصارى، كان نصرانياً ثم أسلَمَ وحَسُنَ إسلامه ﷺ.

(**الدينُ النصيحةُ**) الدين: مبتدأ، والنصيحة: خبر، وإذا عُرِّف المبتدأ والخبرُ هذا دليل على الحصْر، وقوله: (**الدينُ النصيحةُ**) هذا حصر، حصر الدين كلِّه في النصيحة.

والنصيحةُ في الأصل مأخوذة من نَصَحَ الشيء إذا خَلَصَ، والشيء الناصحُ هو الخالص من الغش والشَّوب، يُقال: لبن ناصحٌ، يعني خالٍ من الغش، فالنصيحةُ المراد بها الخلوُّ من الغش، فإذا سَلِمَ الإنسان من الغش كان ناصحاً، وهذا هو الدين كلُّه.

ولأهمية هذا الأمر لما حَصَرَ النبي ﷺ الدين في النصيحة أدرك الصحابةُ أهمية النصيحة، فسألوا النبي ﷺ، فقالوا: لِمَنْ يا رسولَ الله؟ قال ﷺ: «**لله، ولكتابِهِ، ولرسولِهِ، ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم**»، إذا كان

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٨).

المسلم ناصحاً في هذه الأمور كلِّها فقد استكمل الدينَ، وإذا نقصت نصيحتُه فيها نقصَ دينُه؛ لأن الدين النصيحة.

قلنا: لمن تكونُ النصيحةُ يا رسولَ الله؟ قال:

(لله) **كيفَ تكون ناصحاً لله؟** ما عندك غشٌّ في حق الله ﷻ، ذلك بأن تعبدَه حق عبادته، أن تؤمنَ بالله الإيمان الصادق، وتؤمنَ بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتؤمنَ بأن الله هو الخالق الرَّزاقُ المحيي المميتُ المدبِّر، وأن أحداً لا يرزقُ مع الله، ولا يخلق مع الله، وتعبدَ الله حقَّ عبادته ولا تعبدَ معه غيرَه، فإذا قلتَ: إنَّ أحداً يرزقُ ويخلق مع الله، لم تكن ناصحاً لله ﷻ، إذا عبدتَ مع الله غيرَه لم تكن ناصحاً لله ﷻ، بل تكونُ غاشاً فيما بينَك وبين الله، وإذا كنت تؤمنُ بأسمائه وصفاته فلا تجحدها وتنفيها كما فعلت **المُعطِّلة**، ولا تأولها وتحرِّفها عن مدلولها كما فعل **المُؤولة**، ولا تشبهها بصفات المخلوقين كما فعل **المُشبهة**، بل أثبتها كما جاءت لله ﷻ معتقداً أنها حقٌّ، وأنها لائقة بالله ﷻ، ولا تحرِّفها عن معانيها، بل اعتقد ما دلت عليه من صفات الله ﷻ، هذه هي النصيحةُ لله ﷻ، بأن تثبتَ له الربوبية والألوهيةَ والأسماءَ والصفاتِ، ولا تنقصَ شيئاً من ذلك، وهذا رأسُ الأمر، وهذا هو التوحيدُ، وهو الركنُ الأول من أركان الإسلام، هذا مما يوضِّحُ أن الدينَ هو النصيحةُ لله.

(**ولكتابِهِ**) الذي هو القرآنُ، النصيحةُ للقرآن: أن تعتقدَ أنه كلامُ الله منزَّلٌ غيرُ مخلوق، فالذي يقول: إنه مخلوقٌ، هذا لم ينصح لكتابِ الله ﷻ، وأيضاً عليك أن تتعلَّمه وتعلِّمَه[1]، وتنشره. ومن

---

(١) فائدة: عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من علَّم آية من كتاب الله ﷻ كان له ثوابها ما تُليت**»، حسنه العلّامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة، برقم (١٣٣٥): وقال: أخرجه أبو سهل القطان في «حديثه عن شيوخه...».

النصيحة لكتاب الله: تعلُّمُ معانيه وتدبرُه، لا يكفي أن تحفظه فقط، وتردد ألفاظه دون أن تفهمَ المعاني، هذا ليس من النصيحة لكتاب الله، بل لا بدَّ أن تعمل به، إذا قرأته وتلوته وتدبرته وعرفت معانيه، فلا بد أن تعمل بالقرآن.

ومن النصيحة للقرآن أن لا تفسره بغير الطرق الصحيحة للتفسير، بأن تفسره برأيك أو بقول فلان وعلان، أو تُؤوِّل القرآن على هواك، وتحرِّف الآيات من أجل أن توافق هواكَ أو مذهبك كما يفعل أهلُ الضلال، لا، هذا من الغش لكتاب الله، بل لا بد أن تفسرَ القرآن التفسيرَ الصحيح الموافقَ لمعناه الصحيح، ووجوهُ التفسير الصحيحة كما هي:

١ ـ تفسيرُ القرآن بالقرآن.

٢ ـ تفسيرُ القرآن بالسنة.

٣ ـ تفسيرُ القرآن بأقوال الصحابة.

٤ ـ تفسير القرآن بأقوالِ التابعين.

٥ ـ تفسيرُ القرآن بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها.

هذه وجوهُ التفسير الصحيح. فلا يفسرُ القرآن بالرأي، قال ﷺ: «**من قالَ في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»[1]، فيجب احترام القرآن وتعظيمُ القرآن، لأنه كلام رب العالمين.

تؤمنُ بأنه كلام الله، وأن الله تكلَّم به حقيقةً، ولا تعتقد فيه أنه من كلام البشر، أو من كلام جبريلَ أو من كلام محمد ﷺ، أو أنه مأخوذٌ

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، برقم (٢٩٥٠) و(٢٩٥١)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٦٩ و٢٩٣ و٣٢٣ و٣٢٧)، وضعفه الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم (١٧٨٣).

من اللوح المحفوظ مخلوقٌ كما تقوله الجهميةُ ومن أخذ بقولهم، أو أن المعنى من عند الله، واللفظ من عندِ الرسول كما تقولهُ الأشاعرةُ والماتريدية، هذه الأقوال كلها من الغش لكتاب الله ﷻ، بل يجب أن تعتقد أنه كلامُ الله ألفاظه ومعانيه كلها من عند الله، هذا هو النصحُ لكتاب الله ﷻ.

(ولرسوله) **النصيحةُ للرسول** ﷺ: أن تعترفَ برسالتِه عليه الصلاة والسلام، وتؤمنَ بها ظاهراً وباطناً، وتعتقدَ بقلبك أنه رسولُ الله حقاً، وتنطقَ بلسانكَ أنه رسولُ الله ﷺ، لا يكفي أنك تعتقد بقلبكَ ولا تنطق بلسانك، فالمشركون يعتقدون أنه رسولُ الله ولكن أبوا أن يشهدوا بألسنتهم تكبراً وعناداً، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

المنافقون يشهدون بألسنتهم، ولكن لا يعتقدون بقلوبهم، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون]، يشهدون أنه رسولُ الله لأجل أن تسلم لهم أموالهم، فلا بدَّ من الاعتراف برسالتِه ﷺ ظاهراً وباطناً، هذا من النصحِ لرسول الله ﷺ.

* **ومن النصح لرسولِ الله**: اتباعه، حتى لو أقرَّ بقلبه، وشهدَ بلسانه أنه رسولُ الله حقاً، ولكن لم يتَّبعه، فليسَ هذا من النصح لرسولِ الله، ولا يعتبر هذا من الإيمان برسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

عليك أن تقدِّمَ قولَ الرسول على قول كلِّ أحد، على رأيكَ أنتَ،

وعلى رأي شيخِكَ، وعلى رأي فلان وعلان، وعلى ما عليه أهلُ البلد من العاداتِ والسلوكِ، هذا من النصيحةِ لرسول الله ﷺ، أما الذي يقدمٌ قولَ غير الرسولِ ﷺ، على قول الرسول ﷺ، فهذا لم يشهد أنه رسولُ الله تماماً.

* كذلك من النصيحة لرسول الله ﷺ: احترامُ سُنَّة الرسول ﷺ، وأن لا يتكلم الإنسانُ فيها بتجريح أو تضعيف إلا عن علم، خلاف الذين يتسوَّرون الآن على السُّنَّة، وصاروا يتكلمون فيها بالتصحيح والتضعيف والتجريح من غير علم، بل هم متعالمون، ولا يحترمون سنةَ الرسول ﷺ، يتكلمون فيها بغير علم، فاحترم سنة الرسول ﷺ: أن تتوقف عن ما لا تعلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

* **ومن النصيحة لرسولِ الله ﷺ**: أنك إذا بلغك حديثٌ عن الرسول ﷺ، وجب عليك المبادرةُ إلى العمل به ولا تتأخر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

(**ولأئمة المسلمين**): وهم ولاةُ الأمور والعلماءُ، النصيحةُ لهم أن تحترمَهم؛ لأنهم أئمةُ المسلمين، سواءً كانوا أمواتاً أو أحياءً، تحترمُهم وتعظِّم من شأنهم، ولا تقع في أعراضهم، أو تتكلم فيهم، الغيبةُ محرمة على كل حال لأطراف الناس، فكيف بأئمة المسلمين؟! عليك أن تكف لسانَكَ عن أئمة المسلمين، هذا من النصيحة لهم، كذلك طاعتُهم في غير معصيةِ الله، قال ﷺ: «**من أطاعَ أميري فقد أطاعني، ومن عصَى أميري فقد عصَاني**»[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾، برقم (٧١٣٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (١٨٣٥).

والله جل وعلا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، فجعل طاعةَ ولاة الأمور تابعةً لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فلا يجوزُ الخروج عليهم، ولا يجوزُ سبُّهم، ولا يجوزُ تنقُّصهم؛ لأن هذا يسبب تفريقاً بين المسلمين، ويسبب الفصلَ بين الراعي والرعية، ويسببُ البغضاءَ في مجتمع المسلمين، فلا يجوزُ الكلام في ولاة الأمور في المجالس كما يفعل بعضُ الناس يظنُّ أن هذا من إنكار المنكر، هذا هو المنكر نفسه، إذا كان عندك ملاحظة أو عندك نصيحة لولي الأمر بلِّغها له، بأي وسيلة، أما إنك تتكلم فيه في المجالس فهذا منكر وليس نصيحة، هذا تشهيرٌ وتعيير وليس هو النصيحة، وليس هو إنكارُ المنكر، هذا هو المنكرُ نفسه، **فلا يجوز الكلام في ولاة الأمور من العلماءِ والأمراء**؛ لأن هذا يقلل من شأنهم عند الناس، ويوجب التفرُّق، ويوجب البغضاء بينهم[1].

وكذلك من النصح لأئمة المسلمين: أنهم إذا ولَّوكَ عمَلاً واستأمنوك على عمل وظيفي فإنه يجبُ عليك القيام به على الوجه المطلوب من غير محاباةٍ من غير تأخير، ومن غير أخذ رشوةٍ، هذا من النصيحةِ لولاة الأمور؛ لأنهم ائتمنوك على هذا العمل، وأسندوه إليكَ، وأعطوكَ بدله مالاً تتقاضاه[2].

ومن النصيحةِ لولاة الأمورِ: الدعاءُ لهم بالهداية والتوفيق؛ لأن

---

(١) قال العلامة ابن النحاس الدمشقي رحمه الله في كتابه: «تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين» ص (٥٨ ـ ٥٩): «إذا وقع المنكر من السلطان ليس لأحد منعه بالقهر والقوة ولا أن يشهر عليه سلاحاً، أو يجمع عليه أعواناً، لأن في ذلك تحريكاً للفتن، وتهييجاً للشر، وإذهاباً لهيبة السلطان من قلوب الرعية، وربما أدى ذلك إلى تجريئهم للخروج عليه وتخريب البلاد، وغير ذلك مما لا يخفى».

(٢) للمزيد من الفائدة: انظر كتاب «كيف يؤدي الموظف الأمانة» للشيخ العلامة المحدث عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله تعالى.

صلاحَهم صلاحاً للمسلمين، فتدعو لهم بالصلاحِ، وتدعو لهم بالتوفيق، وتدعو لهم بالاستقامةِ؛ لأن بعض الجهال يدعو عليهم، وهذا من الغشِّ لأئمة المسلمين، بل من الغشِّ للمسلمين عموماً، الدعاء على ولاة أمور المسلمين هذا من الغش، الواجبُ العكس أنك تدعو لهم بالصلاح والتوفيق والهدايةِ والتسديدِ[1].

---

(١) ومن هنا جاء اهتمام السلف بالدعاء للإمام وكان عمل المسلمين على ذلك، عن الفضيل بن عياض أنه قال: «لو أن لي دعوة مستجابة ما صيَّرتها إلا في الإمام..» أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩١)، وفي «السنة» للخلال (١/ ٨٣) عن حنبل ـ أن الإمام أحمد رحمه الله ـ قال عن إمام المسلمين: «وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق والتأييد في الليل والنهار وأرى ذلك واجباً عليّ».
وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «الروح» (٢/ ٧١٦): «.. **والفرق بين النَّصيحة والتأنيب**: أنَّ النصيحة إحسانٌ إلى من تنصحه بصورة الرحمةِ له، والشفقةِ عليه، والغَيْرةِ له. وعليه فهو إحسانٌ محضٌ يصدر عن رحمةٍ ورقَّةٍ ومُرادُ الناصح بها وجهُ الله ورضاه، والإحسانُ إلى خلقه، فيتلطَّفُ في بذلها غايةَ التلطُّف، ويحتمل أذى المنصوح ولائمته، ويعامله معاملةَ الطبيبِ العالمِ المشفقِ للمريض المُشبَعِ مرضاً، فهو يحتمل سوء خُلُقه وشراسته ونفرته، ويتلطَّف في وصول الدواء إليه بكل ممكنٍ. فهذا شأن الناصح»؟
وأما المؤنِّبُ، فهو رجلٌ قصدُه التعييرُ والإهانةُ، وذمُّ مَن يؤنِّبه، وشتمُه في صورة النُّصح. فهو يقول له: يا فاعل كذا وكذا، يا مستحقّاً للذمِّ والإهانة، وفي صورة ناصحٍ مُشفقٍ. وعلامة هذا أنه لو رأى مَن يحبُّه ويحسن إليه على مثل عمل هذا أو شرٌّ منه لم يعرض له، ولم يقل له شيئاً. ويطلبُ له وجوهَ المعاذير، فإن غُلِبَ قال: وأنَّى ضُمِنَتْ له العصمة؟ والإنسان عُرضة للخطأ، ومحاسنه أكثر من مساويه، والله غفورٌ رحيم، ونحو ذلك. فيا عجباً كيف كان هذا لمن يحبُّه دون من يبغضه؟ وكيف كان حظُّ ذلك منك التأنيبَ في صورة النُّصح، وحظُّ هذا منك رجاءَ العفو والمغفرة، وطلبَ وجوه المعاذير؟.
ومن الفروق بين الناصح والمؤنِّب: أنَّ الناصح لا يُعاديك إذا لم تقبل نصيحتَه، وقال: قد وقع أجري على الله، قبلتَ أو لم تقبل. ويدعو لكَ بظهر الغيب، ولا يذكر عيوبَك ويبثُّها في الناس. والمؤنِّبُ بضدِّ ذلك..».

(ولعامة المسلمين) النصيحة لعامة المسلمين لها مجالاتٌ كثيرةٌ: **تعليمُ الجاهل، تذكير الغافل، الأمرُ بالمعروف، النهيُ عن المنكر، الدعوةُ إلى الله ﷻ، التعاونُ على البر والتقوى**، هذا كلُّه من النصيحة لعامة المسلمين، وكذلك عند التعامل مع المسلمين عليك أن تكون ناصحاً، لا يكون عندك غشٌّ ولا خديعة ولا مكرٌ، تتعامل مع المسلمين كما تتعامل مع نفسك بالصدقِ والأمانةِ والثقةِ، لا تَخْدَعُ في البيع، لا تغش، لا تغرُّ الجاهل، لا تأكلُ أموال الناس بالباطل، هذا من النصيحة لعامة المسلمين.

على كل حالٍ هذا حديثٌ عظيم استقصى جميعَ أمور الدين، ولهذا قال ﷺ: «**الدينُ النصيحة**» فإذا توفرت النصيحةُ بهذه الوجوه المذكورة توفر الدينُ كاملاً، وصلحتِ العقيدةُ، وصلحَ اتباعُ الرسول ﷺ، وصلحَ طاعةُ ولاة أمور المسلمين وجمعُ الكلمة، وصلحَ المجتمعُ فيما بينه في التعامل والثقة بين المسلمين، إذا تمَّت هذه الأمور فهذا هو الدينُ وصَدَقَ رسول الله ﷺ حيث قال: «**الدين النصيحةُ**».

ما جاء في أن التقوى وحسن الخلق من أسباب دخول الجنة

١٥ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أكثَرُ ما يُدخِلُ الجنَّةَ تَقْوى الله وحُسْنُ الخُلُقِ»[١]. أخرجه الترمذي، وصحَّحه الحاكم.

الشَّرْح

الجنة لا تُدخَلُ إلا بسبب الأعمال الصالحةِ، قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فلا تُدخَلُ الجنة بدون عمل، الجنة غاليةٌ وعالية ولا تُدرَكُ بالأماني وإنما بالأعمالِ الصالحةِ، فهي سببٌ لدخول الجنة، قال ﷺ: **«لن يدخلَ أحدٌ منكم الجنةَ بعملِهِ»**، قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قال: **«ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمةٍ منه وفضل»**[٢].

أما دخولُ الجنة نفسُه فهو بفضل الله ورحمته ﷻ، ولكنَّ الله إنما يتفضلُ ويرحم أهلَ الإيمان وأهلَ العمل الصالح، فإذا أردت الجنةَ

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم (٢٠٠٤)، والحاكم (٤/ ٣٢٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩١)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٩٧٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم (٥٦٧٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، برقم (٢٨١٦).

فاعمل بالأسباب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

(**تقوى الله**): فيما بينَك وبين الله جل وعلا، بأن تعملَ بطاعته وتجتنبَ ما نهاك عنه مخلصاً لله في ذلك[١].

(**حسنُ الخُلُق**): هذا فيما بينَك وبين الناس، بالتعاملِ والمخالطةِ، فيكون معك خُلُقٌ حسنٌ، وسيأتي قريباً أن النبيَّ ﷺ دعا فقال: «**اللهمَّ فكما أحسنْتَ خلْقي فأحسنْ خُلُقي**».

فحُسن الخلق: هو البشاشةُ مع الناس، والسهولةُ مع الناس، والإقبال على الناس، وعدمُ الجفاء وعدمُ الكبر، وعدم الغلظة، هذا حسن الخلق، التسامحُ مع المتعامِلِين الذين تبيعُ وتشتري معهم، تكون سمحاً إذا بعتَ سمحاً إذا اشتريتَ، تتسامح في الدَّين في الاستيفاء، وفي الإسقاط، تُنْظِر المعسِرَ، وتتصدقُ على المحتاج، هذا من حُسن الخلق مع الناس، وقد قال ﷺ: «**اتق الله حيثما كنتَ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناس بخُلُقٍ حَسَن**»[٢].

فإذا توفر عند الإنسان هذان السببان، فإنه يدخل الجنة.

---

(١) **يشير فضيلة الشيخ حفظه الله** إلى قول طلق بن حبيب رحمه الله: «تقوى الله أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله..». أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٤).

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٩٧).

حُسن الخُلق مع الناس

١٦ ـ وعنه ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّكم لا تَسَعُونَ الناسَ بأموالِكُم، ولكنْ لِيَسَعْهُمْ منكُم بَسْطُ الوَجْهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ»[١].

أخرجه أبو يعلى، وصححه الحاكم.

الشَّرح

(**لا تَسَعونَ الناسَ بأموالكم**) الناس كثيرون، والمالُ قليل، مالُكَ لا يغطي كلَّ الناس، بل ولا قليلاً من الناس، ولكن هنا شيءٌ يغطي الناس ويشملُ الناس وهو حُسْنُ الخُلُق، وهذا سهلٌ عليك، بشاشةُ الوجه، وطلاقةُ الوجه، وحُسن الخُلُق مع الناس، تستطيعُ أن تتعامل مع الناس كلِّهم من بني آدم بحُسنِ الخُلُق[٢].

---

(١) أخرجه أبو يعلى (١١/ ٤٢٨ ـ الحديث رقم ٦٥٥٠) طبعة دار المأمون للتراث، والحاكم (١/ ١٢٤) واللفظ له. وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٥٨٨) تحقيق الشيخ نظر الفاريابي حفظه الله. وقال العلامة الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٦٦١): صحيح لغيره.

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «تهذيب السنن» ص (٢٣١١ ـ ٢٣١٣): «قال الترمذي (٢٠٠٥): قال عبد الله بن المبارك: «حُسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى».

وقال غيره: حُسن الخلق قسمان:

أحدهما: مع الله ﷻ، وهو أن يعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذراً، وكل ما يأتي من الله يوجب شكراً؛ فلا تزال شاكراً له، معتذراً إليه، سائراً إليه بين مطالعة منته، وشهود عيب نفسك وأعمالك.

والقسم الثاني: حُسن الخلق مع الناس، وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً =

المؤمن مرآة أخيه

١٧ ـ وعنه ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ»[١]. أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

= وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً.

وهذا إنما يقوم على أركان خمسة: العلم، والجود، والصبر، وطيب العود، وصحة الإسلام.

أما العلم: فلأنه به يعرف معالي الأخلاق وسفسافها، فيمكنه أن يتصف بهذا ويتحلى به، ويترك هذا ويتخلى عنه.

وأما الجود: فسماحة نفسه وبذلها وانقيادها لذلك، إذا أراده منها.

وأما الصبر: فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائها، لم يتهيأ له.

وأما طيب العود: فأن يكون الله تعالى خلقه على طبيعة منقادة سهلة القياد، سريعة الاستجابة لداعي الخيرات.

والطبائع ثلاثة: طبيعة: حجرية صلبة قاسية لا تلين ولا تنقاد. وطبيعة: مائية هوائية سريعة الانقياد، مستجيبة لكل داع؛ كالغصن أيُّ نسيم مر يعطفه.

وهاتان منحرفتان، الأولى: لا تقبل، والثانية: لا تحفظ.

وطبيعة قد جمعت اللين والصلابة والصفاء، فهي تقبل بلينها، وتحفظ بصلابتها، وتدرك حقائق الأمور بصفائها، فهذه الطبيعة الكاملة التي ينشأ عنها كل خلق صحيح.

وأما صحة الإسلام: فهو جماع ذلك والمصحح لكل خلق حسن، فإنه بحسب قوة إيمانه وتصديقه بالجزاء وحسن موعود الله وثوابه؛ يسهل عليه تحمل ذلك، ويلذّ له الاتصاف به. والله الموفق المعين».

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة، برقم (٤٩١٨)، وحسنه الألباني ﷺ في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٩٢٦).

الشَّرْح

(المؤمنُ مرآةُ المؤمن) المرآةُ: هي التي تُريكَ صورتَكَ إذا وقفتَ أمامها، سواءً كانت صورةً حسنة، أو صورة تحتاج إلى إصلاح وتعديل، الإنسانُ إذا أراد أن يخرج يقفُ أمام المرآة[1]، ربما يكونُ فيه شيءٌ يحتاج إلى تحسين أو إزالةٍ، يعدِّلُ نفسه يعدِّلُ ملابسه، هذا شيء طيبٌ، أن يظهر الإنسان على الناس بمظهرٍ طيبٍ وحسنٍ.

ولكن هناك مرآة معنوية تُريكَ معائبكَ، وهي أخوكَ المسلم، فالمؤمن مرآةُ أخيه، فأخوك يعرفُ ما عندك من الخطأ ومن النقصِ، ومن المكملات فهو يشير عليك ويرشدك، فاقبل منه.

هذا فيه الحث على أن تقبلَ من أخيك ما يرشدُك إليه من تجميل الصورة الظاهرةِ والصورةِ الباطنة، وأنه يرى منكَ ما لا تراهُ أنتَ من نفسك، قد يرى الإنسانُ أنه كاملٌ، وأنه ما عنده أخطاءٌ، ولا عندَه شيء، بينما أخوه الناصحُ يرى عندَه أخطاءً ونقصاً، فيرشدُه إليها، فلا تقتصرْ على نفسكَ ورأيكَ، شاور أخاكَ، اسمعْ منه إذا أبدى لك نصيحةً.

فهذا فيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن الإنسان يقبلُ النصيحةَ من أخيه فيما يرى عليه من عيوبٍ، فيعدِّله.

المسألة الثانية: أنه يجبُ على المسلم أن ينصحَ أخاه ولا يسكت على ما يرى عليه من نقائصَ وعيوبٍ، أو بالعكس قد يمدحُه وينافقُ عنده بغير الصحيح، هذا غشٌّ، (**المؤمنُ مرآة أخيه**) يرى فيه صورتَه، وما يحتاجُ إلى تكميل وإلى تعديل.

---

(١) قال الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٤٤٨): «قال الطيبي... وقيل معناه: كن لأخيك كالمرآة تريه محاسن أحواله وتبعثه على الشكر وتمنعه عن الكبر وتريه قبائح أموره بلين في خفية تنصحه ولا تفضحه..».

فضل المخالطة وترك العزلة

١٨ ـ وعن ابن عمر ﵄ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «المؤمنُ الذي يخالِطُ الناسَ ويصبرُ على أذاهم، خيرٌ من الذي لا يخالطُ الناسَ ولا يصبرُ على أذاهُم»[١]. أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن، وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسمِّ الصحابي.

الشَّرْح

(**لم يسمِّ الصحابي**) لا تضر جهالةُ الصحابي، الصحابةُ كلهم عدول، ولو لم يسمَّ، فإن هذا لا يضرُّ في الحديث.

وهذا الحديث فيه الكلامُ على العزلة والخلطة مع الناس، الإنسان كما يُقال: اجتماعيٌ بالطبع، لا يستطيع أن يعيش وحدَه، لا يعيش إلا مع الناس، يحتاجُ إلى الناس، والناسُ يحتاجون إليه، لا يستطيع أن يستقل بنفسه أبداً، ولكن إذا كان هناك في المجتمع سوءٌ، أو مَن تخالُطهم عندهم سوء، فهل من المستحسن أن تعتزلهم أم من المستحسن أن تخالطهم؟

فصَّل الرسولُ ﷺ في هذا الحديث، (**المؤمنُ الذي يخالطُ الناس، ويصبُر على أذاهم**) ويصبرُ على أذاهم بهذا الشرط (**خيرٌ من الذي لا**

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، برقم (٢٥٠٧)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم (٤٠٣٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣) و(٥/ ٣٦٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٩٣٩).

يخالطُ الناس، ولا يصبرُ على أذاهم) مخالطتُك للناس إذا ترتَّب عليها إصلاحٌ، دعوةٌ إلى الله ﷻ، تعليمُ الخير، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهذه خلطةٌ لا بد منها، هذه خلطةُ إصلاح، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

فالذي يخالط الناس ويُصلحُ ويدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويعلِّم الجاهلَ، ويساعدُ المحتاج، ويصلح بينَ الناس، هذا خيرٌ من الذي ينعزلُ، الذي ينعزلُ يسلَمُ من شر الناس، ولكنَّ الذي خالطهم وصَبَرَ على أذاهم هذا خيرٌ منه، فهذا فيه التفصيلُ في الخلطةِ والعزلةِ، **إذا كانت الخلطةُ يترتبِ عليها خيرٌ فهي أفضل من العزلة، أما إذا كانت الخلطةُ يترتب عليها العكسُ أن يتأثر الإنسان بأهل الشر، ولا يؤثر، فالعزلةُ خير من الخلطة التي يترتب عليها شرٌّ.**

كان النبي ﷺ أكمل الناس خَلقاً وخُلقاً

١٩ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «اللَّهمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقي، فحسِّنْ خُلُقي»[1]. رواه أحمد، وصححه ابن حبان.

الشَّرْح

قلنا: إن الإنسان يتكون من صورتين:

الصورةُ الظاهرةُ: وهي الجسم، **والصورة الباطنة:** وهي الخُلُق.

الصورة الأولى يقال لها: الخَلْق، والثانية يُقال لها: الخُلُق، بضم الخاء واللام.

فالإنسان يتكون من هاتين الصورتين، من الناس منْ صورتُه سيئةٌ وخلُقه سيئ، هذا أقبحُ الناس، ومن الناس من صورتُه الظاهرةُ سيئةٌ، هو سيئ المنظر ما يراه الناسُ شيئاً، لكنَّ صورته الباطنةَ طيبةٌ، هذا طيبٌ أيضاً، ولا يضره قبحُ المظهر إذا كان المَخْبرُ حسناً، ومن الناس العكسُ، من صورته الظاهرة حسنةٌ، وصورته الباطنةُ قبيحة، وهذا كالمنافق والعياذ بالله، وهذا قبيح، والنبي ﷺ دعا بالأمرين الأولين حسن الصورة الظاهرة، وحسن الصورة الباطنة فقال: (**اللهمَّ كما حسَّنت خلقي فحسِّن خُلُقي**)، وكان ﷺ أكملَ الناس خَلْقاً وخُلُقاً.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/٤٠٣) بلفظ: «**اللهم أحسنت خَلقي، فأحسن خُلقي**»، وابن حبان برقم (٩٥٥)، ولفظه: «**اللهم حسنت خلقي فحسِّن خُلقي**»، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/٢٨٨) وإرواء الغليل، برقم (٧٤).

وهذا فيه الاقتداء بالرسول ﷺ(١)، وأن المسلم يدعو الله بهذا الدعاء، ولا يكمِّلُ نفسه، ويقول: أنا كامل وليس عندي نقصٌ، بل يلجأُ إلى الله في أن يحسِّن صورتَه الظاهرةَ وصورتَه الباطنة، والله تعالى أعلم.

***

(١) قال الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الله في كتابه «الأخلاق والسير» ص (٩١): «من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتدِ بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسِيَرهُ ما أمكنه، أعاننا الله على الاتِّساء به، بمَنِّه، آمين».

باب الذكر والدعاء

هذا الباب هو ختام الكتاب، وهو باب (**الذِّكر والدعاء**).

وذكر الله ﷻ يكونُ باللسان، ويكونُ بالقلب، ويكونُ بالعمل.

باللسان: كالتسبيح والتهليلِ والتكبيرِ وتلاوةِ القرآن وغيرِ ذلك.

وبالقلبِ: وهو التفكيرُ في نِعَم الله ﷻ، والثناءُ على الله، واعتقادُ أن هذه المخلوقات، وهذه النعم كلها دالةٌ على عظمة الله ﷺ، وعلى فضله وإحسانه على عباده فيتفكر فيها.

ويكون الذكر أيضاً بالجوارح، وذلك بالصلاةِ والركوعِ والسجود والجهادِ في سبيل الله، ويكون بالصيامِ وبجميع أنواع العبادات البدنية، ويكون بالعبادات المالية أيضاً كالصدقةِ والزكاةِ. وذكرُ الله شاملٌ لجميع أنواع العبادات، كل العبادات ذكرٌ لله ﷻ.

وأما الدعاءُ فهو على قسمين:

دعاءُ العبادة: وهو الثناءُ على الله بأسمائه وصفاتِه وآلائه.

ودعاءُ مسألة: وهو طلبُ الحوائج من الله ﷻ، فالعبدُ محتاج إلى الله في كلِّ لحظة، لا غنِى له عن الله طَرْفَةَ عين، فهو بحاجة إلى الدعاءِ بأن يطلب من الله كلَّ ما يحتاجه من الهدى والرشاد والأرزاق، ومن العافية، ومن المعرفة، فيطلبُ من الله كلَّ ما يحتاجه، وهو محتاجٌ إلى الله في كلِّ أحواله، فلا غنى له عن الدعاء.

والدعاءُ عبادة عظيمة، كما يأتي أن الدعاءَ هو العبادة، قد أمرَ الله تعالى بِهِ في آيات كثيرة، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالدعاء عبادة عظيمة، والعبد بحاجة إليه ليرفع حوائجه إلى الله ﷻ في كل لحظةٍ وفي كل حين، وهو سمةُ الأنبياء والمرسلين كما ذكر الله ذلك في كتابه عن أنبيائه أنهم يدعونَه ويتضرَّعون إليه، ويطلبون منه حوائجهم، فلا أحد يستغني عن الدعاء.

---

(١) قال القاضي عياض ﷺ: «أذن الله في دعائه وعلَّم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلَّم النبي ﷺ الدعاء لأُمته واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام، فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها من الاقتداء بالنبي ﷺ». انظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان (١/ ١٧).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وينبغي للخَلق أن يدعوا بالأدعية الشرعية التي جاء بها الكتاب والسُّنة، فإن ذلك لا ريب في فضله وحُسنه وأنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً» مجموع الفتاوى (١/ ٣٤٦).

معيَّةُ الله للمؤمن معيَّة خاصة

١ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يقولُ الله تعالى: أَنَا مَعَ عَبْدِي ما ذَكَرَني، وتحرَّكَتْ بي شَفَتَاهُ»[١]. أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان، وذكره البخاري معلقاً.

الشَّرْحُ

قال الله تعالى: (أنا مع عبدي) هذا فيه المعيَّةُ الخاصة؛ لأن الله مع عبادِهِ كلهم المؤمن والكافر، معية إحاطةٍ وعلم، وهو مع عبادِهِ المؤمنين معيةً خاصةً لقربه منهم، وإعانته لهم، وحفظه لهم، هذه معية خاصة، ومنها ما ذكر في هذا الحديث أن الله مع عبدِهِ معيةً خاصة إذا ذكره، ما تحركتْ به شفتاه، فهذا فيه فضلُ الذكر باللسان، وفي الحديث أن الله ﷻ يقول: «... **وأنا معه إذا ذَكَرني، فإن ذَكَرَني في نفسه، ذكرتُه في نَفْسي، وإن ذكرني في ملأ** (يعني في جماعة) **ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهم...**»[٢]، يعني الملائكة؛ لأن الجزاءَ من جنس العمل.

---

(١) علّقه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، ووصله في (خلق أفعال العباد)، برقم (٤٣٦)، ورواه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم (٣٧٩٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٤٠)، بلفظ: «إن الله ﷻ يقول: «**أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه**»».

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، برقم (٢٦٧٥).

والله جل وعلا يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فمن ذكر الله ذكره الله ﷻ، ومن أعرض عن الله أعرضَ الله عنه.

فهذا فيه أن المسلمَ ينبغي له أن يكون ذاكراً لله دائماً وأبداً، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف]، لا يغفل الإنسان عن ذكر الله ﷻ.

وقال سبحانه: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[1] [الكهف].

---

(١) قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله كما في كتاب «فقه الأدعية والأذكار» للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (١/٨):

فذِكر إلهِ العَرشِ سِرًّا ومعلناً   يُزيلُ الشَّقَا والهَمَّ عنك ويَطردُ
ويجلبُ للخيرات دنيا وآجلاً   وإنْ يأتك الوَسواسُ يوماً يُشَرَّدُ
فقد أخبرَ المختارُ يوماً لصحبِه   بأنَّ كثيرَ الذِّكرِ في السَّبق مُفرِدُ
ووَصَّى معاذاً يَستَعين إلهه   على ذكرِه والشكر بالحسن يعبدُ
وأوصى لشخصٍ قد أتى لنصيحةٍ   وقد كان في حمل الشرائعِ يَجْهَدُ
بأن لا يزالَ رطباً لسانُك هذه   تُعينُ على كلِّ الأمورِ وتُسعِدُ
وأخبَرَ أنَّ الذِّكرَ غَرسٌ لأهلِه   بجنَّاتِ عَدن والمساكنُ تُمْهَدُ
وأخبَر أنَّ الله يذكرُ عبدَه   ومَعْهُ على كلِّ الأمورِ يُسَدِّدُ
وأخبرَ أنَّ الذِّكرَ يبقى بجنَّة   ويَنقطعُ التَّكليفُ حينَ يُخلَّدُوا
ولو لَم يكنْ في ذِكره غيرُ أنَّه   طريقٌ إلى حبِّ الإلَه ومُرشِدُ
ويَنهى الفتَى عن غِيبةٍ ونَميمةٍ   وعن كلِّ قولٍ للدِّيانَةِ مُفسِدُ
لكان لنَا حظٌّ عظيمٌ ورغبةٌ   بكثرةِ ذكرِ الله نِعمَ المُوحِّدُ
ولكنَّنا من جَهلنا قلَّ ذِكرُنا   كما قلَّ منَّا للإلَه التَّعبُّدُ

ذكرُ الله سبب في نجاة العبد من المهالك

٢ ـ وعن معاذِ بن جَبَلٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما عَمِلَ ابنُ آدمَ عَمَلاً أَنْجَى له من عَذَابِ اللهِ من ذِكْرِ اللهِ»(١). أخرجه ابنُ أبي شيبة، والطبراني بإسناد حسن.

الشَّرْحُ

هذا فيه أن الذكرَ يسمَّى عَمَلاً، وأنه أعظمُ الأعمال، فالذكر سببٌ في نجاة العبدِ من المهالك في الدنيا والآخرة، فمن لَهَجَ بذكر الله ﷻ فإن الله يُنجيه من كل كربٍ، ولهذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا وقعوا في ضيقٍ أو في كَرْبٍ وشدةٍ يذكرون الله ﷻ(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، برقم (٣٣٧٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٦٣٩)، وابن أبي شيبة في المصنف، برقم (٣٠٠٦٥) و(٣٦١٩٤) طبعة دار القبلة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (٥٦٤٤).

(٢) كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

وقال جلَّت عظمته: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر].

فضل مجالس الذكر

٣ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ اللهَ فيه، إلا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١). أخرجه مسلم.

الشَّرْح

هذا فيه فضلُ مجالس الذكر التي يُذكَرُ الله فيها بالتسبيح والتهليلِ والتكبيرِ والاستغفارِ والتوبة، فإذا جلس المسلمون يذكرون الله في المساجدِ أو في غيرها من حِلَق الذكر، فإنهم يستفيدون هذه الفوائدَ العظيمة: أنها تحفُّهم الملائكة؛ لأن هناك ملائكةً سيَّاحينَ يتتبعون حِلَقَ الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله جلسوا معهم وحفُّوا بهم، فالملائكة تقرُبُ من ذكر الله، ومن العبد إذا ذَكَرَ الله، والشياطين تنفِرُ من ذكر الله ﷻ، وذكرُ الله يسبب حضورَ الملائكة مع العبد، ومجالسةَ الملائكة له، والغفلةُ عن ذكر الله، يجلبُ له الشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

(**حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة**) تتنزلُ عليهم الرحمة وتعمُّهم رحمة الله، وأعظمُ من ذلك أن الله يذكرهم فيمن عنده، وهم الملائكة،

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم (٣٧٩١) واللفظ له. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله (١/ ١٥٧) حديث رقم (٧٥)، وصحيح سنن أبي داود له، برقم (١٣٠٨).

فيذكرُ الله عبادَه المؤمنين الذين يذكرونه في الأرض، يذكرُهم الله في السماء عند الملائكة المقربين، وهذا فيه فضلُ الذكرِ لله ﷻ، والاجتماعِ عليه، وليس معنى ذلك ما يفعله الصوفيةُ من الذكر الجماعي، والألفاظ المبتدعة، وإنما هو الذكر الواردُ في كتاب الله وسنة رسوله، وكلٌّ واحد يذكر الله في نفسه منفرداً عن الآخرين، أما الذكرُ الجماعي فهو بدعة[1].

---

(١) سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن يقول: أنا أعتقد أن من أحدث شيئاً من الأذكار غير ما شرعه رسول الله ﷺ وصرح عنه أنه قد أساء وأخطأ إذ لو ارتضى أن يكون رسول الله ﷺ نبيه وإمامه ودليله لاكتفى بما صح عنه من الأذكار، فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل وتزيين من الشيطان وخلاف للسنة إذ الرسول لم يترك خيراً إلا دلنا عليه وشرعه لنا، ولم يدخر الله عنه خيراً بدليل إعطائه خير الدنيا والآخرة، إذ هو أكرم الخلق على الله، فهل الأمر كذلك أم لا؟

فأجاب: «الحمد لله لا ريب إن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحرَّاه المتحري من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً وقد يكون مكروهاً وقد يكون فيه شركٌ مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن به الله بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب؟

وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي، فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية، **ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد**» مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥١٠ ـ ٥١١).

المجالس التي تخلو من ذكر الله حسرة على أصحابها

٤ ـ وعنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لم يَذْكُرُوا اللهَ، وَلم يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إلا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١]. أخرجه الترمذي: وقال حسن.

الشَّرح

هذا فيه أنه ينبغي أن تُعمَّرَ المجالسُ بذكر الله، وأن لا تخلو من ذكرِ الله ﷻ، والصلاة على النبي ﷺ، فذكرُ الله حقٌّ لله على عباده، والصلاةُ على النبي ﷺ حقٌّ للنبي ﷺ على المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ففيه أن المجالس التي تخلو من ذكر الله تكون حسرةً على أصحابها.

وفي الرواية الأخرى: «**إلا كان عليهم ترةً**» يعني نقصاً، فينبغي أن لا تخلو المجالسُ من ذكر الله ﷻ، ويشتغل أهلُها بالقيل والقال والغفلةِ عن ذكر الله[٢].

---

(١) رواه الترمذي وحسَّنه في كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم (٣٣٨٠)، بلفظ: «**ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يُصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**». وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٩٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٧٤)، و(٧٦).

(٢) وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة**» رواه أبو داود برقم (٤٨٥٥)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٩)، والحاكم (١/ ٤٩٢).

فضل التهليل عشر مرات

٥ ـ وعن أبي أيوبَ الأنصاريِّ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كان كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ من وَلَدِ إسماعيل»[١]. متفق عليه.

الشَّرْحُ

وهذا الحديث فيه بيانُ نوعٍ من أنواع الذكر، وهو قول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قدير) يكررها عشر مرات، ويكون ثوابها يعادلُ ثواب من أعتق أربعةً من ولد إسماعيل، أربعةَ رقاب، والعتقُ معروف فضلُه وثوابه، ولا سيما إذا كانت الرقبة المعتَقَةُ نفيسةً: (ومن ولدِ إسماعيل) يعني من العَرَب؛ لأن العرب ولدُ إسماعيل عليه السلام.

فهذا فيه فضلُ هذه الكلمات (لا إله إلا الله) هذه كلمةُ التوحيد، ومعناها: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، فهي نفيٌ وإثبات، نفي للعبوديةِ والألوهيةِ لغير الله، وإبطالٌ لعبودية غير الله، وإثباتٌ للعبودية لله ﷻ، فهي كلمة التوحيد، وقوله: (لا شريك له) تأكيد (وحده) هذا تأكيد

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم (٦٤٠٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٣).

للإثبات في آخر الكلمة، **(لا شريك له)** هذا تأكيدٌ للنفي في أول الكلمة؛ لأن أولها نفيٌ وآخرها إثبات.

(له الملك) مُلْكُ السماوات والأرض، لا أحدَ يشارك الله جل وعلا في ملكه **(وله الحمد)** وهو الثناء؛ لأن النِّعَمَ كلَّها من الله جل وعلا، فهو الذي يستحقُّ الحمدَ المطلق، وكلُّ الحمد له ﷻ **(وهو على كلِّ شيء قدير)** اعترافٌ بقدرة الله وأنها شاملة لكل شيء، وأن الله لا يُعجزه شيءٌ في الأرض أو في السماء، إذا أراد شيئاً فإنما يقولُ له كن فيكون.

(عشر مرات) ففيه فضلُ تكرار هذا الذكر عشرَ مرات.

وفي الحديث أنه يجوزُ استرقاق العرب، هذا من أدلة القائلين بأن الاسترقاقَ ليس خاصّاً باليهود والنصارى وأهل الكتاب، بل يعمُّ كلَّ كافر، إذا استولى المسلمون عليه بالحرب فإنه يُسترَقُّ، لما أبى أن يعبد الله ﷻ، عاقبه الله فجعله رقيقاً مملوكاً للمخلوقين، عقوبةً له.

كما عرَّف العلماءُ الرق: **بأنه عجزٌ حُكميٌّ سببهُ الكفر**، فلمَّا كفرَ بالله، وأبى أن يدخلَ في دين الله، والله خلقه لعبادتِهِ فعبَدَ غيرَ الله، ضرب الله عليه الرقَّ عقوبة له، ولا يرتفع عنه الرقُّ إلا بالعتق، وهذا فيه ردٌّ على الذين ينكرون الرق من الكفرةِ ومن تأثر بهم من الكُتَّاب الجهال، وهذا حكمٌ شرعي لا يجوز الشك فيه أو التردد فيه.

❊ ❊ ❊

فضل التسبيح

٦ - وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عنه خَطَايَاهُ، وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١). متفق عليه.

الشَّرح

(**حُطَّتْ خطاياه**) يعني غُفرت عنه ذنوبه وإن كانت كثيرةً مثل زبد البحر، فإذا قال العبدُ هذه الكلمة (**سبحان الله وبحمده**) وكررها مئةَ مرة، غفَرَ الله له جميع الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] ولا يُعجزه شيءٌ سبحانه، لا يستكثر شيئاً يعطيه جل وعلا؛ لأنه غنيٌّ حميد، غني كريم، يُعطي بلا حساب وبلا حصرٍ، ويغفر جميعَ الذنوب لمن تاب إلى الله ﷻ.

فإذا قال العبد هذه الكلمةَ غُفرت له ذنوبُه، وهذا كغيره من الأحاديث التي فيها التكفيرُ للذنوب، وأن هذا خاصٌّ بالصغائر، أما الذنوب الكبائر فلا بد من التوبة، قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وقال النبي ﷺ: «**الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، كفارةٌ**

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، برقم (٦٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩١).

لما بينهنَّ إذا اجتُنِبَتْ الكبائر»[١]، فالتكفير خاصٌّ بالصغائر، وأما الكبائر فلا تُكفَّر إلا بالتوبة منها، وإن كانت مثلَ زَبَد البحر.

ومعنى **(سبحان الله)** تنزيهُه، التسبيح: هو التنزيهُ، أي أنزِّهُ الله جل وعلا عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب، أنزهُهُ عن الشريك، وأنزهُه عن الولد، وعن الزوجة كما يقوله المشركون والنصارى، وأنزهُه عن كل نقصٍ وعيبٍ، وننزهه عن ما يقوله المعطِّلة من نفي أسمائهِ وصفاتِه، ونثبتُ له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات؛ لأنها كمالٌ لله ﷻ.

(وبحمدِهِ) الحمدُ: هو الثناء على الله بنعمِهِ ﷻ.

فهذا الحديثُ جمع بين نوعين من أنواع الذكر: **التسبيح والحمد لله** ﷻ[٢]، فأنت تسبحُ الله وتحمدُه على نعمه وآلائه.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفِّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، برقم (٢٣٣).

(٢) روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، برقم (٢٧٣١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده**».

* وروى الإمام مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه**».

من فضائل التسبيح والتحميد

٧ ـ وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ: لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرْحُ

(جويريةُ بنت الحارث) الهلاليةُ أم المؤمنين رضي الله عنها، زوجُ النبي ﷺ، كانت جالسةً تذكر الله عز وجل، وعندها حصًى تعدُّ به التسبيح والتهليل، دخل عليها النبي ﷺ وأخبرها أنه قال أربعَ كلمات تعدلُ ما قالته في جميع اليوم **(أربع كلمات)** لا شكَّ أنها في مجلسها هذا الطويل قالت ذكراً كثيراً، ولكنَّ أربع كلمات تعدل ما قالته في هذا اليوم وهي: **(سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته)**.

(سبحان الله وبحمده) الذي ذُكر في الحديث الذي قبله، أن مَن قالها مئةَ مرة حُطَّتْ عنه خطاياه.

(عدد خلقه) عدد ما خَلَقَ الله جل وعلا في السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات تُسبحه، وتحمده ومن يُحصي مخلوقات الله عز وجل؟

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، برقم (٢٧٢٦).

(ورضا نفسه) حتى يرضى الله ﷻ، فهذا فيه وصفُ الله جل وعلا بالرِّضا، وأنه يُرضيه التسبيحُ والذكرُ، وهذا فيه فضلُ هذا الذكر؛ لأنه يكسبُ العبد أن الله يرضى عنه ﷻ.

(وزِنَةَ عرشِهِ) العرش: هو أعظمُ المخلوقات وأعلى المخلوقات، والله جل وعلا مستوياً على العرشِ فوقَ مخلوقاتِه، فالعرشُ هو أعظمها، **(زنةَ عرشه)** أي: سبحان الله وبحمده زنةَ عرشه، وماذا يوازن العرشَ على كبره وضخامته وعظمته؟ فهذه الكلمة تعدل زنةَ العرش من فضلها وعظمتها[1].

(ومدادَ كلماتِه) المدادُ: هو الحِبرُ الذي يُكتب به، **وكلماتُ الله**: كلامُ الله جل وعلا، لا يعلمُه إلا هو، ولا يحصيه إلا هو، لأنه يتكلم

---

(١) قال الإمام ابن القيم ﷺ: في المنار المنيف ص(١٨ ـ ١٩): «وقوله: وزنة عرشه فيه إثبات العرش وإضافته إلى الرب ﷻ، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيءٌ أثقل منه لوزن به التسبيح، وهذا يرد على من يقول: إن العرش ليس بثقيل ولا خفيف، وهذا لم يعرف العرش ولا قدَّره حق قدره.
فالتضعيف **الأول**: للعدد والكمية.
والثاني: للصفة والكيفية.
والثالث: للعظم والثقل وكبر المقدار.
وقوله: **(ومداد كلماته)**، هذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها، فإن مداد كلماته سبحانه لا نهاية لقدره ولا لصفته ولا لعدده، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان]، ومعنى هذا أنه لو فُرض البحر مداداً وبعده سبعة أبحُر تمده كلها مداداً وجميع أشجار الأرض أقلاماً، والأقلام تستمد من ذلك المداد، فتفنى البحار والأقلام وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفد.
(فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته...)».

جل وعلا ويأمرُ وينهى ويخلق، وما زال يتكلم ﷻ بأوامرِهِ ونواهيه الكونية والشرعية.

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان].

كلام الله لا يُحصيه إلا الله جل وعلا، فهذه الكلمة تعادلُ المدادَ الذي يكتب به كلام الله، فدلَّ على فضلها، ومكانتها عندَ الله ﷻ، ينبغي للعبد أن يلْهَجَ بها ويُكثر منها.

ما جاء في تفسير الباقيات الصالحات

٨ ـ وعن أبي سعيدٍ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الباقِياتُ الصَّالِحاتُ: سُبحان الله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبَرُ، والحَمْدُ للهِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله»[١]. أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم.

الشَّرح

(**الباقيات الصالحات**): هي الأعمالُ الصالحة التي يبقى ثوابُها، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ومن الباقيات الصالحات هذه الكلمات: (**سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله**).

هذه الباقيات الصالحات، خمسُ كلمات هذه من الباقيات الصالحات التي تبقى للعبدِ ويستمرُّ ثوابها عند الله سبحانه، وأما ما عداها من أمور الدنيا وثروات الدنيا فإنها تذهبُ، قال سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾، فالذي يُعطى الأموالَ والأولادَ لا يستمرُّ له ذلك، إنما هو عطاءٌ مؤقت، أما الذي يستمرُّ ويبقى هو هذه الكلمات التي يوفَّق المؤمنُ لأن يقولها ويكررها، هذه هي التي تبقى له عند الله ﷻ.

---

(١) رواه ابن حبان برقم (٨٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٢ ـ ٥١٣)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٧٥)، وحسنه العلّامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٣٢٦٤)، وانظر كتاب منحة العلام في شرح بلوغ المرام لفضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان (١٠/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(سبحان الله، ولا إله إلا الله) مرَّ تفسيرها.

(الله أكبر) أي: أعظمُ من كل شيء، فلا كبيرَ إلا والله جل وعلا أكبرُ منه وأعظمُ منه، فهي كلمة عظيمة.

(الحمد لله) مر تفسيرها.

(ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله) لا حول ولا قوة، أي: لا تحوُّلَ من حالٍ إلى حالٍ إلا بالله جل وعلا، فلا تستطيعُ أن تتحول من المعصية إلى الطاعة إلا بالله ﷻ، ولا تستطيع أن تتحول من المرض إلى الصحة إلا بالله ﷻ، ولا تستطيع أن تتحولَ من الفقر إلى الغِنى إلا بالله ﷻ، ولا تستطيع أن تتحولَ من حال إلى حال إلا بالله سبحانه، أنت لا حولَ لك، أنت مخلوقٌ ضعيف لا تقوى على شيء إلا بتقوية الله لك.

فهذا فيه التفويضُ إلى الله جل وعلا والبراءةُ من الحول والقوة، وأن الإنسان لا يُعجبُ بحوله وقوتِه، بل يفوض ذلك إلى الله جل وعلا، فيقول: لا حولَ ولا قوة إلا بالله، هذا تفويض لله ﷻ، وبراءةٌ من الحول والقوة، واعترافٌ بعجز العبد، وأنه لا يستطيع شيئاً إلا إذا أقدره الله عليه وأعانهُ عليه.

أحب الكلام إلى الله سبحانه

٩ ـ وعن سَمُرَةَ بنِ جندبٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **أَحَبُّ الْكَلَامِ إلى اللهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، ولا إِلَهَ إلا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ»**(١). أخرجه مسلم.

الشَّرْح

(**أحب الكلام إلى الله**) هذا فيه أن الله يحبُّ الأعمال الصالحة ويحب أهلها، ففيه إثباتُ المحبة لله ﷻ، وأنه يحب الأعمال الصالحة، ويحبُّ الصالحين، ويحب المتقين، ويحب الذكر، فهذه أربع كلمات (سبحانَ الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبرُ) هي أحبُّ إلى الله ﷻ مما سواهنَّ من الأذكار، لما تتضمَّنه هذه الجمل العظيمةُ من تنزيه الله ﷻ، والثناءِ عليه وتعظيمه.

(**لا يضرُّك بأيهنَّ بدأتَ**) يعني سواءً قدَّمت فيهن أو أخَّرتَ فلا يضر هذا، سواءً جئتَ بهن مرتباتٍ كما في الحديث، أو أنك قدَّمت بعضهنَّ على بعض لا يضر(٢).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأدب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة، برقم (٢١٣٧).

(٢) هذه الكلمات الأربع لها فضائل عظيمة منها: ما رواه الإمام الترمذي ﷺ برقم (٣٤٦٢) عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي فقال: يا محمد أقرئ أُمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»** حسنه الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة، برقم (١٠٥).

كنز من كنوز الجنة

١٠ ـ وعن أبي موسى الأشعري قال: قالَ لي رسول الله ﷺ: «يا عَبْدَ اللهِ بن قَيْسٍ ألا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ من كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ»[١]. متفق عليه.

زاد النسائيُّ: «ولا ملْجَأَ مِنَ الله إلا إلَيْهِ»[٢].

الشَّرْح

(**أبو موسى الأشعري** رضي الله عنه) واسمُه: عبدُ الله بن قيس، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن أفاضِلِ الصحابة رضي الله عنهم.

(**كنز من كنوزِ الجنة**) بمعنى أن ثوابها عظيمٌ، وهو الجنة، والجنة هي أعظمُ المطالب، ففيه فضلُ هذه الكلمة (**لا حول ولا قوة إلا الله**) وعرفنا معناها، ولماذا كانت بهذه المثابة؛ لأنها تتضمنُ التفويضَ إلى الله جل وعلا وإظهارَ العجز والفقرِ إلى الله عز وجل، وأن الله هو القويُّ القادر

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عَقبة، برقم (٦٣٨٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم (٢٧٠٤)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم (١٥٢٦)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ما جاء في (لا حول ولا قوة إلا بالله) برقم (٣٨٢٤).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، في كتاب «عمل اليوم والليلة»، برقم (١٠١١٨)، وأحمد (٢/٣٠٩)، والحاكم (١/٥١٧). وانظر تخريجه في كتاب منحة العلام في شرح بلوغ المرام (١٠/٤١٣).

على كل شيء، فهي كلمة عظيمة، وهي خفيفةٌ على اللسان سهلةٌ يرددها الإنسان، ولا يغفل عنها، يعوِّد الإنسانُ لسانه الذكر.

(**زاد النسائي: ولا ملجأ من الله إلا إليه**) إذا أرادك الله بشيء فلا أحدَ ينقذك من الله ﷻ إلا اللهُ جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] يجيرُ من استجاره، ولا يُجارُ عليه، إذا طلبَ أحداً من عباده فلا أحدَ يستطيع منعَ هذا العبد من ما أراد الله تعالى به، كما قال ﷺ: «**واعلم أنَّ أهلَ الأرض لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوكَ إلا بشيء قد كتبه اللهُ لَكَ، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[(١)]، هذا معني (**لا ملجأ من الله إلا إليه**) كما قال ﷺ: «**وأعوذ بك منك**»[(٢)]، **أي: ألجأُ إليك منك سبحانك، فلا أحدَ يُجيرُ على الله، ولا أحدَ يمنع أحداً، لا مانعَ لما أعطى ولا مُعطيَ لما منع، قال جل وعلا**: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر][(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ص(١١٨).

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٦).

(٣) من فضائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٨٢١) من حديث أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ - ليلة أسري به - مرَّ على إبراهيم - فقال إبراهيم لجبريل: من معك يا جبريل؟ قال جبريل: هذا محمد ﷺ، فقال إبراهيم: يا محمد! مُر أمتك أن يُكثروا غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، فقال رسول الله ﷺ لإبراهيم: **وما غراس الجنة؟** قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، (قال الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٠٦): صحيح لغيره)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٥).

الدعاء هو العبادة

١١ ـ وعن النُّعمانِ بن بشيرٍ ﵄، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الدُّعاءَ هُوَ العِبَادَةُ»[1]. رواه الأربعةُ، وصححه الترمذي.

١٢ ـ وله من حديثِ أنسٍ ﵁ مرفوعاً: «الدُّعاءُ مُخُّ العِبادةِ»[2].

الشرح

انتهى من الذِّكر ثم انتقل إلى الشِّق الثاني من الباب وهو الدعاء، والدعاءُ ـ كما ذكرنا ـ على نوعين:

الأول: دعاءُ العبادة: وهو الثناءُ على الله ﷻ بأسمائه وصفاتِه.

والثاني: دعاءُ الطَّلب: وهو طلبُ الحوائج من الله ﷻ.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٧٩)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (٣٣٧٢)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الدعاء، برقم (٣٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (١٣٢٩)، وأحكام الجنائز ص (١٩٤).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (٣٣٧١) وقال: غريب. وسُئل **سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز** ﵀: ما صحة حديث الدعاء مُخ العبادة؟ فأجاب قائلاً: «فيه ضعف، ولكن الصحيح: **(الدعاء هو العبادة)**، أما الدعاء مخ العبادة ففيه ضعف ومعناه صحيح». شرح كتاب كشف الشبهات، ط. المؤسسة ص (٥٨).
وقال الشيخ الألباني ﵀ إسناده ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٧٥)، وهداية الرواة برقم (٢١٧٢).

وكلاهما تضمَّنته سورة الفاتحة، فإنها تضمَّنت نوعي الدعاء، أولها دعاءُ العبادة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ هذا دعاءُ عبادة وثناءٍ على الله، وتمجيدٍ لله ﷻ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ هذا دعاء مسألة، تستعين بالله وتسأله أن يهديك الصراط المستقيم، وأن يجنبك طريق المغضوب عليهم والضالين، هذا دعاءُ مسألة، لذلك صارت هذه السورة أعظمَ سورة في القرآن لما تتضمَّنته من الدعاء بنوعيه، ولذلك فرض الله قراءتها في كل ركعة من الصلاة فريضةً أو نافلةً لعظمها، ولعظم ما تتضمَّنُه من نوعي الدعاء.

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ قال: «**الدعاءُ هو العبادة**» يعني أعظم أنواع العبادة، العبادةُ أنواع كثيرة، كلُّ ما شرعه الله وأمر به فهو عبادة، وحتى الأمور العادية إذا قصد المسلمُ بها الاستعانةَ على طاعة الله صارت عبادة، تتحولُ العادةُ إلى عبادة، لو نام الإنسان في النهارِ يقصد بذلك أن يقوى على قيامِ الليل فإن نومَه عبادة؛ لأنه نوى به العبادة؛ ولأنه استعانةٌ على العبادة.

فالعبادةُ أنواع كثيرة: **الدعاءُ والخوفُ والرجاءُ والرغبةُ والرهبةُ والتوكلُ والإنابةُ**، هذه كلها عبادات قلبية، **والتسبيح، والتهليلُ والتكبيرُ والاستغفارُ**، هذه عبادات قولية، **والصلاةُ والصيامُ والحجُّ والجهادُ والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر** هذه عبادات بدَنية، **والصدقةُ والزكاةُ والنفقاتُ** هذه عباداتٌ ماليةٌ، فالعباداث متنوعةٌ وكثيرة، كما قال شيخ الإسلام: **العبادةُ: اسمٌ جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من الأعمالِ والأقوالِ الظاهرةِ والباطنةِ**[(١)]. اهـ.

---

(١) انظر: كتاب «العبودية» لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله ص (١٩)، طبعة دار المغني بالرياض.

وقوله: (الدعاءُ هو العبادة) ليس معناه الحصر، أن العبادةَ هي الدعاء فقط، ولكنَّ معناها أن الدعاءَ هو أعظم أنواع العبادة، كما قال ﷺ: «**الحج عرفة**» يعني الوقوف بعرفة، ليس معنى ذلك أنك إذا وقفت بعرفة انتهى الحج، ولكن معنى قوله: «**الحجُّ عرفة**» أي: أعظم أركان الحج هو الوقوفُ بعرفة.

وكذلك هنا **(الدعاءُ هو العبادة)** أي: أعظمُ أنواع العبادة الدعاء، ففيه فضلُ الدعاء وأنه أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر: ٦٠] سمَّاه عبادةً، وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] مخلصين له الدعاء، فهو عبادةٌ وهو دين، وهو أعظم أنواع العبادة، مما يدلُّ على أنه ينبغي للعبد أن يكثر من الدعاء، لأن الله جل وعلا يحبُّ من عباده أن يدعوه ويكثروا من دعائه ﷻ، والله جل وعلا يرضى أنك تلحُّ عليه، وكل ما أكثرتَ من الدعاء فإن الله يحب ذلك، بخلاف المخلوق، المخلوق إذا طلبت منه شيئاً، وسألتَه يغضب عليك، أما الله جل وعلا إذا دعوتَه فإن يرضى عنك ويحب ذلك، ولهذا يقول الشاعر:

اللهُ يغضَبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤالَهُ ... وبُنَيُّ آدمَ حينَ يُسألُ يَغْضَبُ

فالدعاءُ مقامه عظيمٌ عند الله ﷻ، فينبغي للمسلم أن يُكثر من الدعاء في كل ما يحتاج إليه من أمور دينه، وأمورِ دنياه وآخرته.

(مخ) المخ: هو الخالصُ، الدعاء: هو خالصُ العبادة وأخصُّها وأعظمها[1].

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الفوائد (١٤١ ـ ١٤٢): «أساسُ كل خيرٍ أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فتتيقَّن حينئذٍ أن الحسناتِ من نِعَمِه، فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خِذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحولَ بينك وبينها، ولا يَكِلَكَ في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك. =

فضل الدعاء

١٣ ـ ولهُ من حديثِ أبي هريرةَ ﷺ رَفَعَهُ: «لَيْسَ شيءٌ أَكْرَمَ على اللهِ مِنَ الدُّعاءِ»[١]. وصححه ابن حبان والحاكم.

= وقد أجمع العارفون على أن كل خيرٍ فأصله توفيق الله للعبد، وكل شرٌ فأصله خذلانه لعبده. وأجمعوا أن التوفيق أن لا يَكِلَك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخليَ بينك وبين نفسك.

فإذا كان كل خيرٍ فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقارُ وصدقُ اللَّجأ والرغبة والرهبة إليه؛ فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاحَ فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مُرْتَجاً دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «إنِّي لا أحمِلُ همَّ الإجابة، ولكن همّ الدُّعاء؛ فإذا أُلهِمتُ الدُّعاءَ فإن الإجابة معه».

وعلى قدر نيَّة العبد وهمَّتِهِ ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقُه سبحانه وإعانته؛ فالمعونة من الله تَنزِلُ على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخِذلان يَنزِل عليهم على حسب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين، يضعُ التوفيقَ في مواضعه اللائقة به، والخذلانَ في مواضعه اللائقة به، وهو العليم الحكيم، وما أُتِيَ من أُتِيَ إلَّا من قِبَل إضاعة الشُّكر وإهمال الافتقار والدُّعاء، ولا ظَفِرَ من ظفر بمشيئة الله وعونه إلَّا بقيامه بالشُّكر وصدق الافتقار والدُّعاء».

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (٣٣٧٠)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الدعاء، برقم (٣٨٢٩)، وابن حبان برقم (٨٧٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦٢)، والحاكم (١/ ٤٩٠)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، برقم (٨٦٧).

الشَّرْحُ

وهذا أيضاً فيه فضلُ الدعاء **(ليس شيءُ أكرمَ على الله من الدعاء)** فدل على أن الله يحب الدعاءَ، يحب من عبادِهِ أن يدعوه، ويفرحُ بذلك ويرضى عن صاحبِه، فالعبد يُلحُّ في الدعاء، ولا يقنطُ ويقول: أنا دعوتُ ودعوتُ ولم يُستجب لي، نهى النبيُّ ﷺ عن ذلك[1]، عليه أن يدعوَ ولو لم يحصل له مطلوبه؛ لأنه لو دعا الله لم يخلُ من إحدى ثلاث حالاتٍ:

١ ـ إما أن يعجِّلَ الله له دعوتَه.

٢ ـ وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرة في وقتٍ هو أحوجُ إليها.

٣ ـ وإما أن يدفعَ عنه من السوءِ مثلها.

فدعاؤك لا يضيعُ عند الله ﷻ، ولكن الشأنَ في إخلاص الدعاء، وفي تجنُّب ما يمنع قَبولَ الدعاء.

وموانعُ القبولِ كثيرة، منها: أن يدعو الله بقلبٍ غافلٍ، هذا لا يُستجاب له، لا بدَّ أن يكون قلبه حاضراً عند الدعاء، مقبلاً على الله ﷻ، **ومن موانع الدعاء**: أن يدعوَ الله وهو يأكلُ الحرامَ، أو يلبس الحرامَ، أو يشرب الحرام، كالحديث: «**الرجل يطيلُ السفرَ أشعثَ**

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٠)، ومسلم برقم (٢٧٣٥) عن حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي**».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ؒ في فتح الباري (١١/١٤١): «وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء وهو أنه يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد وإظهار الافتقار، حتى قال بعض السلف: لأنا أشدُ خشية أن أُحرم الدعاء من أن أُحرم الإجابة... وقال الداودي: يُخشىٰ على من خالف وقال: قد دعوت فلم يستجب لي أن يحرم الإجابة...».

أغبرَ يمدُّ يديه: يا ربُّ يا ربُّ، ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبَسه حرامٌ، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجابُ لذلك»(١)، فأكل الحرام يمنع قبول الدعاء.

ومنها: أن يدعو بإثم أو قطيعةِ رحم، فلا يستجاب له؛ لأن هذا اعتداءٌ في الدعاء ولا يقبل منه، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥).

* **قال سماحة الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله**، في شرحه لهذا الحديث: «لمَّا بيَّن النبي ﷺ أن الله لا يقبل الّا طيباً، وأن المرسلين والمؤمنين أُمروا بالأكل من الطيبات، بيَّن أن من الناس من يخالف هذا المسلك، فلا يكون أكله طيباً، بل يعمد إلى اكتساب الحرام واستعماله في جميع شؤونه من مأكل وملبس وغذاء، وأنَّ ذلك من أسباب عدم قبول دعائه، مع كونه أتى بأسباب قبول الدعاء، وهي في هذا الحديث أربعة: السفر مع إطالته، وكونه أشعث أغبر، وكونه يَمدُّ يديه بالدعاء، وكونه ينادي الله بربوبيته، مع إلحاحه على ربِّه بتكرار ذلك، ومعنى قوله: **«فأنَّى يُستجاب لذلك»** استبعاد حصول الإجابة لوجود الأسباب المانعة من قبول الدعاء». انظر: كتب رسائل الشيخ عبد المحسن العباد (٣/ ١٢٩).

استحباب الدعاء بين الأذان والإقامة

١٤ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الدُّعاءُ بينَ الأَذانِ والإقَامةِ لا يُردُّ»[1]. أخرجه النسائي وغيرُه، وصححه ابن حبان وغيره.

الدعاءُ على قسمين:

القسم الأول: دعاءٌ مطلق في كلِّ وقت، وفي كلِّ حال.

والقسم الثاني: دعاءٌ محدَّدٌ موقتٌ بأحوالٍ أو بأوقاتٍ، يُسمَّى الدعاء المقيَّد.

ومنه هذا الحديث (**الدعاءُ بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ**) فيُستحب أن يدعو الإنسانُ في هذا الوقت، بين الأذان والإقامة، يكثر من الدعاءِ ومن الاستغفارِ والتسبيحِ، والتهليلِ والتكبيرِ والذكرِ، يُشغل الوقت ما بين الأذان والإقامة بذكرِ الله ودعائِهِ، كثيرٌ من الناس يهملون الدعاءَ بين الأذان والإقامة، ويُشغلونَ بتلاوة القرآن، تلاوةُ القرآن لا شك أنها عملٌ جليل، ولكن تلاوة القرآن لها وقتٌ آخر، كونُك تستغلُّ هذا الوقتَ

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، برقم (٥٢١)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء في أن الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة، برقم (٢١٢)، والنسائي في السنن الكبرى، برقم (٩٨١٢)، وابن حبان برقم (١٦٩٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (٥٣٤)، وإرواء الغليل برقم (٢٤٤).

بالدعاء والذكر أفضلُ؛ لأن الدعاء المقيَّدَ في وقته أفضلُ من الدعاء المطلق، تلاوة القرآن مطلقةٌ في كل وقت، وهذا الوقتُ مخصَّص للدعاء، فكونك تشتغلُ بالدعاءِ والذكرِ والاستغفارِ أفضلُ من تلاوة القرآن في هذا الوقت، هذا ينبغي أن يُفطنَ له.

كما أن فيه الحثَّ على التقدم للمسجد، بأن يكونَ هناك وقتٌ يقضيه الإنسان قبل الإقامة يتجه للمسجد عند الأذان، بحيث إذا أذن هو في المسجد من أجل أن يجلسَ ينتظرَ الإقامة ويدعو، أما الذي لا يأتي إلا عند الإقامة أو بعد ما يفوت بعضُ الصلاة، **فهذا تفوته هذه الفضيلةُ العظيمة، والفُرصةُ الثمينة، فهذا فيه الحثُّ على التقدم للمسجد والتفرغِ للدعاءِ بين الأذان والإقامة.**

وكذلك من الأحوال التي فيها الدعاءُ مستحبٌّ الدعاء في السجود، قال ﷺ: «**أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثروا من الدعاء**»[١]، والدعاءُ في آخرِ الصلاة قبلَ السلام، والدعاءُ بعد السلام من الصلاة أدبارَ الصلوات، كلٌّ هذه أوقات للإجابة، والدعاءُ في الأسحار في آخر الليل بعد التهجد، هذا أيضاً يكونُ له فضيلة، ووقت النزول الإلهي حين ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا فيقول: «**هلْ من داعٍ فأستجيبَ له، هل من سائلٍ فأعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له**»[٢].

فهناك أوقات لا ينبغي للمسلم أن يفوِّتها؛ لأنها خسارةٌ عليه، فهو بحاجةٍ إلى اغتنامها، ولكن الغفلَة والإعراضَ والجهل كل هذا مما يبعد الإنسانَ عن ذكر الله، وعن الدعاءِ، وعن منافِعِ نفسه.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٢).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل والإجابة فيه، برقم (٧٥٨).

والاشتغالُ بالدنيا وأعمالها أيضاً يُشغل الإنسان عن استغلالِ هذه الأوقاتِ العظيمةِ، وأعظمُ من ذلك الاشتغالُ باللهوِ واللعبِ ومتابعةِ القنوات الفضائية، هذا يشغل الإنسان عن ذكر الله وعن الدعاء وعن صلاةِ الليل، بل يُشغله عن صلاة الفجر، فهذه صوارفُ ومعوِّقات تحرِمُ الإنسانَ من هذه الفضائل العظيمة[١].

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب» ص(٣٦) طبعة عالم الفوائد: (قال بعض السلف: «ابن آدم أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظاماً»).

فضل رفع اليدين في الدعاء

١٥ ـ وعن سلمانَ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً»(١).

أخرجه الأربعة إلا النسائي، وصححه الحاكم.

الشَّرْح

هذا فيه وصفُ الله جل وعلا بالحياء، وهو وصفٌ يليق بجلاله، ليس مثلُ وصفِ المخلوق، يستحي الله جل وعلا، ولكنَّ حياءهُ ليس مثلَ حياء المخلوق (إن الله حييٌّ كريم) وصفٌ لله بالحياءِ والكرمِ، وصفانِ عظيمانِ لله ﷻ.

(يستحي من عبدِه أن يمدَّ يديه فيردَّهما صفراً) وهذا فيه فضلُ الدعاء وفضلُ رفع اليدين في الدعاء، والأصلُ في الدعاء رفع اليدين، وهذا من أسبابِ الإجابة إلا في المواطن التي ثبتَ أن النبي ﷺ دعا ولم يرفع يديه فيها، فنحنُ لا نرفع أيدينا فيها، مثل بعدَ الصلوات المفروضة لم يثبت أن النبيَّ ﷺ رفع يديه بعد الفريضة، وإنما كان يدعو بدون رفعِ اليدين، مثل الدعاء في التشهد الأخير، ما كان يرفع يديه ﷺ مثل رفعِ اليدين بعد ما يقوم من الركوع، مثل ما يفعل بعض الجهال، هذا إنما هو

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب، برقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب رفع اليدين في الصلاة، برقم (٣٨٦٥)، والحاكم (١/٤٩٧)، وأحمد في مسنده (٥/٤٣٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (١٣٣٧).

في القنوت فقط، أما أنه إذا رفع رأسه وقال: ربنا ولك الحمدُ، يرفع يديه، هذه بدعٌ ما أنزل الله بها من سلطان، فالأصل رفعُ اليدين مع الدعاء إلا في المواطن التي دعا فيها الرسولُ ﷺ ولم يرفع يديه، مثل الدعاءِ في خطبة الجمعة لا يرفعُ يديه في الدعاء إلا في الاستسقاء إذا دعا في خطبة الجمعة بالاستسقاء يرفع يديه، أما إذا دعا بغير الاستسقاء فلا يرفع يديه، هذه مواطنُ دعا فيها الرسول ﷺ ولم يرفع يديه فيها، وما عداها فإنَّ الأفضلَ رفع اليدين في الدعاء، وهو سببٌ للإجابة.

(فلا يردهما صفراً) يعني: خاليتين، يرفعُ يديه لربه الكريم فيردهما صفراً لا يستجيبُ له، هذا لا يليقُ بالله ﷻ؛ لأنه الكريمُ السميع المجيبُ، فلا يليقُ به أن يردَّ من دعاه إلا إذا كان عندَ العبد مانعٌ من موانع الدعاء كما ذكرنا، أما إذا خلا من الموانع، ودعا بقلبٍ حاضرٍ، فإن الله لا يخيب دعاءه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

وهذا وعد من الله جل وعلا، ولا يخلفُ الله وعده ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٨٦] بهذا الشرط أنك تستجيبُ لله بطاعتِهِ وتركِ ما نهاكَ الله عنه حتى يستجيبَ دعاءك.

***

حُكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء

١٦ ـ وعن عمرَ رضي الله تعالى عنه قال: «كانَ رسولُ الله ﷺ إذا مَدَّ يَدَيهِ في الدُّعاءِ لَمْ يَرُدَّهُما حتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ»[١].
أخرجه الترمذي **وله شواهد منها:**

١٧ ـ حديثُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: عندَ أبي داودَ وغيره. ومجموعُها يقتضي أنه حديث حسن[٢].

الشَّرْح

الحديثُ فيه حُكم مسح الوجه باليدين بعدَ الدعاء، وفيه أن النبي ﷺ كان يمسحُ وجهه، ولكن الحديثَ في سنده ضعفٌ، ولكن يقول الحافظ: أن له شواهدَ من أحاديثَ أُخر تجعلُه حسناً، يعني حسناً لغيره، **والحسن**: ما كانت مرتبتُه دونَ الصحيح، وفوقَ الضعيف، والحسن: يُحتجُّ به، فمن رأى أن هذه الشواهدَ ترفعُ هذا الحديث إلى درجة

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في رفع الأيدي عند الدعاء، برقم (٣٣٨٦)، والبزار في مسنده (١/٢٤٣)، وضعفه الألباني في الإرواء، برقم (٤٣٣).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٨٥) و(١٤٩٢).
* **وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٨٢٦): «وفي إسناده حماد بن عيسى الجهني الواسطي، ضعفه الأكثر وتبعهم في «التقريب» (١٥١١) وقال: ضعيف من التاسعة، مات سنة ثمانٍ ومائتين». اهـ. وانظر: إرواء الغليل للألباني، برقم (٤٣٤).

الحسن، فإنه يرى مسحَ الوجه باليدين بعدَ الدعاء، ومنَ يرى أنها لا ترفعُه؛ لأنها كلها ضعيفة لا تخلو من مقالٍ[١]، فلا ترتفعُ إلى الاحتجاج قال: لا يُمسَحُ الوجهُ باليدين بعد الدعاء. والظاهر - والله أعلم - أن المسألة واسعةٌ، فلا يُنكر على من مَسَحَ وجهه بيديهِ بعد الدعاء، ولا على من لم يمسح، المسألة فيها سعةٌ ولله الحمد.

قالوا: والحكمةُ في مسح الوجه باليدين بعدَ الدعاء كما في الحديث الذي قبله: «**إن الله حييٌّ كريم يستحي إذا مده أحدكم يده بالدعاء أن يردَّهما صفراً**»، فالمناسبة أنه لما كان الدعاءُ بهذه المثابة، وأن الله جل وعلا يضعُ في يديه من بركةِ الدعاء ولا يردَّهما صفراً يعني خاليتين، فهو يمسحُ وجهَه من أجل هذا، من أجل بركةِ الدعاء الذي دعا به ربه ﷻ[٢].

---

(١) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في مجموع الفتاوى (٢٢/٥١٩): «... وأما رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء فقد جاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة، وأما مسح وجهه بيديه فليس عنه فيه إلا حديث أو حديثان لا يقوم بهما حجة والله أعلم».
وقال الإمام البيهقي ﵀ في السنن الكبرى (٢/٢١٢): «فأما مسح الوجه باليدين عند الفراغ من الدعاء فلستُ أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارجها، وقد روي فيه عن النبي ﷺ حديثٌ فيه ضعف وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة، وأما في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخبر صحيح ولا أثر ثابت ولا قياس، فالأولى أن لا يفعله، ويقتصر على ما فعله السلف ﷺ من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه...».

(٢) ولمزيد من الفوائد في مسألة: (مسح الوجه باليدين بعد الدعاء) انظر كتاب: «جزءٌ في مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء» لفضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ﵀.

فضل الصلاة على النبي ﷺ

١٨ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً»(١). أخرجه الترمذي، وصحَّحه ابن حبان.

الشَّرح

مناسبةُ هذا الحديث ـ والله أعلم ـ لباب الدعاء؛ لأنَّ من آداب الدعاء أن يحمد الله، ثم يصلي على نبيه، ثم يدعو، وفي هذا الحديث فضلُ الصلاةِ على النبي ﷺ؛ في أنَّ من أكثر من الصلاةِ على النبي ﷺ أنه يكون قريباً منه ﷺ يوم القيامة في المنزلة.

وقيل: إنه تنالُه شفاعةُ النبي ﷺ: «فـ(**أولى الناس بي**) يعني: بشفاعتي أو (**أولى الناس**) يعني: أقرب منزلةً.

فهذا الحديث فيه فضلُ الصلاة على النبي ﷺ ولا سيما في الدعاءِ، وفيه مشروعيةُ الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، وهذا من حقه

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم (٤٨٤)، وابن حبان برقم (٩١١)، وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/٢٥٩): حسن لغيره.
قال أبو حاتم رضي الله عنه: «في هذا الخبر دليل على أن أولى الناس برسول الله ﷺ في القيامة يكون أصحاب الحديث، إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاةً عليه ﷺ منهم».
انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للعلامة الألباني رحمه الله (٢/٢٥٨).

علينا، من حق الرسول ﷺ علينا أن نصلي ونسلم عليه؛ لأن الله أمرنا بذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب][1].

---

(١) وقال العلامة ابن القيم في كتابه «جلاء الأفهام» ص (١٦٩) في معرض الكلام على صلاة الله وملائكته على رسوله ﷺ وأمر عباده المؤمنين بأن يصلوا عليه بعد أن رد أن يكون المعنى: الرحمة والاستغفار، قال: «بل الصلاة المأمور بها فيها - يعي آية الأحزاب - هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته، وصلاة ملائكته، وهي: ثناء عليه، وإظهار لفضله وشرفه، وإرادة تكريمه وتقريبه؛ فهي تتضمن الخبر والطلب، وسُمِّي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه لوجهين:
أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه، والإشادة بذكر شرفه وفضله، والإرادة والمحبة لذلك من الله، فقد تضمنت الخبر والطلب.
والوجه الثاني: أن ذلك سُمي صلاة منا لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه: ثناؤه لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به» انتهى. وانظر كتب ورسائل الشيخ عبد المحسن العباد البدر (٦/ ٦٢).
«وأما معنى التسليم على النبي ﷺ، فقد قال فيه المجد الفيروزآبادي في كتابه «الصلاة والبُشَر»: «ومعناه: السلام الذي هو اسم من أسماء الله تعالى عليك وتأويله: لا خلوت من الخيرات والبركات، وسلمت من المكاره والآفات؛ إذ كان اسم الله تعالى إنما يذكر على الأمور توقعاً لاجتماع معاني الخير والبركة فيها، وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنها.
ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة أي: ليكن قضاء الله تعالى عليك السلامة، أي: سلمت من الملام والنقائص.
فإذا قلت: اللهم سلم على محمد، فإنما تريد منه: اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته، وذكره السلامة من كل نقص، فتزداد دعوته على ممر الأيام علواً وأمته تكاثراً، وذكره ارتفاعاً». ذكره سماحة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد في مجموع كتبه ورسائله (٦/ ٦٣).

سيد الاستغفار

١٩ ـ وعن شدَّادِ بن أوسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهم أنت رَبِّي لَا إِلَهَ إلا أنت خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لك بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لك بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لي فإنه لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنت»[١]. أخرجه البخاري.

الشَّرح

وهذا الحديثُ فيه فضلُ هذا الاستغفار، سمَّاه النبي ﷺ سيدَ الاستغفار، والسيدُ: هو المقدمُ على غيره، فكونُه سيد الاستغفار، أي: هو أفضلُ الاستغفار؛ لأن السيد لا يكون إلا أفضلَ من غيره، فهذا الاستغفارُ هو أفضلُ أنواع الاستغفار.

(**اللهم أنتَ ربي**) اللهم: هذا نداءٌ، أصله يا الله، ثم حُذفت ياءُ النداء وعُوِّض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة، فصارت (**اللهمَّ أنتَ ربي**) اعترافٌ بربوبية الله وتوسلٌ إليه بربوبيته سبحانه، أي: أنت خالِقِي ومالِكِي وأنتَ وليي.

(**لا إله إلا أنتَ**) أي: لا معبودَ بحق سواك، هذا توسلٌ إلى الله بالتوحيد.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب، أفضل الاستغفار، برقم (٦٣٠٦، ٦٣٢٣).

(**خلقتني وأنا عبدُك**) خلقتني: لا خالقَ غير الله ﷻ، الله هو الذي خلقنا، وخلقَ الخلقَ كله، لا شريكَ له في خلقه، وكلُّ ما سواه فهو مخلوق، **خلقتني**، أي: أوجدتني من عدم (**وأنا عبدُك**) والعبدُ: هو المملوك، أي أنا مملوكٌ لك، وأنا أعبدُك وأتقربُ إليك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

والعبد على نوعين: عبدٌ بمعنى مملوك، وعبدٌ بمعنى عابدٌ لله ﷻ، فالمؤمن يجتمعُ فيه الأمران: أنه مملوكٌ لله، وأنه يعبدُ الله ﷻ، وأما الكافر ففيه المعنى الأول أنه مملوكٌ لله، ولكنه لا يعبدُ الله ويشرك به.

(**وأنا على عهدك**) الله جل وعلا عهِدَ إلينا أن لا نعبدَ إلا إياه، قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس]، هذا عهد من الله ﷻ أخذه على بني آدم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ولهذا تقرأ في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ هذا عهدٌ، تُعاهد الله ﷻ في كل ركعةٍ أن لا تعبد إلا إياه، ولا تستعين إلا به.

(**ووعدك**) حيث وعدتَ من عبدَكَ بالجزاء.

(**ما استطعتُ**) هذا براءةٌ من الحول والقوة في أن أحداً لا يستطيع أن يعبد الله حقَّ عبادته، ولكنه يعبدُه بحسب استطاعته، وإلا فلا أحد يقوم بعبادة الله على الوجه الكامل؛ لأن الإنسانَ مخلوق ضعيف ولا يستطيع أن يعبد الله حقَّ عبادته، ولكن يعبده بحسب استطاعته.

(**أعوذُ بك**) العَوذُ: هو الالتجاء، أي: ألتجئُ بك (**من شرِّ ما صنعتُ**) من شر الذنوب والمعاصي، فأنت تستعيذُ بالله من ذنوبكَ، ومن سيئاتِكَ أن يعذِّبك بها، وهذا مثلُ قول النبي ﷺ: «**ونعوذُ بالله من**

شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا»[(١)]. فمن وُقي شرَّ نفسه، وشر ذنوبه فإنه سعيدٌ في الدنيا والآخرة.

ثم قال: (**أبوءُ لك بنعمتِكَ**) أبوءُ: يعني أُقرُّ وأعترف بنعمتك، خلافَ الذي يجحدُ نعمةَ الله ﷻ وينكرُها (**أبوءُ بنعمتك عليَّ**) هذا اعترافٌ بنعمة الله، وشكرٌ لنعمة الله.

(**أبوءُ بذَنْبي**) أبوء: يعني أقرُّ بذنبي، وهذا من التوسل إلى الله جل وعلا، بالاعتراف بالذنب، كما قال آدمُ وحواء عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف]، فالعبدُ يعترف بذنبه ويطلبُ من ربه أن يغفر له، ولا يزكي نفسه، ويعجب بعمله.

(**فاغفر لي**) لما توسَّل إلى الله جل وعلا بهذه التوسلات، طلبَ منه المغفرةَ، والمغفرةُ: هي سَتْرُ الذنوب، من الغفْرِ وهو السترُ ومنه المغفر؛ لأنه يستر الرأس عن السهام.

(**إنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنتَ**) هذا اعترافٌ بأن الذنوب لا يغفرُها إلا الله، وإذا لم يغفرها فإنها تبقى على صاحبها، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فذنوبُك لا أحدَ يعفيك منها إلا الله جل وعلا، لا يعفيك منها الخلقُ أو أي شيء إلا أن الله هو الذي يغفرُها، فإن لم يغفرها فإنها تهلكك.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، برقم (٢١١٨)، والترمذي في كتاب النكاح عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم (١١٠٥)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم (١٨٩٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (١٨٤٣ و١٨٤٤).

وهذا فيه فضلُ هذا الاستغفار وأنه سيدُ الاستغفار، وأن الإنسانَ يكثرُ من الدعاء به صباحاً ومساءً[١].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الاستغفار يُخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد علماً بالله وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات» مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٦).

من الأدعية الجامعة في الصباح والمساء

٢٠ ـ وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: لم يَكُنْ رسول الله ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الكَلِماتِ حين يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللهم إني أَسْأَلُك الْعَافِيَةَ في دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهم اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي من بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ من تَحْتِي»(١). أخرجه النسائي، وابنُ ماجه، وصحّحه الحاكم.

الشَّرْحُ

كان النبي ﷺ لا يَدَعُ هذا الدعاءَ حين يصبحُ، أي: يدخلُ في الصباح، وقتَ الفجر، وحين يمسي، أي: يدخلُ في المساءَ، كان يدعو بهذا الدعاء في أولِ الصباح، وفي أولِ المساء، فيسألُ الله العافيةَ في دينه ودنياه وأهلِهِ وماله.

(في دينه): يعافيه الله من البِدَع، والمعاصي والسيئات؛ لأن هذه الأمورَ تُنقص الدينَ أو تذهب به نهائياً، وبدأ بالدين؛ لأنه أهمُّ شيء.

(وفي دنياي) يعافيه اللهُ في دنياه من الفِتَنِ والشرور، ويعافي أهله

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا تعارَّ من الليل، برقم (٥٠٧٤)، والنسائي في كتاب الاستعاذة، برقم (٥٥٣٠)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، برقم (٣٨٧١)، والحاكم (١/ ٥١٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥). وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه، برقم (٣١٢١).

زوجاتِه وأولاده، يعافيهمُ الله جل وعلا من الأمراض، ومن السيئات والذنوب، فهذا فيه فضلُ الدعاء للأهلِ من الزوجات والأولاد والأقارب.

(ومالي) يعافيه الله في مالِه، بأن يكونَ من الكسبِ الحلال، وأنه يصرفه في طاعةِ الله؛ لأن المالَ له أهميةٌ في اكتسابه من الوجوه المباحة وترك الوجوه المحرَّمة، وفي إنفاقه فيما ينفعكَ، ولا ينفقه في معصية الله، فمن عافاه الله في مالِهِ فإنه يسلم من شرٍّ كثير، والمالُ فتنة، فتنةٌ في اكتسابه، وفتنة في إنفاقه، فمن عافاه الله من فتنة المال فقد سَعِدَ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1] [التغابن: ١٥].

ثم سأل الله سبحانه ببقية الأدعية: (**اللهم استر عوراتي، وآمِنْ رَوعاتي**) استر عوراتي: العورات الحسية والعوراتِ المعنويةَ، يسترها الله ولا يفضح الإنسانَ بها، سترُ العورة الحسية هذا من حفظ الفرج، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون]، وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ العورات، هذا من نِعَمِ الله ﷻ ﴿يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦] وهو الزينةُ.

واللباسُ على قسمين: منه قسمٌ يستر العورةَ، ومنه قسمٌ يجمل الهيئة، وهذا هو الريش، ثم نبَّه على ما هو أحسنُ منه قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ لما ذكر اللباسَ الحسيَّ ذكر اللباس المعنوي، وأخبر أنه خيرٌ من اللباس الحسي، قد يكون الإنسان متجمِّلاً في هيئته، ولكن يكونُ عارياً من تقوى الله ﷻ، كما قال الشاعر:

إذا المَرْءُ لم يَلْبَسْ ثياباً منَ التُّقى ... تَقَلَّبَ عُرْياناً وإنْ كانَ كاسِياً

---

(١) وكما قال الرسول ﷺ: «**إن لكل أُمة فتنة، وفتنة أُمتي المال**»، رواه الترمذي برقم (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة، برقم (٥٩٢).

استر عوراتي الحسيةَ والمعنويةَ، وهي الذنوبُ والمعاصي والمخالفات، يسترها الله، ولا يفضحُ الإنسان بها، فإذا ستَرها الله عليه فإنه يغفرُها له، أما إذا فضحه بها فإنه يكون ذلك من الخزي والعار، وهذا من فضلِ الله أنه يسترُ علينا، ولو أنه فضحنا بذنوبنا، ومعاصينا لساءَتْ حالنا، ولأبغَضَنَا الناس، ونَفَرُوا منا، فالله جل وعلا بمَنِّه سَتَرَ علينا ويسَّر لنا التوبة(١).

(**وآمِنْ روعاتي**) روعاتي: جمع روعة، وهي الخوفُ والفَزَعُ، يعني يُؤمِّنكَ الله من الخوف، والخوفُ شديد والعياذ بالله، خوف الإنسان يجعله لا يطمئنُّ ولا يستقرُّ ولا ينامُ ولا يأكلُ ولا يشربُ، ولا يتلذذ مع وجود الخوف، والأمن من أكبر النعم، نِعَمُ الله على عباده إذا أمنوا من عدوهم، وأمنوا من المحاذير استراحوا، فهو طلبٌ من الله أن يؤمِّنَ روعاته في الدنيا والآخرة، وروعاتِ الآخرة أشدُّ، ولكن أهلَ الإيمان يأمنون من الفزع الأكبر، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، أما مَن خلا من طاعة الله فإنه ليس له أمنٌ.

(**واحفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي**) يحفظك من المخاوفِ؛ لأنك محاطٌ بالأعداء من كل جهة، شياطين الإنس والجن ونفسك الأمارة بالسوء، والشيطانُ تعهدَ قال: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، فالعدو محيطٌ بك من كل جانب، والرسول ﷺ سأل الله أن يحفظه من هذه الجهات.

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٥) عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: «**حذر امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله ﷻ فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر..**».

(احفظني من بين يديَّ) يعني: أمامي (ومن خلفي) يعني: من وراء ظهري (وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي).

ثم قال: (وأعوذ بعَظَمَتِك أن أُغتالَ من تحتي).

الاغتيال: هو الهلاكُ المفاجئ، من تحتي: بالخسفِ، كما خَسَفَ بالأمم السابقة[١]، خسف بهم الأرضَ وهلكوا، كما حصل لقوم لوطِ، وكما حصل لقارون، وكما حصل لفرعونَ وغيره ممن اغتيلوا من تحتهم، قال جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فأنت تسأل الله أن يحفظك من هذه المخاطر المحدقة بك.

❊ ❊ ❊

(١) كما قال الله جلّت عظمته: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت]

استحباب الاستعاذة من هذه الأربع

٢١ ـ وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»[(١)]. أخرجه مسلم.

الشَّرْحُ

هذا دعاء عظيمٌ، يقول ﷺ في دعائه: (اللهمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك)، فإن الله قادرٌ على أن يزيل النعمة بسبب الذنوب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم]، والنعم إنما تزولُ بسبب الكفر، إذا لم تشكر فإنها تزولُ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ [الأنفال].

فالله إذا أنعم نعمةً لا يزيلها إلا بسبب من قبل العبد المنعم عليه، إن شكرَها ثبتت وزادت، وإن كفرها زالت، وأبدله الله بها خوفاً وجوعاً، قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ هذه مكة ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ...﴾ يعني كفرَ أهلُها كفارُ قريش ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ [النحل: ١١٢ ـ ١١٣]، فلما كفروا بنعم الله أزالَ الله نعمتَه، وهذا مهددٌ به كل من لم يشكر نعمة الله عليه.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، برقم (٢٧٣٩).

(**ومِن تحوُّل عافيتك**) تحوُّلُ العافية إلى ضدها، إلى الابتلاءِ والامتحان، تحوُّل العافيةِ في البدن إلى المرض، العافيةُ تكون في البدن تتحولُ إلى مرض، وتكون في الدِّين والدنيا تتحول إلى فتنةٍ وابتلاء وامتحان.

(**ومن جميع سَخَطِك**) استعاذ بالله من جميعِ سخط الله، وهذا فيه وصفُ الله بأنه يسخَطُ ويغضَبُ على من عصاه[1].

❊ ❊ ❊

(١) قال الإمام الشوكاني رحمه الله في كتابه تحفة الذاكرين ص (٤٦٠) عند شرحه لهذا الحديث: «استعاذ رسول الله ﷺ من زوال نعمته، لأن ذلك لا يكون إلا عند عدم شكرها والمضي على ما تستحقه وتقتضيه، كالبخل بما تقتضيه النعم على صاحبها من تأدية ما يجب عليه من الشكر والمواساة وإخراج ما يجب إخراجه.
واستعاذ أيضاً رسول الله ﷺ من تحول عافيته سبحانه، لأنه إذا كان قد اختصه الله سبحانه بعافيته، فقد ظفر بخير الدارين، فإن تحولت عنه فقد أصيب بشر الدارين، فإن العافية يكون بها صلاح أمور الدنيا والآخرة.
واستعاذ ﷺ من فجاءة نقمة الله سبحانه، لأنه إذا انتقم من العبد فقد أحل به من البلاء ما لا يقدر على دفعه، ولا يستدفع بسائر المخلوقين وإن اجتمعوا جميعاً، والفجاءة من فاجأة مفاجأة، إذا جاء بغتة من غير أن يعلم بذلك.
واستعاذ ﷺ من جميع سخطه، لأنه سبحانه إذا سخط على العبد فقد هلك وخاب وخسر، ولو كان السخط في أدنى شيء وبأيسر سبب، ولهذا قال الصادق المصدوق: «**وجميع سخطك**»، وجاء بهذه العبارة شاملة لكل سخط».

استحباب الاستعاذة من غلبة الدين وشماتة الأعداء

٢٢ ـ وعن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»[(١)]. رواه النسائي، وصححه الحاكم.

الشَّرح

استعاذ ﷺ بالله من ثلاثةِ أشياء: **من غَلَبَةِ الدَّين، وغَلَبَةِ العدوِّ، وشَمَاتَةِ الأعداءِ.**

(**غَلبة الدين**): أن تعجزَ عن سدادِه، ثم يطالبك به أصحابه ويضيقون عليك، كما يقال: الدَّين سهرٌ بالليل وهمٌّ بالنهار، الدَّين خطير جدّاً، حقوقُ الناس، والناس لا يعذرون، فالنبيُّ ﷺ استعاذَ بالله من غلبة الدين، وهو الدَّين الذي يعجزُ الإنسان عن سداده، فيطالبُ به، ويكون

---

(١) رواه النسائي في كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من غلبة الدين، برقم (٥٤٧٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٣)، والحاكم (١/ ٥٣١)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٥٤١).

* **وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى في** حاشيته على بلوغ المرام ص (٨٣٢): (وأخرج البخاري رقم (٦٣٤٧) واللفظ له ومسلم رقم (٢٧٠٧) رحمة الله عليهما عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**تعوَّذوا بالله من جهد البلاء، ومن درك الشقاء، ومن سوء القضاء، ومن شماتة الأعداء**». وفي لفظ لمسلم رقم (٢٧٠٧) قال: «**كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من جهد البلاء، ومن درك الشقاء، ومن سوء القضاء، ومن شماتة الأعداء**»).

ذليلاً، ويحمله على الكذب وعلى الحِيَلِ حتى يتخلص من غريمه، فغلبةُ الدين يترتب عليها أمورٌ سيئة كثيرة، ولا أقلَّ من يسلم من الدَّين، ولكن إذا استدانَ يكون عنده سدادٌ، أما إذا لم يكن عنده سدادٌ فهذا هو موقع الخطر، وهذا مما يحثُّ المسلمَ على الاهتمام بالدَّين، وأنه لا يستدينُ إلا عند الضرورة، وإذا استدان فإنه يبادرُ بالسداد حتى لا يعجزَ عنه في المستقبل، وقد جاء في الحديث: «**من أخذَ أموالَ الناس يريد أداءَها أدَّى الله عنه، ومن أخذَ يريدُ إتلافَها، أتلفَهُ الله**»[1]، ففيه الاهتمام بالدَّين. استعاذ النبيُّ ﷺ بالله من غَلَبةِ الدَّين.

(ومن غَلَبَةِ العدو) العدو إذا غَلَبَ أذلَّك، استهانَ بك، واستباحَ حُرمَتَكَ، لا يرحمكَ العدو إذا تغلب عليك، فأنت تستعيذُ بالله من غلبةِ العدو.

(ومن شماتَةِ الأعداء) الشماتةُ، إذا علم الأعداءُ شيئاً من العُيوب أخذوا ينشرونَه على الناس، ويفضحونك به، فالإنسانُ يتجنَّبُ ما فيه شماتةٌ من التصرفاتِ والأخلاقِ، ويعملُ ما فيه سترٌ، وما فيه شرفٌ له عند الناس، وعند الله، ويجتنبُ الأمورَ التي فيها شماتةٌ وفيها ضررٌ عليه، والناس لا يرحمون، فلو أنهم علموا شيئاً من عيوبِكَ لنَشَرُوه، فهذا فيه الاستعاذةُ من شماتة الأعداء، ومعناها أن الإنسانَ يتجنبُ الأمورَ التي يُشْمَتُ فيها، ويعاب بها، ويلازمُ الأمورَ الطيبةَ التي تكون شرفاً له وستراً أمامَ الناس، لأن بعضَ الناس لا يبالي بالأمورِ السيئةِ والأخلاقِ الرَّذيلةِ والأشياءِ التي يُعاب بها، لا يبالي بهذا، وهذا شرٌّ له.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون...، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم (٢٣٨٧).

التوسل إلى الله بالتوحيد

٢٣ ـ وعن بُريدةَ ﵁ قال: سَمِعَ النبيُّ ﷺ رجلاً يقول: «اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أنت الله لَا إِلَهَ إلا أنت، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أَحَدٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الذي إذا سُئِلَ بِهِ أعطَى، وإذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[1].

أخرجه الأربعة، وصحَّحه ابن حبان.

الشَّرح

وهذا الحديثُ فيه مشروعيةٌ هذا التوسل إلى الله جل وعلا بالدعاء، التوسل إلى الله بالتوحيد، وتنزيه الله ﷻ عن العيوب، فهذا الرجل سمعه النبيُّ ﷺ يقول: «**اللهم إني أسألك بأنك أنتَ الله لا إله إلا أنت**» هذا توسلٌ بالتوحيد، كما قال تعالى عن ذي النون ﵇: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فيتوسل إلى الله بالتوحيد، بأنك أنت الله: لا معبودَ بحق إلا أنتَ.

(**الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ**) هذا مأخوذٌ من سورة

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٩٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعاء عن النبي ﷺ، برقم (٣٤٧٥)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب اسم الله الأعظم، برقم (٣٨٥٧)، وأحمد في مسنده (٥/٣٤٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (١٣٤٢).

الإخلاص (**الأحد**): الذي لا شريك له ﷻ، بمعنى الواحد الذي لا شريك له في **ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته**، فهو واحدٌ لا شريك له.

(**الذي لم يولد**) هذا فيه ردٌّ على الذين قالوا بأن لله ولداً، تنزيهٌ لله عن ذلك، وهم النصارى الذين قالوا: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] جعلوا المسيح جزءاً من الله، تعالى الله عن ذلك؛ لأن الولد جزء من الوالد، والله جل وعلا لا ولَدَ له، لأنه غني ﷻ، والناس كلُّهم عبادٌ له، والمسيح أيضاً، ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وكذلك فيه الردُّ على المشركين الذين قالوا: الملائكةُ بنات الله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] قالوا: بنات الله، تعالى الله عما يقولون، قال سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] لأنهم يكرهون البنات يدفنوهن وهن أحياء، ولم ينزِّهوا الله، فهم ينزهون أنفسهم عن البنات، ولا ينزِّهون الله، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النحل: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا﴾ [الإسراء: ٤٠] هذا بزعمهم أن الملائكة بناتُ الله، والله جل وعلا ليس له ولد، ولا أبناء ولا بنات؛ لأن الوالد محتاجٌ إلى الأولاد، والله ليس به حاجة إلى أحد، والولدُ يشبه الوالدَ، والله جل وعلا لا شبيهَ له ﷻ، قال جل وعلا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] يعني زوجة، والولد يلزمُ منه وجودُ الزوجة، الله ليس له زوجة، قال

سبحانه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ﴾ [الأنعام: ١٠١] هو الخالق ﷻ.

(ولم يولد) ليس له بدايةٌ ﷻ، ما أحدٌ قال: إن الله مولودٌ، ولكن هذا من كمال التنزيه لله ﷻ، بأنه لم يَلِدْ، ليس له ولد، ولم يولد، ليس له أصلٌ من الآباء والأمهات جل وعلا، أولٌ بلا بداية، وآخرٌ بلا نهاية، أنت الأولُ فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيء، فالذي يولد هذا وُجِدَ بعد أن لم يكن.

(ولم يكن له كفواً أحد) لا شبيهَ له، الكفو: معناه الشبيه، والله جل وعلا لا شبيهَ له، ولا ندَّ له، ولا مثيلَ له ﷻ، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] السميُّ: معناه المماثُل والشبيهُ والنظيرُ، فهذا تنزيهٌ.

فهذا أولاً: أنه **توسلَ إلى الله بالتوحيد**، وثانياً: أنه **تَوسَّلَ إلى الله بتنزيهه من العيوب والنقائص**[1].

---

(١) **قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رَحِمَهُ اللهُ في كتابه التحفة الكريمة ص (١٢٦): «وأمّا التوسل برحمة الله، واسمه الأعظم، وكلماته التامّة؛ فهو توسّل شرعيّ، قد دلّ عليه القرآن الكريم، والسنة المطهرة؛ في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله ﷺ: «**من نزل منزلاً فقال: «أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق» لم يضرّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»، رواه مسلم في صحيحه من حديث خولة بنت حكيم ﵂.
وهكذا التوسّل بتوحيد الله، والإيمان به، وبالأعمال الصالحات؛ كلّ ذلك قد جاءت به السنّة الصحيحة، كحديث أصحاب الغار، وهو مخرّج في الصحيحين، وكحديث عائشة ﵂ أنّها سمعت النبيّ ﷺ يدعو في سجوده بقوله: «**اللّهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، خرّجه مسلم في صحيحه (٤٨٦)». اهـ.

فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سأل الله باسمه الذي إذا دُعيَ به أجابَ وإذا سُئلَ به أعطى**»، فهذا الدعاءُ من أسباب الإجابة، وقد قيل: إن هذا هو اسمُ الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجابَ وإذا سُئل به أعطى؛ فيستحبُّ أن يقدِّم الداعي هذا الثناء على الله في دعائِه؛ لأن ذلكَ من أسباب الإجابة.

من أذكار الصباح والمساء

٢٤ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذَا أَصْبَحَ يقول: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، وإذا أمسَى قال مِثْلَ ذلك، إلا أنَّه قال: «وإليكَ المصيرُ»[1]. أخرجه الأربعة.

الشَّرْح

وهذا نوعٌ من الدعاء الذي يقال في الصباحِ والمساءِ، كان ﷺ إذا أصبحَ، يعني: دخل في الصباحِ قال: **«اللهمَّ بكَ أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموتُ، وإليك النشور»**.

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٦٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذ أمسى، برقم (٣٣٩١)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، برقم (٣٨٦٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢٦٢) و(٢٦٣) و(٣٨٦٨).
* **وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رحمه الله في حاشيته على بلوغ المرام ص (٨٣١): «وأخرج الترمذي رحمه الله برقم (٣٤٠١) بإسناد صحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فليقل: الحمد لله الذي رد عليَّ روحي وعافاني في جسدي وأذِن لي بذكره**» اهـ. وقد عزاه شارح الترمذي [تحفة الأحوذي ٩/٣٤٧] إلى الصحيحين ولم أجده فيهما، وهكذا ابن القيم رحمه الله في الوابل ص (٢٠٥) والظاهر أنهما قد وهما.
وقد نبه على ذلك أخونا العلامة **محمد ناصر الدين الألباني** في حاشيته على «الكلم الطيب» ص (٧٧) والأخ في الله **بشير محمد عيون** في حاشيته على الوابل ص (٢٠٥)».

(اللهمَّ بك أصبحنا) أي: أنت الذي أحييتنا وأيقظتنا من النوم، **(وبك أمسينا)** يعني: ندخلُ في المساء بإذن الله ﷻ، ولو شاء الله ما أصبحت ولا أمسيتَ، وإنما هذا بتقدير الله ﷻ، وهذا فيه تفويضُ الأمر إلى الله ﷻ.

(وبك نحيا، وبك نموتُ) المناسبةُ ذكرُ الحياةِ والموتِ أنه إذا قامَ من النوم وهو الموتة الصُّغرى، تذكَّر الإحياءَ من الموت يومَ البعث.

(وإليك النشور) النشور: هو البعثُ من القبور.

(وإذا أمسى) يعني دخلَ في المساء كرَّر هذا الدعاء مرةً ثانية **(اللهم بك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشورُ)**، وفي رواية: **(وإليك المصيرُ)**، أي: المرجعُ والمردُّ إلى الله ﷻ، فهذا فيه تذكُّر الرجوع إلى الله ﷻ، وفيه أن العبدَ لا يخرجُ عن إرادة الله وقدرةِ الله في صباحه، وفي مسائه.

من جوامع الدعاء

٢٥ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: كانَ أكثَرُ دُعاءِ رَسُولِ الله ﷺ: «ربَّنا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّار»[1]. متفق عليه.

الشَّرح

هذا في القرآن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة]، هذا دعاء جامعٌ لخيرَي الدنيا والآخرة. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حسنةُ الدنيا تشمل كلَّ الخير، حسنةٌ في الرزق، حسنةٌ في الأهل، حسنةٌ في الولد، حسنةٌ في العمل، تشمل كلَّ ما هو حسن ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ الجنة والنعيم والخلود والسرور، فهذا دعاء جامع ينبغي للمسلم أن يكرِّره، ولا يقتصر على الدنيا فلا يدعو الله إلا بملاذِّ الدنيا وينسى الآخرة، كحال الكفار الذين يقولون: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ كانوا إذا فرغوا من الحج يقفون ويقولون: اللهمَّ اجعله عاماً خَصْبًا، وعاماً ممطِراً وعاماً وكذا وكذا، ولا يذكرون الآخرة[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة**» برقم (٦٣٨٩)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، برقم (٢٦٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير وابن كثير للآية ٢٠٠ من سورة البقرة.

أما أهل الإيمان فإنهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، وهذا هو الذي كان النبي ﷺ يكثرُ من الدعاء به؛ لأنه دعاءٌ جامع لخيري الدنيا والآخرة.

وفيه أن الإنسانَ لا يقتصرُ على أمور الدنيا في دعائه، ولا يقتصر كذلك على أمور الآخرة، بل يدعو بصلاح دنياه وآخرته، لأن الدنيا مطيةُ الآخرة، ومزرعةُ الآخرة، فيدعو لدنياه ولآخرتِهِ، هذا هو المشروع.

من جوامع الدعاء

٢٦ ـ وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كانَ النبي ﷺ يدعو: «اللهمَّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي في أَمْرِي، وما أنت أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهم اغْفِرْ لي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذلك عِنْدِي، اللَّهم اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ، وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ، وما أَعْلَنْتُ، وما أنت أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أنت الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١). متفق عليه.

الشَّرْح

وهذا حديث عظيم، ودعاءٌ جامع أيضاً (**اللهمَّ اغفرْ لي خطيئتي**) يعني جميع خطاياي، وهي الذنوب، لأن المفردَ إذا أضيفَ يعمُّ، خطيئتي يعني جميعَ خطاياي.

(**وجهلي**) الجهلُ يطلق ويرادُ به عدمُ العلم بالشيء، ويطلقُ ويراد به عدمُ الحلْم، هو يعلمُ ولكنه لا يحلمُ بل يكون فيه غشمٌ، وفيه ظلمٌ وفيه جَوْرٌ، هذا جهل معناه: عدم الحِلم:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا ... فَنَجْهَلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النساء: ١٧]

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت**»، برقم (٦٣٩٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والذكر والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم (٢٧١٩).

الجهالة: عدم الحلم والبصيرة، هذا الذي دعا النبي ﷺ أن يغفره له.

(وإسرافي في أمري)، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، الإسراف: هو عدمُ الاعتدال، والمطلوبُ التوسط في الإنفاق، وفي القولِ والعملِ، لا يسرفُ في أموره، بل يكون عندَهُ اعتدالٌ؛ لأن الإسراف إن كان في الإنفاقِ فالله لا يحب المسرفين، وإن كان الإسرافُ في غير الإنفاق فكذلك لأن الإسراف لا يؤول إلى خير.

(وما أنتَ أعلمُ به منِّي) فوَّضَ إلى الله جل وعلا؛ لأن الإنسان قد يُسيءُ ويخطئُ وهو لا يدري والله يعلم ذلك، فهو فوَّض الأمر إلى الله.

(اللهمَّ اغفرْ لي جِدِّي وهَزْلي) جِدِّي بكسر الجيم، يقابل الهزْل، والهَزْلُ: هو عدم الجِد، جاداً: يعني قاصداً للشيء، أو هازلاً، يعني غيرَ قاصد من باب المُزاح، ومن باب الضحك، وقد يهزلُ ويضحك وهو يسيء لما بينَه وبين الله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة]، فلا يجوز المزاح والضحكُ في أمور الدين، لا جاداً ولا هازلاً، فإن كان جاداً فالأمر واضحُ، وإن كان هازلاً فكذلك؛ لأن أمور الدين ليس فيها لعبٌ وليس فيها مزاح، فالنبي ﷺ استغفرَ من الجدِّ الذي هو قصد الشيء، ومن الهزل الذي هو عدم قصدِه، وهذا يدل على أن الإنسان يؤاخذُ على الهزل.

(وخطئي وعمدي) وخطئي: وهو عدمُ التعمد، وعَمْدي: هو القصدُ والتعمُّد، مثل: هَزْلي وجدِّي.

(وكلُّ ذلك عندي) وكل هذه الأمور: الهزلُ والجِدُّ والخطأُ والعمدُ، كله عند العبدِ العبدُ، لا يزكي نفسَه، ويقول: لا، أنا ما عندي

إلا خيرٌ، وأنا لا يمكن أن أقع في خطأ، وأنا عندي علمٌ وبصيرة، فلا يزكي نفسَه، قال جل وعلا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء]، فالإنسان لا يزكي نفسَه، ويمدح نفسَه.

(**اللهمَّ اغفرْ لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ**) مما لا يُرضِي الله ﷻ، ما أخَّرَ من طاعة الله، وما قَدَّمَ من معصية الله.

(**وما أسررتُ وما أعلنتُ**) السِّرُّ والعلانية، الشيء الذي يُظهرُه عند الناس، والشيء الذي يُخفيه عن الناس، ولكنه لا يَخفَى عن الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النحل]، فلو أن الناس ما دَرَوا فاللهُ جل وعلا يعلمُ، فيستغفرُ الله من المعصيةِ في السرِّ، ومن المعصية في الجهر.

(**وما أنت أعلمُ به مني**) لأن الإنسانَ قد يسيءُ وقد يخطئُ وهو لا يدري.

(**أنتَ المقدِّمُ وأنت المؤخِّرُ**) هذا من أفعال الله ﷻ، أنه هو المقدِّم وهو المؤخِّر، فمن قدَّمه الله فلا مؤخر له، ومن أخَّره فلا مقدِّم له.

(**وأنتَ على كل شيء قدير**) فوَّضَ الأمرَ إلى الله، لأن الأمورَ كلَّها تحت مشيئته وقدرتِه ﷻ، ما شاء كانَ وما لم يشأ لم يكنْ، فهذا اعترافٌ بالعجز والتقصير، وتفويضٌ إلى الله جل وعلا، وتوسلٌ إليه بقدرتِه العامة التي لا يُعجزِها شيء.

دعاءٌ عظيم لصلاح الدين والدنيا والآخرة

٢٧ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهمَّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصْلِحْ لي آخِرَتِي الَّتي إليها مَعَادِي، واجْعَلِ الحَيَاةَ زيادةً لِي في كُلِّ خَيْرٍ، واجعلِ المَوتَ راحةً لي مِنْ كُلِّ شرٍّ»[1]. أخرجه مسلم.

الشَّرح

هذا دعاءٌ عظيم كان النبي ﷺ يدعو به، لصلاح دينه، وصلاحِ دُنياه وصلاح آخرتِهِ (أصلِحْ لي ديني الذي هو عِصْمةُ أمري) فلا نجاةَ للإنسان إلا بالدين، وإذا لم يصلح الدين لم تحصل له العصمةُ، بل يكون في الخطأ أو الزللِ، (عِصْمةُ أمري) من الخطأ ومن العاقبةِ السيئةِ، تعصمِنُي به من كلِّ محظور.

(وأصلِحْ لي دُنيايَ التي فيها مَعَاشي) يسأل الإنسانُ الله صلاحَ دنياه كما سبق، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ لا ينسى الدنيا؛ لأنه إذا صلحتِ الدنيا صلحتِ الآخرةُ، وإذا فسدتِ دُنياه فسدتْ آخرتُه، الآخرة مبنيةٌ على الدنيا، فيسأل الله أن يُصلحَ له دنيا، بأن تكونَ عوناً له على طاعةِ الله ﷻ، ولا أحدَ يستغني عن الدنيا.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم (٢٧٢٠).

(**وأصلِحْ لي آخرتِي التي إليها مَعَادي**) أي: مرجِعي ومردِّي، بأن يجعله الله من الصالحين في الآخرة، ويُلحقَه بالصالحين؛ لأن أكثرَ الناس لا تصلُحُ آخرتُهم والعياذُ بالله.

(**واجعل الحياة زيادةً لي في كلِّ خير، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كل شرٍّ**) هذا دعاء عظيم، أن الإنسانَ يسألُ الله أن يجعلَ حياتَه، زيادةً له من الخير: «**وخيرُكم من طالَ عُمُرُه، وحسنَ عملُه**»[1]، فطولُ العمر إذا كانَ على طاعةِ الله فهو خيرٌ، وتزوُّدٌ من الخير.

(**والموتَ راحةً لي من كل شرٍّ**) وهذا فيه تفويضُ الأمر إلى الله، وأن الإنسانَ لا يدعو على نفسه بالموت، ولا يجوزُ تمني الموت[2]، بل يسأل الله أن يحييه حياةً طيبةً، وأن يُميتَهُ مِيتَةً طيبة، يفوضُ الأمرَ إلى الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، برقم (٢٣٢٩)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١١ ـ ١١٢) من حديث عبد الله بن بُسر المازني ﷺ قال: جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال: «**طوبى لمن طال عمره وحسن عمله**»، وقال الآخر: أي العمل خير؟ قال: «**أن تفارق الدنيا ولسانك رطبٌ من ذكر الله**». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ﵀ (٤/ ٤٥١) حديث رقم (١٨٣٦).

(٢) لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك فقال: «**لا يتمنين أحدٌ منكم الموت لضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي**» رواه البخاري برقم (٦٣٥١)، ومسلم برقم (٢٦٨٠).

الدعاء بالعلم النافع

٢٨ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «اللَّهمَّ انْفَعْنِي بما عَلَّمْتَنِي، وعلِّمني ما يَنْفَعُنِي، وارْزُقْنِي عِلْماً يَنْفَعُنِي»[١].
رواه النسائي والحاكم.

٢٩ ـ وللترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ نحوه، وقال في آخره: «وزِدْنِي علْماً، الحَمْدُ لله على كلِّ حالٍ، وأعوذُ باللهِ من حالِ أهلِ النَّار»[٢].

الشَّرْح

(اللهم انفَعْنِي بما علَّمتني) الإنسان قد يكون يعلَمُ، ولكنه لا ينتفِعُ بعلمه، ويكون علمُه حجةً عليه، ويكون كالحمارِ يحملُ أسفاراً، يحمل العلمَ ولا ينتفعُ به، فليس المقصودُ العلم فقط، ولكنَّ المقصود العلمُ والعملُ، العلم الذي ينفَعُ، أما العلم الذي لا ينفَعُ، فهذا لا يفيدُ صاحبَه شيئاً، بل يكون مِن أولِ من تُسَعَّرُ بهمُ النار يوم القيامة، كما صح في الحديث[٣].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم (٧٨١٩)، والحاكم (١/ ٥١٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٣١٥١).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، برقم (٣٥٩٩)، وضعفه الألباني في «هداية الرواة» (٣/ ٣٢).

(٣) **يُشير الشيخ حفظه الله** إلى الحديث الذي أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥)، وأحمد (٢/ ٣٢٢)، والبيهقي في سننه (٩/ ١٦٨).

(وعلِّمْني ما ينفِعُني) لأن الإنسان إذا لم يعلِّمْهُ اللهُ فإنه لا يعلمُ، كما قالت الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] أنت تسألُ الله أن يعلِّمك ما ينفعُك، وأن ينفعَكَ بما علَّمَك.

(وارزُقْني علماً ينفَعُني) ما قال علماً فقط، بل قال: علماً ينفعُني، العلم الذي لا ينفَعُ هذا حجةٌ على صاحبه.

فهذا فيه الاهتمامُ بالعلم، وأن المسلم يسألُ الله أن يعلِّمه ما ينفعه، وأن يجعلَ عِلْمَه نافعاً له، ولا يجعله حجةً عليه.

وفيه أن العلم مقرونٌ بالعمل، فلا ينفع عمل بدون علم بل يكون ضلالاً، ولا ينفع علم بدون عمل بل يكون غضباً من الله ﷻ، ولهذا ندعو: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم أهل العلم والعمل ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم أهلُ العمل بدون علم ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم أصحابُ العلم بدون عمل، **فلا العلمُ ينفع بدون عمل، ولا العملُ ينفع بدون علم، لا بد من ارتباطهما معاً.**

(وزِدْني علماً) هذا في القرآن ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فالإنسان مهما بلغ من العلم فهو جاهل، ما يجهلُ أكثرَ مما يعلمُ، فلا يقول الإنسان: أنا انتهيتُ وحصلتُ على علمٍ غزيرٍ، لا، وليذكر قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، فأنت تسأل الله الزيادة من العلم النافع.

(الحمدُ لله على كلِّ حالٍ، وأعوذُ بالله من حالِ أهلِ النار) وهذا ثناءٌ على الله جلَّ وعلا على كلِّ حالٍ، فالمسلمُ يحمدُ الله على كلِّ حال، حالِ السراء، وحال الضراء، يحمد الله على ذلك، ويعوذُ بالله من أحوال أهل النار.

من جوامع الدعاء

٣٠ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ النبي ﷺ علَّمها هذا الدُّعاءَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً»[1]. أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان، والحاكم.

الشَّرح

وهذا دُعاءٌ عظيم علَّمه النبي ﷺ لأمِ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها، وهو تعليمٌ لغيرها من الأمة، وفيه أن الدعاءَ يكون توقيفياً، لا يدعو الإنسانُ بشيءٍ لا أصلَ له في الكتاب والسنة، وإنما يرجعُ فيه إلى الكتاب والسنة، سواءً كان بلفظِهِ أو بمعناهُ، المهمُّ أنه لا يخالفُ الكتابَ والسنة.

أمرَ النبيُّ ﷺ عائشةَ أن تسألَ الله من الخيرِ كلِّه، وأن تعوذَ به من

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب الجوامع من الدعاء، برقم (٣٨٤٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٤)، والحاكم (١/ ٥٢١ ـ ٥٢٢)، وابن حبان برقم (٨٦٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٥٤٢).

الشرِّ كله، فالإنسان يسأل الله من الخيرِ، ولا يقتصرُ على شيء معيَّنٍ، بل يفوِّض الأمرَ إلى الله، يسأل الله من الخيرِ كلِّه؛ لأن فضلَ الله عظيم، فيدعو الله من الخير كلِّ الخير، لا بعض الخيرِ فقط، ويستعيذُ من كلِّ الشر؛ لأن الشرَّ ضررٌ قليلُه وكثيره، فيستعيذ بالله منه جميعاً، ولا يتساهل بشيء منه، وأن تسأل الله من خيرِ ما سأله رسولُ الله ﷺ، وتستعيذَ بالله من شرِّ ما استعاذَ منه الرسولُ ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ أعلمُ بربِّهِ، وأعلمُ بما ينفعُ، وما يضرُّ، فهي تدعو الله بما دعا به الرسولُ ﷺ من الخيرِ، وتعوذُ به مما استعاذَ منه الرسولُ ﷺ من الشر.

وتسأل الله الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ؛ لأن الجنةَ هي غايةُ المطاف، ولكن الجنةَ لا تنال إلا بالأعمالِ الصالحةِ، ولهذا يقول: ما قرَّب إليها من قولٍ صالحٍ أو عملٍ صالحٍ؛ لأن الجنة لا تُنالُ إلا بسبب العملِ الصالحِ، وتعوذُ من النار، وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، فدل على أن النار لها أسبابٌ، القولُ والعملُ، القول السيئ، والعمل السيئ.

(وأسألك أن تجعلَ كلَّ قضاءٍ قضيتَه لي خيراً)، وتسألُ الله حُسنَ القضاء، أن يقدِّر الله لها الخيرَ، ويقضي لها بالخير، لأن الأمرَ بيد الله ﷻ.

وهذا فيه أن الدعاء لا يعارِضُ القضاءَ والقدر، فالأمرُ بيد الله ﷻ.

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

٣١ ـ وأخرَجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرحمن، خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[١].

الشرح

هذا فيه فضلُ هاتين الكلمتين من ذكر الله ﷻ (**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**).

(**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن**) يحبُّهما الله ﷻ (**خفيفتان على اللسان**) ما تكلفُ الإنسان شيئاً، لأنها حروفٌ يسيرة.

(**ثقيلتان في الميزان**) ثقيلتان في ميزان الأعمال يومَ القيامة، لأن يومَ القيامة توضعُ الموازينُ وتُوزن بها الأعمال ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة]، ففيه الميزان يوم القيامة، وهذا من عدلِ الله ﷻ، أن أعمال العبادِ تُوزنُ بميزان حقيقي له كفتان، توضع الحسناتُ في كفة، والسيئاتُ في كفة، هذا بالنسبة للمؤمنين الذين لهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾، برقم (٧٥٦٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء، برقم (٢٦٩٤).

حسناتٌ وسيئات، أما بالنسبة للكفار الذين ليسَ لهم حسناتٌ فقيل: لا تُوزنُ أعمالهم؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وإنما يدخلون النار، وكذلك الذين ليس لهم سيئات، وإنما لهم حسناتٌ، هؤلاء يدخلون الجنةَ بلا حساب ولا عذاب؛ لأن من المؤمنين من كلُّ أعمالهم حسناتٌ وليس لهم سيئات، فهؤلاء هم المقرَّبون يدخلونَ الجنةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وسائرُ المؤمنين تُوزَنُ حسناتُهم وسيئاتُهم، وقيل: إن الجميع توزنُ حسناتُهم وسيئاتُهم، فالوزن عام، وهذا هو الظاهرُ، والله أعلم.

فهاتان الكلمتان ثقيلتانِ في الميزان، بل جاء أن كلمةَ **(لا إله إلا الله)** تثقل في ميزان العبد يوم القيامة، كما في حديث البطاقة، «**أن رجلاً يؤتى له بتسعةٍ وتسعين سجلاً مملوءة بالسيئات، فيقال له: أتنكرُ من هذه السجلات شيئاً؟ فيقول: لا، فيقال: إنك لا تُظلم، إن لك عندنا حسنة، فيؤتى ببطاقة فيها (لا إله إلا الله) فتوضع البطاقةُ في كفةٍ، والسجلات في كفةٍ، فتطيشُ السجلات، وتثقل البطاقةُ، فيدخل الجنةَ**[1]»، فالكلمة من رضوان الله لها مكانٌ عظيم عند الله، ومن ذلك هاتان الكلمتان.

(سبحانَ الله وبحمده) سبحان الله: معناها تنزيهُ الله جل وعلا عمَّا لا يليق به **(سبحان الله العظيم)** كلمتان خفيفتان مختصرتان لهما هذا الفضلُ العظيم.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن يموتُ وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ما يُرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم (٤٣٠٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢١٣)، والحاكم (١/ ٦ و٥٢٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (١٣٥).

وختم بهما المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكتاب، كما ختمَ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ صحيحه بهذا الحديث.

ونسأل الله تَعَالَى أن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يجعله حجةً لنا لا علينا، وأن يزيدنا من العلم النافعِ والعملِ الصالحِ، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة